السلطة الوطنية الفلسطينية
دار الإفتاء الفلسطينية

الرسول الأسوة

محمد
صلى اللّه عليه وسلم

(الجزء الثاني)

القدس
1430هـ- 2009 م

من إصدارات

دار الإفتاء الفلسطينية

هدية

سنة 1430هـ - 2009م

بسم الله الرحمن الرحيم

تقـــديم

الحمد لله حمد الشاكرين المنيبين، والصلاة والسلام على رسولنا الكريم، محمد بن عبد الله، وعلى آله الطيبين، وصحبه الغر الميامين، ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين، وبعد؛

فيسر دار الإفتاء الفلسطينية أن تصدر الجزء الثاني من كتاب (**الرسول الأسوة محمد ﷺ**) الذي صدر جزؤه الأول في أوائل العام المنصرم 1429هـ - 2008م، وذلك اسهاماً من دار الإفتاء الفلسطينية باحتفالية القدس عاصمة للثقافة العربية لعام 2009م.

ونأمل أن نكون قد وفقنا في عرض مادة هذا الإصدار بطريقة ميسرة تتيح للقارئ أن يستقي منه ما يفيده وتساهم في نشر الوعي الإسلامي الصحيح.

كما أنتهز مناسبة صدور الجزء الثاني من هذا الكتاب لأقدم جزيل شكري لكل من بذل جهداً فيه، سائلاً المولى عز وجل أن يتقبل منا ومنهم صالح العمل، كما أسأله جل جلاله أن يديم دار الإفتاء الفلسطينية منارة علم وخير وهداية وصلاح للمسلمين، إنه الهادي الموفق إلى سبيل الرشاد.

هذا جهد المقل؛ فإن أصبنا فيه فبتوفيق من الله،وإن قصرنا فمن عند أنفسنا والله المستعان.

الشيخ محمد أحمد حسين
المفتي العام للقدس والديار الفلسطينية
خطيب المسجد الأقصى المبارك

القدس
1430هـ / 2009م

يحث على صحبة الأخيار

8/صفر/1429هـ وفق 2008/2/15م

في معرض أمر مهم من أمور الحياة الاجتماعية، نقرأ هدي النبيﷺ، الذي يوجه إلى اختيار الجليس الصالح، ويحذر من جليس السوء، فقد روى أبو موسى الأشعري رضي الله عنه قال: " **مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ، وَالْجَلِيسِ السَّوْءِ، كَمَثَلِ صَاحِبِ الْمِسْكِ، وَكِيرِ الْحَدَّادِ، لَا يَعْدَمُكَ مِنْ صَاحِبِ الْمِسْكِ؛ إِمَّا تَشْتَرِيهِ، أَوْ تَجِدُ رِيحَهُ، وَكِيرُ الْحَدَّادِ؛ يُحْرِقُ بَدَنَكَ، أَوْ ثَوْبَكَ، أَوْ تَجِدُ مِنْهُ رِيحًا خَبِيثَةً**" (1)

إنه هدي نبوي كريم، وتوجيه اجتماعي عظيم، لا يستغني عنه الناس في حياتهم، فبنو البشر مجبولون على التعارف، والتلاقي، والاستعانة ببعضهم بعضاً، ومن ذلك هذا المجال الواسع في اختيار الأصحاب، والأصدقاء، والأعوان، والجلساء، والإنسان -كما يقال ـ مدني بطبعه، فهو يميل نحو أخيه الإنسان، يجالسه، ويتعامل معه في جميع شؤون الحياة.

وإذا كان الإنسان كذلك، فهو بحاجة إلى معيار واضح في اختيار الأصحاب والأصدقاء، وهذا ما وجه إليه القرآن الكريم، والسنة النبوية الشريفة، وفيهما الهدى والفوز، لمن أخذ بهما في الدنيا والآخرة، فقد أوصى القرآن الكريم بحسن مصاحبة الجار، ورفيق السفر، فقال تعالى: ﴿ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ ﴾(2)، كما بيّن القرآن الكريم العاقبة الوخيمة، والندم على مرافقة الصاحب السيء في الدنيا، فقال على لسان الخاسرين بصحبتهم في الآخرة: ﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً* يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَاناً خَلِيلاً* لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنسَانِ خَذُولاً ﴾(3)

---

(1) صحيح البخاري، كتاب الذبائح والصيد، باب المسك

(2) النساء: 36

(3) الفرقان: 27-29

فانظر أخي المسلم ـ هداك الله ـ إلى اختيار الصاحب، والجليس الصالح، الذي يأخذ بيدك إلى الخير في الدنيا والآخرة، ويدلك على أبواب الطاعة، والبعد عن المعاصي والآثام، لتكون من الفائزين في الدنيا والآخرة، وما من شك أن الصاحب يؤثر في طباع صاحبه ونهج حياته .

والمثال على ذلك واضح جلي في حياة رسل الله الكرام، وأتباعهم من المؤمنين الذين آمنوا بدعوتهم واتبعوهم. صحيح أن أتباع الرسل الكرام تعرضوا للأذى والعذاب في بداية الدعوة، ولكنهم اجتازوا هذه المرحلة إلى مراحل العزة والكرامة والنجاة، بفضل تمسكهم بصحبة الأنبياء والرسل الكرام، وقد أخبرنا الله عن أتباع سيدنا عيسى عليه السلام الذين سموا بالحواريين؛ وهم الأصحاب الخلّص، فقال الله بحقهم: ﴿وإذ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ﴾[1] فظهر الحق، واستمر ظاهراً، على يد هؤلاء الأتباع المؤمنين.

وإليك أخي المسلم في سيرة أصحاب نبينا، وحبيبنا المصطفى ﷺ، خير زاد في سلوك طريق الخير، واختيار الصحبة الخيرة.

فقد كانت صحبتهم للنبي ﷺ، ولبعضهم بعضاً، مضرب الأمثال الطيبة، في مواقف الإيمان، ونصرة الرسول، والفداء من أجل الدعوة، ونشرها، وحملها، وتبليغها للناس، ضحوا بأموالهم وأنفسهم، وهاجروا مع رسولنا ورسولهم، تاركين الأهل، والأبناء، والأوطان، والأموال، نصرة لله ورسوله، وجهاداً في سبيله.

وقد يقول قائل هذا موقف الصحابة مع النبي ﷺ، وكل مسلم حريص على هذه الصحبة والفوز بها، ليفوز بصحبة الرسول ﷺ، وهي ميزة لا تكون إلا في عهد النبي ﷺ والالتقاء به، والسير على هديه.

وضرب الصحابة الكرام ـ رضوان الله عليهم ـ أروع مثال في الصحبة مع بعضهم بعضاً، فكانوا إخوة في العقيدة والدين والحياة، يوم آخى النبي ﷺ بين المهاجرين والأنصار في المدينة، فتقاسموا لقمة العيش مع بعضهم بعضاً، بل آثروا على أنفسهم رغم الحاجة، وهذا ما سطره

---

[1] الصف:14

القرآن الكريم بحقهم، فقال جل من قائل : ﴿ وَالَّذِينَ تَبَوَّؤُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾[1]

فأصحاب النبيﷺ سطروا لنا أنموذجاً فريداً في الصحبة، واختيار الأصحاب، ومحبتهم لبعضهم بعضاً، وتعاونهم على خيري الدنيا والآخرة، وقد ورد في الحديث:" **الرَّجُلُ عَلَى دِينِ خَلِيلِه، فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُم مَنْ يُخَالِل**"[2] فالإنسان يقاس بصاحبه، وهو الصورة الأخرى له.

ولذا قال الشاعر:**لا تسأل عن المرء وسل عن قرينه فكل قرين بالمقارن يقتدي**

وقد أُثر عن أبي بكر الصديق ﷺ، قوله لمن سأله مستعجباً :"**أأنت الخليفة أم عمر؟! فقال: هو إن شاء** " إنهم أصحاب النبي ﷺ الذين كان الواحد منهم يرى نفسه في مرآة صاحبه، وأخيه في الدين والعقيدة.

ولذا ورد " **الْمُؤْمِنُ مِرآةُ الْمُؤْمِنِ، وَالْمُؤْمِنُ أَخُو الْمُؤْمِنِ، يَكُفُّ عَلَيْهِ ضَيْعَتَهُ، وَيَحُوطُهُ مِنْ وَرائِه** "[3]

وفي الحث على اختيار الجليس الصالح، والصاحب الأمين، جاء على لسان بعض الصالحين " **لا تصحب من لا ينهضك حاله، ولا يدلك على الله تعالى مقاله** ".

وما أعظم المثال الذي ضربه لنا رسول الله ﷺ، في هديه الشريف، فجليس الخير كبائع المسك، ومعروف أن المسك من أطيب العطور رائحة، وهو من دم الغزال، وكان ﷺ يحب الطيب، فالخير الذي يصيبه، ويحرزه العبد من جليسه الصالح، أبلغ من المسك وأفضل، فهو يعلمك ما ينفعك في دينك ودنياك، أو يسدي لك نصيحة، أو يحذرك مما يضرك، كما يحثك على طاعة الله، وبر الوالدين، والإحسان إلى الناس، ويبصرك بعيوب نفسك، ويدعوك إلى

---

[1] الحشر : 9

[2] سنن أبي داود، باب الزهد عن رسول الله،كتاب ما جاء في أخذ المال بحقه.

[3] سنن أبي داود، كتاب الأدب، باب النصيحة والحياطة.

مكارم الأخلاق ومحاسنها بقوله وفعله وحاله، فالإنسان مفطور على الاقتداء بصاحبه وجليسه، والطباع والأرواح جنود مجندة، كما ورد في الحديث: " **الْأَرْوَاحُ جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ، فَمَا تَعَارَفَ مِنْهَا ائْتَلَفَ، وَمَا تَنَاكَرَ مِنْهَا اخْتَلَفَ** "[1]

وأنت بسبب الجليس الصالح تبتعد عن السيئات والمعاصي، رعاية للصحبة، واستزادة في عمل الخير، وترفعاً عن الشر، كما يرعاك في حضرتك وغيبتك، ويذب عن عرضك، فصحبة الأخيار منافعها لا تحصى، وحسب المرء أن يعتبر بقرينه، وأن يكون على دين خليله.

أما مصاحبة الأشرار فهي الهلاك في الدنيا والآخرة، وكم جلبت هذه الصحبة الهلاك والبوار على أهلها من حيث يشعرون أو لا يشعرون، ولهذا كان من أعظم نعم الله على عبده المؤمن أن يوفقه لصحبة الأخيار، ومن عقوبته لعباده أن يبتليهم بصحبة الأشرار، نعوذ بالله من صحبة الأشرار ومخالطتهم، ومجالستهم، ونسأله أن يوفقنا، ويسددنا دائما، إلى الاقتداء برسولنا الأسوة ﷺ، الذي حثنا على اختيار الجليس الصالح، والصاحب الصالح، ليطيب عيشنا في الدنيا والآخرة ، وليكون مسك ختام حياتنا الفوز والفلاح { فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ }[2] .

وصلى الله وسلم وبارك، على سيدنا محمد، الأسوة، وعلى آله الطاهرين، وصحابته أجمعين، ومن اقتدى بهديه، واستن بسنته، إلى يوم الدين.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (الْمُؤمِنُ مِرآةُ الْمُؤْمِنِ، وَالْمُؤْمِنُ أَخُو الْمُؤْمِنِ، يَكُفُّ عَلَيْهِ ضَيْعَتَهُ، وَيَحُوطُهُ مِنْ وَرَائِهِ)

---

[1] صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب الأرواح جنود مجندة

[2] القمر: 55

ويذكر النبي ﷺ في الحديث الشريف الذي يرويه أبو هريرة ﷺ المستظلين بظل الله سبحانه وتعالى، يوم لا ظل إلا ظله، فيقول "سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمْ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي ظِلِّهِ، يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ: إِمَامٌ عَادِلٌ، وَشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ اللَّهِ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ فِي خَلَاءٍ فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي الْمَسْجِدِ، وَرَجُلَانِ تَحَابَّا فِي اللَّهِ، وَرَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ إِلَى نَفْسِهَا، قَالَ: إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا، حَتَّى لَا تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا صَنَعَتْ يَمِينُهُ "[1]

إنه لهدي عظيم يخبر به رسول الله ﷺ الأمة، عن رحمة الله تعالى بهم يوم القيامة ، يوم الحشر العظيم، حيث الشمس تدنو من الناس، ويصابون بالجهد والتعب والعطش، ويترددون على أنبياء الله ورسله، طلباً للشفاعة لهم عند الله، بالإذن بالحساب.

إلا أن أناساً من هذه الأمة الكريمة، لا يعانون هذه المشقات، وقد أمنوا يوم الفزع، وأكرمهم الكريم ﷻ، فجعلهم يستظلون بظله، ولا يسأل عن هذا الظل الكريم بكيف وأين، وإنما نؤمن بذلك ونسلم لله تعالى كما أخبر الصادق المصدوق ﷺ، إن هذا الظل الكريم لرب كريم، يكرم به من اتصف بالصفات التي بينها الرسول الأكرم ﷺ.

وأول الفائزين بهذا الظل الكريم إمام عادل، أليس الإمام العادل هو من يقيم العدل، وينصف الناس، ويرد المظالم إلى أهلها، ويقسم بين الرعية بالسوية، ويحقق شريعة الله في الأرض، التي هي ظل النجاة لمن استظل بها، وعمل بها، وطبق أحكامها، وانتهى بنواهيها؟! ولا يقوم بهذه المهمة الجليلة إلا من وفقه الله إلى إقامة العدل، وهداه إلى سواء السبيل، وحفظه من الزلل، وهيأ له بطانة خير، تسدي له النصيحة، وتخلص له المشورة، والرأي الصواب، ابتغاء رضوان الله.

ومن كان كذلك فإنه يحوز على صفات التوفيق، ويرتقي إلى إقامة العدل بين الناس، وقد تحدثت الآيات الكريمة عن العدل، وجعلته أساساً للنجاة في الدنيا، والفوز بالآخرة.

---

[1] صحيح البخاري، كتاب الحدود، باب فضل من ترك الفواحش

فقال تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾[1] ، وأمر الله بالعدل حتى مع من تكره، فقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾[2].

وقد التزم الصحابة الكرام، رضوان الله عليهم، بالعدل فأقاموه على وجهه الصحيح، وكانوا في ذلك مثالاً يحتذى، كما سار على نهجهم أئمة السلف الصالح، من الخلفاء والأمراء.

فقد خطب خليفة رسول الله ﷺ، أبو بكر، في الناس، حينما بايعه الصحابة بالخلافة، قائلاً : " **أيها الناس؛ فإني قد وليت عليكم، ولست بخيركم، فإن أحسنت فأعينوني، وإن أسأت فقوموني، الصدق أمانة، والكذب خيانة، والضعيف فيكم قوي عندي حتى أرجع عليه حقه، إن شاء الله، والقوي فيكم ضعيف حتى آخذ الحق منه، إن شاء الله، لا يدع قوم الجهاد في سبيل الله إلا خذلهم الله بالذل، ولا تشيع الفاحشة في قوم إلا عمهم الله بالبلاء، أطيعوني ما أطعت الله ورسوله، فإذا عصيت الله ورسوله؛ فلا طاعة لي عليكم** "[3] .

ويمر رسول كسرى على الفاروق عمر، وقد توسد يده نائماً في البرية، لا يحيط به الحرس والعسس، فيقول قولته المشهورة: "**حكمت، فعدلت، فأمنت، فنمت**"وعمر رضي الله عنه هو الذي عمل قاضياً لأبي بكر الصديق رضي الله عنه سنة كاملة، ولم يأته متخاصمان، فطلب من أبي بكر أن يعفيه من القضاء، وقال له: "**يا أبا بكر؛ أمة يرحم كبيرها صغيرها، ويوقر صغيرها كبيرها، لا تحتاج إلى قضاء عمر**" إنهم الأئمة العادلون، والأمة التي قام في نفس كل فرد منها رقيب داخلي، لا يوجههم إلا إلى الخير، وطرق الحق، والعدل، والإنصاف، فاستحقوا رضوان الله تعالى، كما أخبر جل شأنه: ﴿ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ﴾[4]، وقوله تعالى: ﴿ لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ

---

[1] النحل: 90

[2] المائدة: 8

[3] البداية والنهاية لابن كثير

[4] المائدة: 119

عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴾[1]. وأخبر الرسول ﷺ بخيريتهم:" **خير القرون قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم**"[2]، وبشر الخلفاء الراشدين بالجنة مع الستة المكملين للعشرة من صحابته الأخيار.

وقد اعتبر العلماء والفقهاء الخليفة العادل عمر بن عبد العزيز ﷺ الخليفة الراشد الخامس، لما عرف عنه من العدل، والورع، والزهد في سياسة الأمة، فهو الذي رد المظالم من بني أمية لأهلها، ودعا للخلفاء الراشدين على المنبر، وترحم على آل بيت النبي ﷺ، الذين لحقهم الأذى من سفهاء خلفاء بني أمية.

إن هؤلاء الأئمة، رضي الله عنهم، ومن سار على سنتهم، وعض عليها بالنواجذ، من الأئمة العادلين، سيكرمهم الله سبحانه وتعالى، مالك الدنيا والآخرة، وأعدل العادلين، بظله يوم لا ظل إلا ظله. كيف لا؟! وهم الذين لم تغرهم الدنيا بكل زينتها ومفاتنها، كما لم تخرجهم سطوة السلطان عن حد العدل والاعتدال، بل كانوا ربانيين في حكمهم وسيرتهم، ومضرب المثل في عدالتهم، فاستحقوا رحمة الله بالاستظلال في ظله، يوم الحشر والحساب، يوم لا ينفع الجاه، ولا السلطان والمال، ﴿ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾[3]، وهذا حال أنبياء الله ورسله الكرام، فقال تعالى واصفاً سيدنا إبراهيم الخليل، بقوله: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ ﴾[4] وقال سبحانه: ﴿ إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾[5].

فماذا سيكون جواب أئمة الجور والظلم، يوم يسألهم الله تعالى عن رعاياهم؟ وأين يكون موقعهم من ظل الله تعالى؟!، نسأل الله السلامة، والأمن، والإيمان، في الدنيا والآخرة، إنه خير مسؤول، وأكرم مأمول.

ومن الذين يظلهم الله في ظله يوم القيامة؛ شاب نشأ في طاعة الله، ولماذا الشاب بالذات؟! لعل الأمر يعود إلى طبيعة الشباب، حيث الشاب الذي يتمتع بالقوة الجسدية، ويرى نفسه في بداية طريق الحياة، وتحيط به الشهوات التي تحف طريقه بزخرفة الدنيا، ومتاعها الزائل، وتغريه بأن يقع في محرماتها

---

[1] الفتح: 18
[2] أخرجه ابن تيمية في مجموع الفتاوى
[3] الشعراء:89
[4] هود: 75
[5] الصافات: 84.

ومنكراتها، وتؤمله نفسه وشيطانه؛ بأن الطريق ما زال أمامه طويل، ويمكن أن يتدارك نفسه بالتوبة، وحسن العمل، ولكن هيهات، هيهات، لمن غرته الحياة الدنيا، وجرفته شهواتها، أن يعود إلى جادة الصواب، إلا من رحم ربي، وقليل ما هم، لذلك كان الشاب الناشئ في طاعة الله، الذي كبح جماح شهواته رغم إلحاحها، وأحكم المسير في طريق الخير والبر والطاعة من الذين ينالون كرامة الله، فيظلهم الله في ظله، يوم لا ظل إلا ظله.

ولشبابنا اليوم خير أسوة في شباب السلف الصالح، الذين كانوا يُسابقون الكهول والشيوخ، إلى ميادين الجهاد والخير، ويحزن الواحد منهم، حين يرده الرسول ﷺ ولا يأذن له بالخروج إلى ساحة الوغى، التي شهدت من الشباب رغم صغر سنهم ما دونته كتب السير والتاريخ بمداد من ذهب ونور، لقد كان مصرع أبي جهل على يد غلامين من أبناء الأنصار، وكان الفتى علي في فراش النبي ﷺ ليلة الهجرة. وكان عبد الرحمن بن أبي بكر من يأتيهما بأخبار قريش، ويزودهما وأخته الصبية أسماء بما يلزمهما من الطعام.

وقد أثنى القرآن الكريم على الشباب بقول الله تعالى في وصف أهل الكهف: ﴿نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى﴾[1] وقال بحق محطم الأصنام عليه السلام ﴿قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ﴾[2]، والرسول ﷺ يقول: "**استوصوا بالكهول خيرا ، وارحموا الشباب**"[3].

فهلا اقتدى شبابنا بسيرة سلفهم من شباب الأمة، فأقبلوا على طاعة الله، لينشأوا على الفضيلة، والأخلاق الكريمة، والسيرة الحسنة، ليفوزوا بظل الله تعالى، يوم لا ظل إلا ظله، كما أخبر بذلك حبيبنا وقدوتنا ورسولنا الأسوة ﷺ، وبهذا نفوز بعز الدارين، ونلقى الله بوجوه بيضاء ناضرة.

وصلى الله وسلم وبارك، على سيدنا محمد، الأسوة، وعلى آله الطاهرين، وصحابته أجمعين، ومن اقتدى بهديه، واستن بسنته إلى يوم الدين.

---

(1) الكهف: 13

(2) الأنبياء:60

(3) أخرجه الألباني عن أبي سعيد الخدري في السلسلة الضعيفة

نواصل العيش مع هدي النبي ﷺ في بيان المستظلين بظل الله، في حديثه الشريف الذي يرويه أبو هريرة رضي الله عنه : "**سبعةٌ يُظِلُّهم اللّهُ يوم القيامة في ظلّه يوم لا ظلّ إلا ظلُّه؛ إمامٌ عادلٌ، وشابٌّ نشأ في عبادة اللّه، ورجلٌ ذكر اللّهَ في خلاءٍ ففاضتْ عيناه، ورجلٌ قلبُه مُعلّقٌ في المسجد، ورجلان تحابّا في اللّه، ورجلٌ دعتْه امرأةٌ ذاتُ منصبٍ وجمالٍ إلى نفسها، قال: إنّي أخافُ اللّهَ، ورجلٌ تصدّق بصدقةٍ فأخفاها، حتّى لا تعلم شمالُه ما صنعتْ يمينُه**" [1].

وقد تحدثنا في الحلقة الأولى عن الإمام العادل، والشاب الناشئ في عبادة الله، وأما ثالث السبعة المستظلين بظل الله، فهو رجل ذكر الله خالياً، بعيداً عن الناس، ففاضت عيناه، ولسائل أن يتساءل، لماذا اختص الله تعالى هذا الذاكر له، خالياً بظله يوم القيامة؟ والجواب واضح، في سياق الحديث، إنها مخافة الله، ومراقبته في السر والعلن، وشاهدها دموع العينين، التي تفيض سيلاً على وجهه، من خشية الله، هذا الموقف الذي لا يصدر إلا عن متدين مخلص لربه، بل يتجلى هذا الإيمان، وهذا الخوف من الله، في حالات الخلوة، التي غالباً ما يحاسب المؤمن نفسه فيها، ماذا فعل من خير، أو اقترف من شر، فيتحرك في داخله وازع الإيمان، ومراقبة الرحمن، فلا يملك جوارحه، وما يعتريها من خشية لله، فتفيض العيون بالدمع، وتقشعر الجلود التي تلين بذكر الله، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾[2] وقوله سبحانه: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ أَلاَ بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾[3].

---

[1] صحيح البخاري، كتاب الحدود، باب فضل من ترك الفواحش

[2] الزمر: 23

[3] الرعد: 28

وقد ذكر الله تعالى حسرة الصحابة الكرام، الذين لا يجدون ما ينفقون في سبيل الله، بأنهم يعبرون عن ذلك ببكائهم، فقال تعالى: ﴿ تَوَلَّواْ وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُواْ مَا يُنفِقُونَ ﴾[1].

وفي الحديث الشريف يقول النبي ﷺ: " **عَيْنَانِ لَا تَمَسُّهُمَا النَّارُ؛ عَيْنٌ بَكَتْ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ، وَعَيْنٌ بَاتَتْ تَحْرُسُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ**" [2].

فبكاء العين من خشية الله وذكره سبحانه، دلالة واضحة على خوف صاحبها من الله تعالى، ومراقبته في السر والعلن، وهذه أعلى درجات المراقبة، التي تعبر عنها عبرات العيون، وهي شاهد على صدق صاحبها.

وشتان بين سكب العبرات بين يدي الله تعالى، وبين سكب الدموع بين يدي عزيز، أو خليل في الدنيا، ولله در القائل : **سارت مشرقة وسرت مغربا شتان بين مشرق ومغرب**

فهلا حرصنا معاشر المسلمين، أن نجعل رأس مالنا مخافة الله تعالى، نذكره في كل حين، ونراقبه في جميع أعمالنا، ونبكي على ما فرطنا في جنب الله، خاصة في أوقات خلواتنا، حيث المطلع على قلوبنا هو الله وحده، عالم السر وأخفى ﴿ يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ ﴾[3]. عسى أن تفيض العيون مخافة الله، وترتعد الفرائص من خشيته سبحانه، وتلين الجلود بذكره، وتفوز أرواحنا وأجسادنا بظله، يوم القيامة يوم لا ظل إلا ظله، اللهم اجعلنا من المستظلين بظلك، واشملنا برحمتك، وعفوك عنا، يا أرحم الراحمين، فنحن عبادك المقرين بذنوبنا، والمعترفين بخطايانا، ولا يسعنا إلا عفوك وغفرانك.

ورابع المستظلين بظل الله، رجل قلبه معلق في المسجد، إنها ميزة عظيمة، وأخلاق كريمة، وسيرة حسنة، تدل على قوة الإيمان، ومتانة العقيدة، والصدق في العبادة والعمل، قادت صاحبها إلى أن يملك المسجد قلبه، ويأسر جوارحه، مما يجعل القلب معلقاً به، وإذا تعلق القلب بالمسجد؛ فإنه في واقع الحال معلق بالله تعالى، إذ المسجد هو بيت الله تعالى، والمساجد لله، وأنه لا يدعى، ولا يعبد في

---

[1] التوبة : 92

[2] سنن الترمذي، كتاب فضائل الجهاد عن رسول الله، باب ما جاء في فضل الحرس في سبيل الله

[3] غافر: 19

المساجد إلا الله ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾[1] ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ* رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ﴾[2] ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَى أُولَئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾[3].

فالمساجد هي بيوت العبادة، والطاعة والذكر والتلاوة، والتفقه في الدين، فمن تعلق قلبه بها، فقد تعلق قلبه بهذا الدين، وحمل لواء الدعوة إليه، وتخلق بأخلاقه الكريمة، يحب إخوته المسلمين، ويحرص على رعايتهم وصلاحهم، ويعمل جاهداً لأن يكونوا من رواد المسجد، حيث مائدة الرحمن، وعز الطاعة، ووحدة الجماعة، وهكذا كان دور مسجد النبي ﷺ في المدينة، فهو بيت العبادة، ودار القيادة، ومدرسة العلم والفقه، فيه تعقد راية الجهاد، وفيه تستقبل الوفود، ومنه تخرج قادة الدنيا، في كل فضل وعلم، أناروا الدنيا بجهادهم، وعلمهم، وأخلاقهم، ففتح الله عليهم، وتقاطر الناس وجهة دينهم الحنيف ﴿وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا﴾[4].

لقد تعلقت قلوبهم في المساجد، فأثمرت عزاً، ونصراً، وطاعةً، ورضي الله عنهم، ورضوا عنه، فرسالة المسجد لا تنتهي، إلى أن يرث الله الأرض وما عليها، ففي المسجد تقام صلاة الجماعة، التي حث عليها النبيﷺ ، وبين فضلها، فقال: "**صَلَاةُ الْجَمَاعَةِ تَفْضُلُ صَلَاةَ الْفَذِّ بِسَبْعٍ وَعِشْرِينَ دَرَجَةً**"[5].

وفي المسجد تقام صلاة الجمعة، وهي فريضة على رجال الأمة ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[6].

---

(1) الجن: 18
(2) النور: 36- 37
(3) التوبة: 18
(4) النصر: 2
(5) صحيح البخاري، كتاب الأذان، باب فضل صلاة الجماعة
(6) الجمعة: 9

ولقد كان للمسجد دوره على امتداد التاريخ الإسلامي، خاصة المساجد التي تشد إليها الرحال، ففي المدينة المنورة ومسجدها الشريف، كانت مدارس العلم؛ في الفقه، والتفسير، والحديث، وسائر العلوم الدينية، وكذلك في المسجد الحرام، والمسجد الأقصى المبارك، حيث شكلت هذه المساجد منارات للعبادة والعلم، على امتداد تاريخ المسلمين. وفي جنباتها كانت مدارس العلم، وكليات الشريعة، والجامعات، التي تحتوي شتى العلوم، وفنون العلم.

وكان المسجد حجر الزاوية في كل هذا، وقد شهد النبي ﷺ للرجل المتردد إلى المسجد بالإيمان، ففي الحديث الشريف " **إِذَا رَأَيْتُمْ الرَّجُلَ يَعْتَادُ الْمَسْجِدَ، فَاشْهَدُوا لَهُ بِالْإِيمَانِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى**: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾[1] "[2]، كيف لا؟ والمتردد إلى المسجد قد تعلق قلبه به، فاستحق هذه الشهادة بالخير والإيمان.

نسأل الله تعالى أن يجعلنا من رواد المساجد وعمارها، وممن تعلقت قلوبهم بها، حتى نفوز، إن شاء الله، بما وعد الله ورسوله، بظل الله يوم القيامة، يوم لا ظل إلا ظله، بفضل الله تعالى، وكرامة رسولنا الأسوة ﷺ.

وصلى الله وسلم وبارك، على سيدنا محمد، الأسوة، وعلى آله الطاهرين، وصحابته أجمعين، ومن اقتدى بهديه، واستن بسنته، إلى يوم الدين.

قال الرسول صلى الله عليه وسلم : (صَلَاةُ الْجَمَاعَةِ تَفْضُلُ صَلَاةَ الْفَذِّ بِسَبْعٍ وَعِشْرِينَ دَرَجَةً)

---

(1) التوبة:18

(2) سنن الترمذي، كتاب تفسير القرآن عن رسول الله ، باب من سورة التوبة

عشنا في الحلقتين السابقتين في ظلال الهدي النبوي الشريف، الذي يبين أصناف المستظلين بظل الله يوم القيامة، يوم لا ظل إلا ظله، وعد منهم الإمام العادل، والشاب الناشئ في عبادة الله، والرجل يذكر الله خالياً، فتفيض عيناه، ورجل قلبه معلق في المسجد، من خلال الحديث النبوي الشريف، الذي يرويه أبو هريرة ﷺ عن النبي ﷺ: "سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ يومَ القِيَامَةِ في ظِلِّهِ يومَ لا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ؛ إمامٌ عادلٌ، وَشَابٌّ نَشَأَ في عِبَادَةِ اللَّهِ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ في خَلاءٍ فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ في المَسْجِدِ، وَرَجُلانِ تَحَابَّا في اللَّهِ، وَرَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ إِلَى نَفْسِهَا، قَالَ: إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا، حَتَّى لَا تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا صَنَعَتْ يَمِينُهُ " [1]

وسنعرض في هذه الحلقة إلى أصناف أخرى يظلها الله في ظله يوم القيامة. ومنهم رجلان تحابا في الله، وقد ورد في روايات أخرى اجتمعا عليه، فما أعظم ثواب من تحابا في الله، واجتمعا على هذا الحب، من غير أرحام، أو مصالح، أو منافع دنيوية، بل كان حبهم بعضهم بعضاً ناتجاً عن صلة في العقيدة والدين، والأخوة الإيمانية والإسلامية، هذه الأخوة التي تعتبر من أقوى الروابط والأواصر بين أصحابها، وتسمو على سائر الروابط العرقية، والعائلية، والعشائرية، والقبلية، لأنها تنبع من العقيدة، والحب الصادق في الله، ولله تعالى، ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾[2] ﴿ . .يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ ﴾[3]، وقد ظهرت المحبة في الله تعالى واضحة جلية بين الصحابة الكرام، رضوان الله عليهم، الذين خرجتهم مدرسة الرسول الأسوة ﷺ.

---

[1] صحيح البخاري، كتاب الحدود، باب فضل من ترك الفواحش

[2] البقرة: 165

[3] المائدة: 54

فقد ذكر القرآن الكريم محبة الصحابة في الله، وايثارهم بعضهم بعضاً على أنفسهم، فقال تعالى بحق المهاجرين والأنصار: ﴿ وَالَّذِينَ تَبَوَّؤُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾[1].

كما بين سبحانه وتعالى محبة المؤمنين بعضهم بعضاً على مر العصور والأجيال، فقال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ جَاؤُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلّاً لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾[2].

ولقد سجلت كتب السيرة والتاريخ مآثر أصحاب النبي ﷺ، في محبتهم بعضهم بعضاً في الله، فهذا عمر الفاروق رضي الله عنه يقول بحق أبي بكر :"**إن ليلة لأبي بكر تعدل آل الخطاب**". والفاروق نفسه هو الذي افتتح البيعة لأبي بكر بالخلافة، بعد انتقال الرسول الأكرم ﷺ إلى الرفيق الأعلى، وخاطب أبا بكر قائلاً:" **لقد رضيك رسول الله لديننا**"- في إشارة إلى أمر الرسول ﷺ لأبي بكر، أن يصلي في الناس، لما اشتد المرض على الرسول ﷺ " **أما نرضاك لدنيانا، أبسط يدك نبايعك**". وكان رضي الله عنه أول المبايعين لأبي بكر بالخلافة، رضي الله عن أصحاب رسول الله ﷺ جميعاً [3].

وقد أرسل علي، كرم الله وجهه، ولديه الحسن والحسين يدافعان عن عثمان رضي الله عنه حينما حوصر من قبل المطالبين له بالتخلي عن الخلافة، وكثيرة هي مواقف الصحابة والتابعين لهم بإحسان في التعبير الحقيقي عن محبتهم بعضهم بعضاً في الله، وقد بين الحديث الشريف أن المجتمع الإيماني الذي التقى على الحب في الله، كالجسد الواحد، في قوله ﷺ:" **مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ، إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ، تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ**

---

[1] الحشر:9
[2] الحشر:10
[3] سيرة ابن هشام - خطبة عمر عند بيعة أبي بكر

والحمّى " [1] وقوله ﷺ:" لا تحاسدوا، ولا تناجشوا، ولا تباغضوا، ولا تدابروا، ولا يبع بعضكم على بيع بعضٍ، وكونوا عباد الله إخوانًا، المسلم أخو المسلم، لا يظلمه، ولا يخذله، ولا يحقره، التقوى هاهنا، ويشير إلى صدره ثلاث مرات، بحسب امرئ من الشّر أن يحقر أخاه المسلم، كل المسلم على المسلم حرام؛ دمه، وماله، وعرضه "[2]. وصدق الله العظيم:

﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾[3].

إنها صور الإيمان والحب الصادق في الله، تتجلى في نفوس المؤمنين، ويعبرون عن ذلك بمواقف الإيمان، الذي لا يدع مجالاً لشاك أن يشك أن هذه الرابطة، والعلاقة الإيمانية، والمحبة الخالصة في الله تعالى، هي وحدها التي جمعت بين أفراد المؤمنين، وجمعتهم على محبة رسولهم ﷺ، فقد ورد في الحديث الشريف أن "أعرابيًّا جهوري الصوت قال: يا محمد؛ الرجل يحب القوم ولما يلحق بهم، فقال رسول الله ﷺ: المرء مع من أحب "[4]، وأنزل الله قوله تعالى ﴿ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا ﴾[5].

فهلا اقتفينا إخوة الإيمان، هدي المصطفى ﷺ، وهدي أصحابه الكرام، رضوان الله عليهم، الذين تحابوا في الله، واجتمعوا على هذه المحبة والمودة الإيمانية، التي لا تشوبها شوائب الدنيا الزائلة، ولا تفسدها وساوس النفس الأمارة بالسوء، فكنا بحق إخوة في العقيدة والدين، وأن نعمل جاهدين، لإعادة هذه التربية الإيمانية، سلوكاً واقعاً في حياتنا، ينعكس على أعمالنا وحركاتنا وجوارحنا، وعندها نحقق المحبة في الله، فنكون ممن تشملهم رحمة الله تعالى في الدنيا وفي الآخرة، بالاستظلال بظل الله تعالى، يوم لا ظل إلا ظله، وذلك هو الفوز العظيم، بتحقيق

---

[1] صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب ، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم.

[2] صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره ودمه وعرضه وماله

[3] التوبة:71

[4] سنن الترمذي، كتاب الزهد عن رسول الله ، باب ما جاء أن المرء مع من أحب

[5] النساء:69

التأسي بالرسول الأسوة ﷺ، الذي بشر المتحابين في الله، بظل الله تعالى، يوم لا ظل إلا ظله، ففي الحديث القدسي يقول الله عز وجل : "إن من عبادي لعبادا يغبطهم الأنبياء والشهداء، قيل : من هم يا رسول الله لعلنا نحبهم ؟ قال: هم قوم تحابوا بروح الله على غير أموال ولا أنساب ، وجوههم نور على منابر من نور ، لا يخافون إذا خاف الناس ، ثم تلا هذه الآية، ﴿ أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾[1] "[2].

وصلى الله وسلم وبارك، على سيدنا محمد، الأسوة، وعلى آله الطاهرين، وصحابته أجمعين، ومن اقتدى بهديه، واستن بسنته، إلى يوم الدين .

عن النبي ﷺ قال: "سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ؛ إِمَامٌ عَادِلٌ، وَشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ اللَّهِ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ فِي خَلَاءٍ فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي الْمَسْجِدِ، وَرَجُلَانِ تَحَابَّا فِي اللَّهِ، وَرَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ إِلَى نَفْسِهَا، قَالَ: إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا، حَتَّى لَا تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا صَنَعَتْ يَمِينُهُ "

---

[1] يونس:62

[2] أخرجه البيهقي في شعب الإيمان عن أبي هريرة رضي الله عنه

نستظل بهدي النبي ﷺ، عسى أن نكون من المستظلين بظل الله تعالى، يوم القيامة، يوم لا ظل إلا ظله، وقد بيّنا في الحلقات السابقة، خمسة أصناف من الذين يظلهم الله بهذا الظل الكريم، يوم القيامة، مرتبين حسب ورودهم في الحديث الذي يرويه أبو هريرة رضي الله عنه: "**سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ؛ إِمَامٌ عَادِلٌ، وَشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ اللَّهِ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ فِي خَلَاءٍ فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي الْمَسْجِدِ، وَرَجُلَانِ تَحَابَّا فِي اللَّهِ، وَرَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ إِلَى نَفْسِهَا، قَالَ: إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا، حَتَّى لَا تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا صَنَعَتْ يَمِينُهُ**" [1].

وسنتعرض في هذه الحلقة إلى تتمة السبعة المذكورين في هذا الحديث الشريف، وهما: "**رَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ إِلَى نَفْسِهَا، قَالَ: إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا، حَتَّى لَا تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا صَنَعَتْ يَمِينُهُ**".

فكم هو محفوف بالملذات والشهوات هذا الموقف، من قبل رجل يخاف الله، ويراقبه في كل أعماله وتصرفاته، لا بل في جميع خطرات نفسه، وواردات قلبه، تدعوه امرأة ذات منصب وجمال، وهو بطبيعة الحال مكتمل الفحولة والرجولة، وكل المغريات قد تحققت في المرأة التي تدعوه إلى نفسها؛ فهي ذات منصب وجمال.

المنصب الذي يغري المدعو بالتقرب من صاحبه، إما رغبة، وإما رهبة، فهذه دعوة تقع بين الترغيب والترهيب، فإجابة دعوة ذات المنصب، ربما توصل ملبيها إلى كل ما يشتهيه في هذه الدنيا، من متعة ومتاع، ولكن في ظل معصية الله تعالى، وقد يتعرض الممتنع لأساليب الترهيب والتخويف من قبل صاحبة المنصب، لأنه خالف أمرها، ولم يلب رغبتها في مقارفة الجريمة والمعصية، ولكنها مخافة الله، التي تمكنت من قلب المدعو، فرأى الترغيب والترهيب حقيراً، في مقابل هذه المخافة، كما رأى أن العبد

---

[1] صحيح البخاري، كتاب الحدود، باب فضل من ترك الفواحش.

مهما كان منصبه وبطشه، فإنه يبقى ضعيفاً أمام سطوة الله وقدرته، ومن كان هذا حاله، فإنه لا يقارف الإثم، ولا يقع في الخطيئة، ولوكان الداعي له امرأة تملك المنصب، وتتحلى بالجمال.

فلا المنصب يغريه بالوقوع في الجريمة، كما لا يستدرجه الجمال لمقارفة الإثم، رغم أن المنصب والجمال من حبائل الفاحشة، ومن أقوى شباكها، فماذا نقول عن الذي يجري في أيامنا هذه، ممن يقترفون الفاحشة مع سقط النساء، وبائعات الهوى، في مواخير الرذيلة، والأماكن المهجورة، في وضع يترفع عنه الحيوان.

لذا كانت مخافة الله تعالى صمام الأمن والأمان من الوقوع في الجريمة، أو مقارفة المنكر والفاحشة، حتى لو كانت من تدعو لها امرأة ذات منصب وجمال، ولعل ذكر سيرة يوسف عليه السلام مع امرأة العزيز التي دعته إلى نفسها، وكانت ذات منصب وجمال، توضح مع توفر كل أسباب الوقوع في الفاحشة حصانة التقوى، وقوة الإيمان، وحضور المخافة من الله تعالى: ﴿وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾[1] ، فلما لم يجبها إلى رغبتها، استغلت منصبها، وادعت عليه باطلاً، بأنه أرادها بالسوء؛ فسيق إلى السجن الذي فضله يوسف عليه السلام على كيد النساء والوقوع في شباكهن ﴿قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ﴾[2]، وقد مدح الله تعالى المؤمنين بأنهم حافظون لفروجهم ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ * إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ﴾[3] واعتبر من تجاوز ذلك عادياً، فقال تعالى: ﴿فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ﴾[4]، كما وصف عباد الرحمن بأنهم لا يقتلون النفس، ولا يقترفون الفاحشة، فقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا

---

[1] يوسف:23

[2] يوسف:33

[3] المؤمنون:5-6

[4] المؤمنون:7

بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَاماً ﴾[1] ، وقرن الله تعالى نكاح الزناة بالشرك، فقال تعالى: ﴿ الزَّانِي لَا يَنكِحُ إلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴾[2].

فالذي يخاف الله لا يقع في هذه الفاحشة، ولو كانت الداعية له ذات منصب وجمال، فخشية الله ومخافته تحول بينه وبين الوقوع في الزنى، ومن كان كذلك، فهو جدير أن يظله الله في ظله، يوم القيامة، يوم لا ظل إلا ظله، نسأله تعالى أن يجنبنا الفواحش ما ظهر منها وما بطن، حتى نفوز بظل الله تعالى يوم الحشر والحساب.

وأما آخر السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله، فهو رجل تصدق بصدقة، فأخفاها، حتى لا تعلم شماله ما صنعت يمينه.

إنه الإخلاص في العبادة، حتى تكون مقبولة عند الله تعالى، يقول سبحانه وتعالى: ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ ﴾[3] ، وفي الحديث القدسي:"**قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنْ الشِّرْكِ، فَمَنْ عَمِلَ لِي عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ غَيْرِي، فَأَنَا مِنْهُ بَرِيءٌ، وَهُوَ لِلَّذِي أَشْرَكَ** "[4].

لذا فليحرص المسلم أن تكون جميع عباداته وتصرفاته وأفعاله، بعيدة عن أي مظهر من مظاهر الشرك والرياء والسمعة، حتى تكون مقبولة عند الله تعالى، وقد فضح الله نوايا المنافقين، فقال تعالى ﴿ . . . وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلاً ﴾[5] وكذب دعواهم، فقال تعالى ﴿ إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ ﴾[6]

ووصف الله تعالى الصادقين في عبادتهم لله سبحانه بقوله ﴿ وَيَدْعُونَنَا رَغَباً وَرَهَباً وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ ﴾[7].

---

(1) الفرقان:68

(2) النور:3

(3) البينة:5

(4) سنن ابن ماجه، كتاب الزهد ، باب الرياء والسمعة

(5) النساء:142

(6) المنافقون:1

(7) الأنبياء:90

ويبكي سيد الخلق أجمعين حتى تبتل لحيته، وأرض سجوده، مخافة الله تعالى، فقد سألت أم المؤمنين عائشة، رضي الله عنها، عن أمر رسول الله ﷺ فقالت:" **كان كل أمره عجباً، أتاني في ليلتي التي يكون فيها عندي، فاضطجع بجنبي حتى مس جلدي جلده، ثم قال: يا عائشة ألا تأذنين لي أن أتعبد ربي عز وجل؟ فقلت: يارسول الله: والله إني لأحب قربك وأحب هواك** [1]، **قالت: فقام إلى قربة من ماء في البيت، فتوضأ، ولم يكثر صب الماء، ثم قام يصلي، ويتهجد، فبكى في صلاته، حتى بل لحيته، ثم سجد فبكى، حتى بلّ الأرض، ثم اضطجع على جنبه، فبكى، حتى إذا أتى بلال يؤذنه بصلاة الفجر، رآه يبكي، فقال: يا رسول الله؛ ما يبكيك، وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ فقال له: ويحك يا بلال، وما يمنعني أن أبكي، وقد أنزل الله عليّ في هذه الليلة هذه الآيات** : ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ [2] **فقرأها إلى آخر السورة، ثم قال: ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها** "[3].

إنه الإخلاص في العبادة والطاعة، وإخفاء ذلك عن العباد، ليكون أدعى للقبول عند الله تعالى الذي يطلع على النوايا، وعلى السر وأخفى.

نسأل الله تعالى أن يوفقنا لاتباع هدي رسولنا الأسوة ﷺ، في جميع أعمالنا، وأقوالنا، وأن يحفظنا بحفظه، من الوقوع في الخطايا والآثام، حتى نكون بعونه وتوفيقه ممن يفوز بظله، يوم القيامة، يوم لا ظل إلا ظله، وذلك بواسع فضله ورحمته، ثم ببركة التأسي بأسوتنا وقدوتنا رسولنا الأسوة، صلى الله عليه، وآله، وسلم، ورضي الله عن صحابته أجمعين، ومن تبعهم، وسار على نهجهم بإحسان، إلى يوم الدين، آمين يا رب العالمين.

وفي الحديث القدسي:"**قَالَ اللَّهُ عَزَّ وجلَّ: أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنْ الشِّرْكِ، فَمَنْ عَمِلَ لِي عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ غَيْرِي، فَأَنَا مِنْهُ بَرِيءٌ، وَهُوَ لِلَّذِي أَشْرَكَ** "

[1] أي أحب ألاّ تفارقني وأحب مايسرك مما تهواه

[2] آل عمران:190

[3] أخرجه العراقي في تخريج الأحياء روته السيدة عائشة، رضي الله عنها

يفرح بمولده وبعثته

13/ربيع الأول/1429هـ وفق 2008/3/21م

نود التوقف هنا عند جواب النبي ﷺ، حينما سئل عن صوم يوم الاثنين، فقال:" ... **ذَاكَ يَومٌ وُلِدْتُ فِيه، وَيَوْمٌ بُعِثْتُ، أَوْ أُنْزِلَ عَلَيَّ فِيه...** "[1]

إن هذه الإجابة الشاملة الوافية من رسول الله ﷺ عن صيام يوم الاثنين، وهو من الصيام المسنون أو المندوب الذي دعا إليه النبي ﷺ كدعوته لصيام يوم الخميس، وغيره من الأيام؛ كثلاثة أيام من كل شهر، أو صيام الأيام البيض، وغيرها من صيام النافلة، التي وردت بها السنة النبوية الشريفة.

وحينما نمعن النظر في هذا الجواب النبوي الشريف، نجد الإشارة الواضحة، والبيان الصريح، إلى اختيار صوم يوم الاثنين.

فهو يوم مولد النبي ﷺ، وهذه نعمة عظيمة على رسول الله ﷺ، وعلى الناس جميعاً، فقد اصطفى الله تعالى سيد خلقه، وأبرزه إلى هذا الوجود رحمة عامة، ونعمة سابغة، وخير شاكر لنعم الله تعالى، هو الرسول ﷺ، الذي عبر عن هذه الفرحة ـ فرحة الإيجاد والخلق والإبراز والبعث برسالة التوحيد والإسلام وإنزال القرآن الكريم على قلبه الشريف ـ بصيام اليوم الذي ولد فيه.

ولذا نبه ﷺ إلى هذه النعم فقام بواجب الشكر فصام يوم الاثنين، هذا الصيام الذي يعتبر سنة ماضية في أمته، تنال به ثواب الشكر، كما تعبر عن فرحتها وابتهاجها بيوم ولادة النبي ﷺ ، ويوم بعثته، يوم نزل أمين الوحي جبريل عليه السلام، لينير هذه الأرض بهداية الله، ورسالة الإسلام العظيم، هذه الرسالة التي اختار الله لها صفوته من خلقه، فجعله مسك ختام الأنبياء والمرسلين، وجعل رسالته عامة للعالمين ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾[2].

ولهذا المعنى يشير ﷺ في حديثه الشريف:" **أُعْطِيتُ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ قَبْلِي؛ نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ، وَجُعِلَتْ لِي الْأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا، وَأَيُّمَا رَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي أَدْرَكَتْهُ**

---

[1] صحيح مسلم، كتاب الصيام، باب استحباب صيام ثلاثة أيام من كل شهر وصوم يوم عرفة

[2] سبأ:28

الصَّلاةُ فَلْيُصَلِّ، وَأُحِلَّتْ لِي الغَنَائِمُ، وَكَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً، وَبُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ كَافَّةً، وَأُعْطِيتُ الشَّفَاعَةَ "[1]

فالرسول ﷺ لم يخف فرحته بهذا اليوم العظيم؛ يوم ولد، ويوم بعث، فالصلاة والسلام عليه، يوم ولد، ويوم بعث، وفي كل آن وحين، فالفرح به ﷺ مطلوب بأمر القرآن الكريم، في قوله تعالى : ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾[2] ، فهو ﷺ الرحمة المهداة من الحق للخلق : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾[3] .

وأي فرحة أكبر من فرحة المسلم بمولد النبي ﷺ وبعثه، إنها فرحة الفضل والخير، فرحة الإيمان، الفرحة بالهداية التي أخرجتنا من الظلمات إلى النور، وجعلت من أعراب الجاهلية العتاة؛ عباد الصنم والوثن، الذين يحتربون السنين الطويلة من أجل ناقة، أو بعير، أو شتيمة، تحكمهم العصبيات، وتثيرهم النعرات، لقد جعلت منهم بعثة النبي ﷺ خير أمة أخرجت للناس ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ . .﴾[4] كما كنا بفضل الله بمولد هذا النبي وبعثته شهداء على الأمم، والرسول شاهد علينا ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِّتَكُونُواْ شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً﴾[5] اللهم وفقنا لشكرك، وذكرك، وحسن عبادتك، واكتبنا من المشمولين بشفاعة سيد خلقك، حتى نؤدي الشهادة بتوفيقك وفضلك .

والرسول ﷺ حريص على شكر الله على نعمه، فهو يلاحظ ارتباط الزمان بالحوادث العظمى التي مضت وانقضت، فإذا جاءت ذكراها مع تقلب الزمان، كانت فرصة لتذكرها، وتعظيم يومها وشأنها، لأن الأيام ظرف الحوادث الكبرى، فقد ورد عنه ﷺ أنه لما وصل المدينة المنورة، ورأى اليهود يصومون يوم عاشوراء، سأل عن ذلك فقالوا:" **هَذَا يَوْمٌ عَظِيمٌ، وَهُوَ يَوْمٌ نَجَّى اللَّهُ فِيهِ**

---

[1] صحيح البخاري، كتاب الصلاة ، باب قول النبي ﷺ جعلت لي الأرض مسجدا

[2] يونس:58

[3] الأنبياء:107

[4] آل عمران:110

[5] البقرة:143

مُوسَى وَأَغْرَقَ آلَ فِرْعَوْنَ، فَصَامَ مُوسَى شُكْرًا لِلَّهِ، فَقَالَ: أَنَا أَوْلَى بِمُوسَى مِنْهُمْ، فَصَامَهُ وَأَمَرَ بِصِيَامِهِ"[1]

واليوم هو يوم عاشوراء .

فالرسول ﷺ يؤدي الشكر على هذه النعمة التي نجى الله فيها موسى عليه السلام من عدوه فرعون، وهذا هو نهج النبي ﷺ في الشكر على النعم التي أنعمها الله عليه، وعلى أمته وعلى الأنبياء والمرسلين قبله، لأن الإسلام دين الأنبياء، عليهم السلام جميعاً، فهو ﷺ دعوة إبراهيم، التي سجلها القرآن الكريم في قوله تعالى : ﴿ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ العَزِيزُ الحَكِيمُ ﴾[2]، وهو بشارة عيسى عليه السلام التي ذكرها القرآن الكريم بقوله: ﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾[3]، وقد أخذ الله تعالى ميثاق الأنبياء على تعظيمه، ونصرته، والإيمان به، في قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّيْنَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَاْ مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ ﴾[4].

إنه الرسول الأسوة ﷺ الذي لم يدع واجب الشكر على نعم الله طرفة عين، فقد ورد أنه " قَامَ حَتَّى وَرِمَتْ قَدَمَاهُ، قَالُوا: قَدْ غَفَرَ اللَّهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ، وَمَا تَأَخَّرَ، قَالَ: أَفَلَا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا"[5] .

إنه لمن الوفاء والإيمان، وكمال المحبة لله ولرسوله، أن نفرح بيوم مولد النبي ﷺ، فرحنا بيوم بعثته، ونحيي سنته الشريفة، ونسير على هديه، وننشر أعلام سيرته المطهرة بذكر شمائله، ومحاسنه،

---

[1] صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء ، باب قول الله تعالى وهل أتاك حديث موسى وكلم الله موسى تكليما

[2] البقرة:129

[3] الصف:6

[4] آل عمران:81

[5] صحيح مسلم، كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب إكثار الأعمال والاجتهاد في العبادة

وأخلاقه، ومكارمه، ونكثر من مجالس الصلاة والسلام عليه، فهي مجالس تتنزل فيها الرحمات، وتمحى الزلات، بفضل الله تعالى، ثم ببركة النبي ﷺ، فقد ورد في الحديث الشريف: " **مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلاةً؛ لَمْ تَزَلِ الْمَلَائِكَةُ تُصَلِّي عَلَيْهِ، مَا صَلَّى عَلَيَّ، فَلْيُقِلَّ عَبْدٌ مِنْ ذَلِكَ، أَوْ لِيُكْثِرْ**"[2]، كما أمرنا الله تعالى في كتابه الكريم بالصلاة على الحبيب المصطفى ﷺ، فقال تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً ﴾[3].

اللهم صلي على سيدنا محمد، وعلى آله، وأصحابه أجمعين، فما أحرانا إخوة الإيمان وقد فرح رسول الله ﷺ بيوم مولده، ويوم بعثته، وشكر الله على ذلك بصيام يوم الاثنين ، أن نفرح بذلك، تأسياً برسولنا الأسوة ﷺ، وبهذا نكون قد أدينا بعض واجب الشكر على هذه النعمة العظيمة، بمولد المصطفى ﷺ رسول الله للخلق أجمعين، ورحمته للعالمين.

وصلى الله وسلم وبارك، على حبيبنا، وقدوتنا، وشفيعنا، يوم مولده ، ويوم بعثته، إلى أن نرد عليه الحوض، فنشرب من يده الشريفة شربة لا نظمأ بعدها أبداً .آمين آمين آمين يا رب العالمين.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (قَامَ حَتَّى وَرِمَتْ قَدَمَاهُ، قَالُوا: قَدْ غَفَرَ اللَّهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ، وَمَا تَأَخَّرَ، قَالَ: أَفَلَا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا)

---

[1] مسند أحمد، مسند المكيين ، حديث عامر بن ربيعة رضي الله عنه

[2] الأحزاب:56

يعلمنا الوفاء للأصحاب وحبهم

يشكو الناس أحياناً من أزمة في الصداقة، حين يجد المرء صديقه يقف إلى جانبه حال رخائه، ويفقده في أزماته، وفي هذا يقول الإمام الشافعي:

ولا خير في ود امــــرىء متلون إذا الريح مالت مال حيث تميل
جواد إذا استغنيت عن أخذ ماله وعند احتمال الفقر عنك بخيل
فما أكثر الإخــوان حين تعدهم ولكنهم في النائبات قليــــل

وفي المقابل؛ فإن الناس يفاخرون بالصديق الوفي، الذي يساند صديقه في السراء والضراء، يشاركه في أفراحه وأتراحه، وفي مدرسة النبوة ما يعزز الصداقة الطيبة، ويوطد دعائمها، فالرسول ﷺ حرص على كرامة أصحابه، فحرم سبهم، بقوله: " لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي، لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا، مَا أَدْرَكَ مُدَّ أَحَدِهِمْ، وَلَا نَصِيفَهُ"[1].

بل إنه ﷺ حرص على مصير أصحابه ونجاتهم في الآخرة، فعن النبي ﷺ قال: " يَرِدُ عَلَى الْحَوْضِ رِجَالٌ مِنْ أَصْحَابِي فَيُحَلَّئُونَ[2] عَنْهُ، فَأَقُولُ: يَا رَبِّ أَصْحَابِي، فَيَقُولُ: إِنَّكَ لَا عِلْمَ لَكَ بِمَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ، إِنَّهُمْ ارْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِهِمْ الْقَهْقَرَى"[3].

فلم يغفل ﷺ عن أصحابه، وهو في غمرة السرور عند حوضه الكريم، فيسأل الله أن يجمع شملهم به، لكن الله يخبره بما أحدث الصنف الذي حيل بينه وبينهم، وهم في الغالب جماعة المنافقين، الذين تظاهروا بالإسلام ومصاحبة النبي ﷺ رياء ونفاقاً.

ومن وفائه ﷺ لأصحابه المحافظة على زيارة صديقه أبي بكر في بيته، وإصراره على أن يرافقه في رحلة الهجرة من مكة إلى المدينة المنورة، ففي حديث طويل عن عائشة، رضي الله عنها، زوج النبي

(1) صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب تحريم سب الصحابة رضي الله عنهم
(2) يحلئون: يُصَدُّون عنه ويُمنَعون من وُروده
(3) صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب في الحوض

ﷺ قالت: " لم أعقل أبوي قط إلا وهما يدينان الدين، ولم يمر علينا يوم إلا يأتينا فيه رسول الله ﷺ طرفي النهار، بكرة وعشية ، وأنه لما هاجر من هاجر قبل المدينة، ورجع عامة من كان هاجر بأرض الحبشة إلى المدينة، وتجهز أبو بكر قبل المدينة، فقال له رسول الله ﷺ: على رسلك فإني أرجو أن يؤذن لي، فقال أبو بكر: وهل ترجو ذلك، بأبي أنت، قال: نعم، فحبس أبو بكر نفسه على رسول الله ﷺ ليصحبه، وعلف راحلتين كانتا عنده ورق السمر؛ وهو الخبط، أربعة أشهر، قالت عائشة: فبينما نحن يوما جلوس في بيت أبي بكر في نحر الظهيرة، قال قائل لأبي بكر: هذا رسول الله ﷺ متقنعا في ساعة لم يكن يأتينا فيها، فقال أبو بكر: فداء له أبي وأمي، والله ما جاء به في هذه الساعة إلا أمر، قالت: فجاء رسول الله ﷺ فاستأذن، فأذن له فدخل، فقال النبي ﷺ لأبي بكر: أخرج من عندك، فقال أبو بكر: إنما هم أهلك بأبي أنت يا رسول الله، قال: فإني قد أذن لي في الخروج، فقال أبو بكر: الصحابة بأبي أنت يا رسول الله، قال رسول الله ﷺ: نعم، قال أبو بكر: فخذ بأبي أنت يا رسول الله إحدى راحلتي هاتين، قال رسول الله ﷺ: بالثمن، قالت عائشة: فجهزناهما أحث الجهاز.."[1]

وكان ﷺ يذكر حاجة أصحابه، ولم يستأثر بتحقيق مصالحه دونهم، فلما جاع ذكر جوعهم، ولما جاءه الطعام أطعمهم ، ثم أكل من نفس الزاد، عن أنس بن مالك قال: " قال أبو طلحة لأم سليم: لقد سمعت صوت رسول الله ﷺ ضعيفا، أعرف فيه الجوع، فهل عندك من شيء؟ قالت: نعم، فأخرجت أقراصا من شعير، ثم أخرجت خمارا لها، فلفت الخبز ببعضه، ثم دسته تحت يدي ولاثتني ببعضه، ثم أرسلتني إلى رسول الله ﷺ قال: فذهبت به فوجدت رسول الله ﷺ في المسجد، ومعه الناس، فقمت عليهم، فقال لي رسول الله ﷺ: آرسلك أبو طلحة؟ فقلت: نعم، قال: بطعام؟ فقلت: نعم، فقال رسول الله ﷺ لمن معه: قوموا فانطلق وانطلقت بين أيديهم، حتى جئت أبا طلحة، فأخبرته، فقال أبو طلحة: يا أم سليم؛ قد جاء رسول الله ﷺ بالناس وليس عندنا ما نطعمهم، فقالت: الله ورسوله أعلم، فانطلق أبو طلحة حتى لقي رسول الله ﷺ فأقبل رسول الله ﷺ وأبو طلحة معه، فقال رسول الله ﷺ: هلمي يا أم سليم، ما

---

[1] صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب هجرة النبي ﷺ وأصحابه إلى المدينة

عِنْدَكِ؟ فَأَتَتْ بِذَلِكَ الْخُبْزِ، فَأَمَرَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَفُتَّ وَعَصَرَتْ أُمُّ سُلَيْمٍ عُكَّةً، فَأَدَمَتْهُ، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِيهِ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَقُولَ، ثُمَّ قَالَ: ائْذَنْ لِعَشَرَةٍ، فَأَذِنَ لَهُمْ فَأَكَلُوا حَتَّى شَبِعُوا، ثُمَّ خَرَجُوا، ثُمَّ قَالَ: ائْذَنْ لِعَشَرَةٍ، فَأَذِنَ لَهُمْ، فَأَكَلُوا حَتَّى شَبِعُوا، ثُمَّ خَرَجُوا، ثُمَّ قَالَ: ائْذَنْ لِعَشَرَةٍ، فَأَذِنَ لَهُمْ، فَأَكَلُوا حَتَّى شَبِعُوا، ثُمَّ خَرَجُوا، ثُمَّ قَالَ: ائْذَنْ لِعَشَرَةٍ، فَأَكَلَ الْقَوْمُ كُلُّهُمْ، وَشَبِعُوا، وَالْقَوْمُ سَبْعُونَ، أَوْ ثَمَانُونَ رَجُلًا"[1].

وعلمنا الرسول الأسوة ﷺ الوفاء للصاحب في كل الأحوال والظروف، فكان يبر صديقات صاحبته خديجة، رضي الله عنها، بعد موتها، وفاء لها، عن عائشة قالت: " كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا ذَبَحَ الشَّاةَ، فَيَقُولُ: أَرْسِلُوا بِهَا إِلَى أَصْدِقَاءِ خَدِيجَةَ، قَالَتْ: فَأَغْضَبْتُهُ يَوْمًا، فَقُلْتُ خَدِيجَةَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: إِنِّي قَدْ رُزِقْتُ حُبَّهَا "[2]، وعلمنا ﷺ الوفاء للأصدقاء من خلال إرشادنا إلى بر الوالدين بعد وفاتهما، بإكرام صديقهما، عن أبي أسيد مالك بن ربيعة الساعدي، قال:" بَيْنَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِذْ جَاءَهُ رَجُلٌ مِنْ بَنِي سَلَمَةَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ؛ هَلْ بَقِيَ مِنْ بِرِّ أَبَوَيَّ شَيْءٌ أَبَرُّهُمَا بِهِ بَعْدَ مَوْتِهِمَا؟ قَالَ: نَعَمْ؛ الصَّلَاةُ عَلَيْهِمَا، وَالِاسْتِغْفَارُ لَهُمَا، وَإِنْفَاذُ عَهْدِهِمَا مِنْ بَعْدِهِمَا، وَصِلَةُ الرَّحِمِ الَّتِي لَا تُوصَلُ إِلَّا بِهِمَا، وَإِكْرَامُ صَدِيقِهِمَا "[3]، وقد أرشدنا ﷺ إلى الإفصاح عن حب الصاحب، وإبلاغه بذلك، فقال:" إِذَا أَحَبَّ الرَّجُلُ أَخَاهُ فَلْيُخْبِرْهُ أَنَّهُ يُحِبُّهُ "[4].

وروي أن رجلا كان عند النبي ﷺ فمر به رجل فقال: " يَا رَسُولَ اللَّهِ: إِنِّي لَأُحِبُّ هَذَا، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: أَعْلَمْتَهُ؟ قَالَ: لَا، قَالَ :أَعْلِمْهُ، قَالَ: فَلَحِقَهُ فَقَالَ: إِنِّي أُحِبُّكَ فِي اللَّهِ، فَقَالَ :أَحَبَّكَ الَّذِي أَحْبَبْتَنِي لَهُ " [5]

وإلى جانب حرصه ﷺ على حب أصحابه، والوفاء لهم، وحثه على الإفصاح عن هذا الحب، فإنه نهى عن المغالاة المفرطة في ذلك، حتى لا تخرج الأمور عن نصابها الصحيح، عن عبد الرحمن بن أبي بكرة، عن أبيه، قال: " مَدَحَ رَجُلٌ رَجُلًا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: فَقَالَ: وَيْحَكَ ، قَطَعْتَ عُنُقَ

---

[1] صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام

[2] صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل خديجة أم المؤمنين رضي الله تعالى عنها

[3] سنن أبي داود، كتاب الأدب، باب في بر الوالدين

[4] سنن أبي داود، كتاب الأدب، باب إخبار الرجل الرجل بمحبته إياه

[5] سنن أبي داود، كتاب الأدب، باب إخبار الرجل الرجل بمحبته إياه

صَاحِبِكَ، قَطَعْتَ عُنُقَ صَاحِبِكَ، مِرَارًا، إِذَا كَانَ أَحَدُكُمْ مَادِحًا صَاحِبَهُ لَا مَحَالَةَ، فَلْيَقُلْ: أَحْسِبُ فُلَانًا وَاللَّهُ حَسِيبُهُ، وَلَا أُزَكِّي عَلَى اللَّهِ أَحَدًا، أَحْسِبُهُ، إِنْ كَانَ يَعْلَمُ ذَاكَ كَذَا وَكَذَا " [1].

وحذرنا ﷺ عما يتناقض مع الوفاء للصاحب، فنهى عن تضليله وخداعه، فقال: " كَبُرَتْ خِيَانَةً، أَنْ تُحَدِّثَ أَخَاكَ حَدِيثًا، هُوَ لَكَ بِهِ مُصَدِّقٌ، وَأَنْتَ لَهُ بِهِ كَاذِبٌ "[2].

وأخبرنا أسوتنا ﷺ، عن بعض الجزاء الذي أعده الله للأصحاب المتحابين في الله، فذكرهم من بين السبعة الذين يظلهم الله بظله في الآخرة، عن أبي هريرة، عن النبيﷺ قال "سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ؛ إِمَامٌ عَادِلٌ، وَشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ اللَّهِ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ فِي خَلَاءٍ فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي الْمَسْجِدِ، وَرَجُلَانِ تَحَابَّا فِي اللَّهِ، وَرَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ إِلَى نَفْسِهَا، قَالَ: إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا، حَتَّى لَا تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا صَنَعَتْ يَمِينُهُ " [3]

جعلنا الله تعالى من هؤلاء السبعة، ومن الذين يحبون الصديق، ويبرون الصاحب.

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد، وعلى آله الطاهرين، وصحابته العز الميامين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

وروي أن رجلا كان عند النبيﷺ فمر به رجل فقال: " يَا رَسُولَ اللَّهِ: إِنِّي لَأُحِبُّ هَذَا، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّﷺ: أَعْلَمْتَهُ؟ قَالَ: لَا، قَالَ: أَعْلِمْهُ، قَالَ: فَلَحِقَهُ فَقَالَ: إِنِّي أُحِبُّكَ فِي اللَّهِ، فَقَالَ: أَحَبَّكَ الَّذِي أَحْبَبْتَنِي لَهُ "

---

[1] صحيح مسلم، كتاب الزهد والرقائق، باب النهي عن المدح إذا كان فيه إفراط وخيف منه فتنة

[2] سنن أبي داود، كتاب الأدب، باب في المعاريض

[3] صحيح البخاري، كتاب الحدود، باب فضل من ترك الفواحش

روى عبد الله بن عمر، رضي الله عنهما، قال:" بَيْنَمَا ثَلَاثَةُ نَفَرٍ يَتَمَشَّوْنَ ، فَأَوَوْا إِلَى غَارٍ فِي جَبَلٍ، فَانْحَطَّتْ عَلَى فَمِ غَارِهِمْ صَخْرَةٌ مِنَ الْجَبَلِ، فَانْطَبَقَتْ عَلَيْهِمْ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: انْظُرُوا أَعْمَالًا عَمِلْتُمُوهَا صَالِحَةً لِلَّهِ، فَادْعُوا اللَّهَ تَعَالَى بِهَا، لَعَلَّ اللَّهَ يُفَرِّجُهَا عَنْكُمْ، فَقَالَ أَحَدُهُمْ: اللَّهُمَّ! إِنَّهُ كَانَ لِي وَالِدَانِ شَيْخَانِ كَبِيرَانِ، وَامْرَأَتِي، وَلِي صِبْيَةٌ صِغَارٌ، أَرْعَى عَلَيْهِمْ، فَإِذَا أَرَحْتُ عَلَيْهِمْ، حَلَبْتُ، فَبَدَأْتُ بِوَالِدَيَّ، فَسَقَيْتُهُمَا قَبْلَ بَنِيَّ، وَأَنَّهُ نَأَى بِي ذَاتَ يَوْمٍ الشَّجَرُ، فَلَمْ آتِ حَتَّى أَمْسَيْتُ، فَوَجَدْتُهُمَا قَدْ نَامَا، فَحَلَبْتُ كَمَا كُنْتُ أَحْلُبُ، فَجِئْتُ بِالْحِلَابِ، فَقُمْتُ عِنْدَ رُؤُوسِهِمَا، أَكْرَهُ أَنْ أُوقِظَهُمَا مِنْ نَوْمِهِمَا، وَأَكْرَهُ أَنْ أَسْقِيَ الصِّبْيَةَ قَبْلَهُمَا، وَالصِّبْيَةُ يَتَضَاغَوْنَ عِنْدَ قَدَمَيَّ، فَلَمْ يَزَلْ ذَلِكَ دَأْبِي وَدَأْبَهُمْ، حَتَّى طَلَعَ الْفَجْرُ، فَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ، فَافْرُجْ لَنَا مِنْهَا فُرْجَةً، نَرَى مِنْهَا السَّمَاءَ، فَفَرَجَ اللَّهُ مِنْهَا فُرْجَةً، فَرَأَوْا مِنْهَا السَّمَاءَ، وَقَالَ الْآخَرُ: اللَّهُمَّ! إِنَّهُ كَانَتْ لِي ابْنَةُ عَمٍّ، أَحْبَبْتُهَا كَأَشَدِّ مَا يُحِبُّ الرِّجَالُ النِّسَاءَ، وَطَلَبْتُ إِلَيْهَا نَفْسَهَا، فَأَبَتْ حَتَّى آتِيَهَا بِمِائَةِ دِينَارٍ، فَتَعِبْتُ حَتَّى جَمَعْتُ مِائَةَ دِينَارٍ، فَجِئْتُهَا بِهَا، فَلَمَّا وَقَعْتُ بَيْنَ رِجْلَيْهَا، قَالَتْ: يَا عَبْدَ اللَّهِ؛ اتَّقِ اللَّهَ، وَلَا تَفْتَحِ الْخَاتَمَ إِلَّا بِحَقِّهِ، فَقُمْتُ عَنْهَا، فَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ، فَافْرُجْ لَنَا مِنْهَا فُرْجَةً، فَفَرَجَ لَهُمْ، وَقَالَ الْآخَرُ: اللَّهُمَّ! إِنِّي كُنْتُ اسْتَأْجَرْتُ أَجِيرًا بِفَرَقِ أَرُزٍّ، فَلَمَّا قَضَى عَمَلَهُ، قَالَ: أَعْطِنِي حَقِّي، فَعَرَضْتُ عَلَيْهِ فَرَقَهُ، فَرَغِبَ عَنْهُ، فَلَمْ أَزَلْ أَزْرَعُهُ حَتَّى جَمَعْتُ مِنْهُ بَقَرًا وَرِعَاءَهَا، فَجَاءَنِي فَقَالَ: اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تَظْلِمْنِي حَقِّي، قُلْتُ: اذْهَبْ إِلَى تِلْكَ الْبَقَرِ وَرِعَائِهَا، فَخُذْهَا، فَقَالَ: اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تَسْتَهْزِئْ بِي، فَقُلْتُ: إِنِّي لَا أَسْتَهْزِئُ بِكَ، خُذْ ذَلِكَ الْبَقَرَ وَرِعَاءَهَا، فَأَخَذَهُ، فَذَهَبَ بِهِ، فَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ، فَافْرُجْ لَنَا مَا بَقِيَ، فَفَرَجَ اللَّهُ مَا بَقِيَ " . وفي رواية: سمعت رسول الله ﷺ يقول " انْطَلَقَ ثَلَاثَةُ رَهْطٍ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، حَتَّى آوَاهُمُ الْمَبِيتُ إِلَى غَارٍ، وَاقْتَصَّ الْحَدِيثَ بِمَعْنَى حَدِيثِ نَافِعٍ عَنِ ابْنِ عُمَرَ، غَيْرَ أَنَّهُ قَالَ: قَالَ رَجُلٌ مِنْهُمْ: اللَّهُمَّ! كَانَ لِي أَبَوَانِ شَيْخَانِ

كَبِيرَانِ، فَكُنْتُ لَا أَغْبِقُ قَبْلَهُمَا أَهْلًا، وَلَا مَالًا، وَقَالَ: فَامْتَنَعَتْ مِنِّي، حَتَّى أَلَمَّتْ بِهَا سَنَةٌ مِنَ السِّنِينَ، فَجَاءَتْنِي، فَأَعْطَيْتُهَا عِشْرِينَ وَمِائَةَ دِينَارٍ، وَقَالَ: فَثَمَّرْتُ أَجْرَهُ حَتَّى كَثُرَتْ مِنْهُ الْأَمْوَالُ، فَارْتَعَجَتْ، وَقَالَ فَخَرَجُوا مِنَ الْغَارِ يَمْشُونَ "[1].

في هذا الحديث النبوي الشريف توجيه عظيم، وإرشاد كريم، بوجوب إخلاص النوايا لله تعالى في الأعمال والأقوال، فقبول الأعمال أو الأقوال عند الله تعالى، مرتبط بنوايا فاعليها، والله سبحانه وتعالى يعلم السر وأخفى، ويعلم ما تخفي الصدور من النوايا، إذ مدار قبول الأعمال والأقوال مرتبط بنية فاعليها أو قائليها، فإذا خلصت النية لله في القول والعمل، كان ذلك أقرب للقبول، فالله تعالى لا يقبل من الأعمال أو الأقوال إلا ما كان خالصاً لوجهه، بعيداً عن كل مظاهر الشرك أو الرياء، المحبطان للعمل، يقول سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾[2]، ﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[3]، وجعل سبحانه وتعالى نوال البر مبنياً على الإنفاق مما نحب، فقال جل من قائل: ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾[4]، ونهى عن القصد إلى الخبيث في الإنفاق، فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾[5]، وفي الحديث الشريف: " إِنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا، وَإِنَّ اللَّهَ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ......."[6] .

---

[1] صحيح مسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب قصة أصحاب الغار الثلاثة والتوسل بصالح الأعمال
[2] البينة:5
[3] البقرة:284
[4] آل عمران:92
[5] البقرة:267
[6] صحيح مسلم، كتاب الزكاة ، باب قبول الصدقة من الكسب الطيب وتربيتها

وقد يمتحن الله تعالى عباده ليمحص نواياهم وأعمالهم، ويكشف لهم عن وجه حكمته، ورضاه عنهم، في هذا التمحيص أو الابتلاء ﴿ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾[1] ﴿ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاءَ ﴾[2] .

وقد مر هؤلاء النفر الذين ذكرهم الرسول الأسوة ﷺ في هذا الحديث بامتحان عملي ملموس ومحسوس؛ فقد انزلقت الصخرة على باب الغار الذي آواهم، ولا سبيل للخروج بعمل مادي يقومون به، فلا طاقة لهم بزحزحة الصخرة، كما لا غوث يأتيهم في هذا الخلاء البعيد عن الأحياء. وقد انطبق على حالهم هذا قول الحق تعالى: ﴿ لَّا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ﴾[3]، فلجأوا إلى الله، يدعونه ويتوسلون إليه بصالح أعمالهم وخالص نواياهم، أن يفرج عنهم ما هم فيه من الكرب والبلاء، ويستجيب لهم، من يجيب المضطر إذا دعاه؟! ﴿ أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾[4].

فقد التجأوا إلى الله يدعونه بصالح أعمالهم التي أخلصوا فيها نواياهم لله، وهو العالم بصالح الأعمال، وصدق التوجه والنوايا. فوافق توسلهم لله بصالح أعمالهم قبول الدعاء والتوسل، لأن الأعمال خالصة النوايا لله منهم قد قبلها الله جل وعلا.

فأما أول الثلاثة ، وكان باراً بوالديه ومخلصاً لله في هذا البر، فلم يقدم على رضى الوالدين وبرهما ولداً ولا أهلاً ولا مالاً، فأول درجات رعايته يخص بها والديه، رحمة بهما، وصلة لهما، متذكراً برهما، وحنوهما عليه حال صغره، وقد سجل القرآن بنور مبين بر الوالدين، فقال تعالى: ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ۞ وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴾[1].

---

[1] آل عمران:154

[2] آل عمران: 140

[3] التوبة:118

[4] النمل:62

[1] الإسراء:23-24

فقد حرص هذا البار بوالديه، أن يبقى إلى جانبهما واقفاً، ينتظر استيقاظهما، كي يسقيهما ما أعده لهما من الحليب المتوفر، ولم يضعفه حنان الأبوة، بأن يقدم أبناءه على أبويه في شرب الحليب، بل انتظر استيقاظهما ليبدأ ببرهما أولاً، قبل الأبناء والأهل والمال،وما كانت نيته في ذلك إلا رضى الله تعالى، وقياماً بأمره في بر الوالدين، والإحسان إليهما، فلما دعا بهذا العمل الصالح، والخالص لله، فرج الله عنهم شيئاً من الكرب، بانفراج الصخرة عن باب الغار.

وأما الثاني الذي تحكمت فيه شهوة الحب لابنة عمه، وأراد منها مراد الرجال من النساء، في حالة يسره ويسرها، فامتنعت عنه، وراح ينتظر ساعة حاجتها وعوزها، فلما جاءت هذه الساعة، وأتته طالبة العون والغوث، فأعطاها الدنانير، مقابل أن تخلي بينها وبينه، إلا أنها ذكرته بتقوى الله تعالى التي غلبت عليه في هذا الموقف، من الحب والشهوة، في وضع يتمكن فيه من قضاء وطره، فامتنع عن الوقوع في المنكر والفاحشة، خوفاً من الله تعالى وإخلاصاً للنية، بالانصراف عن هذا العمل القبيح، والفعل الشنيع، فلم يفض الخاتم الذي حرم الله فضه إلا بالحلال، فكان هذا العمل الخالص لله تعالى، وسيلة للتقرب إلى الله في تفريج الكرب، فانفرجت الصخرة بانتظار الدعوة الثالثة، لذاك الذي استأجر الأجراء، ووفاهم حقهم، إلا واحداً لم يأخذ أجره، فقام رب العمل بتنمية أجره حتى أصبح مالاً كثيراً، يقوم على رعايته الرعاة، فلما حضر بعد مدة طالباً أجره ، ما كان جواب رب العمل إلا أن قال: هذا هو أجرك، ما ترى من الإبل والبقر والغنم والرقيق، فظن الأجير أن الرجل يسخر منه، فقال له مستغرباً: أتهزئ بي! فقال: لا، إنه أجرك، فساق هذه الأنعام ورعاتها، وانصرف آخذاً أجره، وما ثمر له، وقد كانت نية صاحب العمل خالصة لله، ابتغاء مرضاته، وتقرباً إلى وجهه الكريم، فوافق الدعاء عملاً صالحاً مخلصاً متقبلاً، ففرج الله عنهم بقية الكرب، الذي سببته الصخرة التي أغلقت باب الغار، فخرجوا يمشون، وقد انقشع الكرب، وانفرج الهم، بفضل الله تعالى، ثم بجزاء الأعمال الصالحة الخالصة لله تعالى.

فما أحوج المسلمين في أيامنا هذه، وما أحوجنا أهل هذه الديار المباركة، ديار الإسراء والمعراج، إلى التوسل والتضرع إلى الله، بخالص أعمالنا، عسى الله أن يفرج كربنا، وكرب المسلمين، فقد

انسدت السبل، وانقطع الرجاء، إلا من الله تعالى، فهو الذي يجيب المضطر إذا دعاه، ويكشف السوء.

فليبادر المؤمنون إلى صالح الأعمال، مستحضرين الإخلاص فيها إلى الله تعالى، ابتغاء وجهه وتقرباً إليه، عسى أن ندعوا الله بصالح أعمالنا، فيستجيب لنا، ويكشف ما نحن فيه من كرب وبلاء.

ولنا في رسول الله أسوة حسنة، فقد كان يلجأ إلى الله بالدعاء، والتوسل بصالح الأعمال، لكشف الغمة، فما علينا إلا أن نتأسّ برسولنا الأسوة، صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله، وأصحابه أجمعين، ومن سار على نهجهم، واقتفى أثرهم إلى يوم الدين.

قال تعالى: ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا * وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾

ويروي أبو هريرة ﷺ ، أن الرسول ﷺ قال:" **أَتَدْرُونَ مَا الْمُفْلِسُ ؟ قَالُوا: الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لَا دِرْهَمَ لَهُ وَلَا مَتَاعَ، فَقَالَ: إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي، يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلَاةٍ وَصِيَامٍ وَزَكَاةٍ، وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا، وَقَذَفَ هَذَا، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا، وَسَفَكَ دَمَ هَذَا، وَضَرَبَ هَذَا، فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ، أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ، فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ، ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ**"[1]

إنه لهدي نبوي شريف، يوجه الأمة أفراداً وجماعات، للعمل بما يسعد في الدنيا والآخرة، وذلك من خلال تجارة رابحة مع الله تعالى، إذ مقياس سعادة الفرد والأمة لا يرتكز على ما يحرزه الفرد، أو تحوزه الأمة من متاع الدنيا، بكل ما اشتمل عليه هذا المتاع؛ من المال، والأولاد، والزينة، والشهوات، وسطوة القوة، والسلطان، بل السعادة الحقيقية هي العمل بالصالحات في الدنيا، للفوز والنجاة في الآخرة، وهناك يظهر بجلاء الخاسر من الرابح.

فالخاسر هو الذي تقوده تصرفاته في الدنيا، إلى خسران أعماله الخيرة في الآخرة، فالوفاء في الآخرة يكون من حسناته، فإن نقصت عن الوفاء بما عليه من ديون للعباد اقترفها في الدنيا بأكل مالهم، أو قذف أعراضهم؛ فإنه يؤخذ من سيئاتهم فتطرح عليه، ثم يكون مصيره والعياذ بالله إلى جهنم، وبئس المصير، وهذا هو الإفلاس الحقيقي في الدنيا والآخرة، نسأل الله العافية والمعافاة الدائمة في الدين والدنيا والآخرة، إنه هو البر الرحيم.

وقد بين رسول الله ﷺ أن من كان همه جمع الدرهم والدينار؛ فإنه ينال التعاسة في الآخرة، والرسول ﷺ يقول :" **تَعِسَ عَبْدُ الدِّينَارِ، وَعَبْدُ الدِّرْهَمِ، وَعَبْدُ الْخَمِيصَةِ**[2]، **إِنْ أُعْطِيَ رَضِيَ، وَإِنْ لَمْ يُعْطَ سَخِطَ، تَعِسَ وَانْتَكَسَ، وَإِذَا شِيكَ فَلَا انْتَقَشَ، طُوبَى لِعَبْدٍ آخِذٍ بِعِنَانِ فَرَسِهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ،**

[1] صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب ، باب تحريم الظلم

[2] الخميصة: هي: كساء له أعلام، أي: فيه شيء من الخطوط الممتدة، وقد تكون في طوله، وقد تكون في عرضه، وهذه الخطوط قد ينظر إليها الإنسان، فيحدث بها نفسه

أَشْعَثَ رَأْسُهُ، مُغْبَرَّةٍ قَدَمَاهُ، إِنْ كَانَ فِي الْحِرَاسَةِ كَانَ فِي الْحِرَاسَةِ، وَإِنْ كَانَ فِي السَّاقَةِ كَانَ فِي السَّاقَةِ، إِنِ اسْتَأْذَنَ لَمْ يُؤْذَنْ لَهُ، وَإِنْ شَفَعَ لَمْ يُشَفَّعْ "[1] .

فهذا البيان من الرسول ﷺ لحال المفلس من أمته، يوجب على كل واحد منا أن يكون على بينة من أمره في الاستفادة من أعمال الخير، التي تشتمل على الطاعات والعبادات، وجميع أبواب العمل الصالح، والأخلاق الحسنة الكريمة، في التعامل مع أقاربه، وجيرانه، وأبناء مجتمعه، وأبناء أمته، وأن يبتعد عن كل ما من شأنه أن يذهب بثواب هذه الأعمال، أو ينقص أجرها يوم العرض والحساب في اليوم الآخر؛ الذي لا تستوفى الحقوق فيه بالدرهم والدينار، وإنما تستوفى من حسنات الإنسان ،فإن لم تَفِ حسناته بما عليه من تبعات للعباد، أخذ من سيئاتهم وطرحت على سيئاته، لتقوده إلى النهاية الخاسرة، والإفلاس المحقق، الذي يؤدي به إلى النار، فهل يعمل ذو عقل لمثل هذه النهاية؟! نسأل الله السلامة، والأمن، والإيمان ﴿ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ * إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾[2].

وقد بين الله جل وعلا، أن الإنسان الذي يخسر الآخرة، لو كان يملك الدنيا بأسرها، لافتدى بها ذلك الموقف، وأنى له ذلك، وقد جاءته البينات في الدنيا؛ فأعرض عنها، وأتبع النفس هواها﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لِيَفْتَدُوا بِهِ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[3]

إن أداء الطاعات من صلاة وصيام وزكاة وحج، يجب أن يقود إلى التجارة الرابحة، والأخلاق والقيم الفاضلة؛ فالصلاة – كما بين الله تعالى – تنهى عن الفحشاء والمنكر﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴾[4].

كما أن من ثمار الصيام التقوى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾[5]، والزكاة طهرة لصاحبها، وتزكية للمال، فالله يقول:﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم

---

[1] صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير ، باب الحراسة في الغزو في سبيل الله

[2] الشعراء:88-89

[3] المائدة:36

[4] العنكبوت:45

[5] البقرة:183

بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾[1] وفي الحديث الشريف: " **الحَجُّ المَبْرُورُ لَيْسَ لَهُ جَزَاءٌ إِلَّا الْجَنَّةُ** "[2].

ورغم كثرة الملتزمين بأداء هذه الأركان والعبادات، إلا أنه تفشت في مجتمعاتنا الرذائل، وانتشرت الجرائم ؛ كالقتل، والقذف، وسفك الدماء بغير حق، وأكل أموال الناس بالباطل، وبطرق غير مشروعة.

ولعل مرد ذلك يكمن في عدم الالتزام بأخلاقيات العبادات وقيمها، والخروج عن الأحكام الشرعية، التي تضبط السلوك، وتحث على مكارم الأخلاق، وغياب السلطان الذي يقيم الحدود، ويرعى تطبيق شرع الله.

فالذي يحرص على أن لا يكون مفلساً يوم القيامة، هو الذي يأتي بصلاة وصيام وزكاة وطاعات، يحافظ على ثوابها وحسناتها ، فلا يشتم أحداً، ولا يقذف مسلماً، ولا يأكل مال الناس بالباطل، ولا يسفك دم أخيه المسلم، أو يعين على ذلك ولو بكلمة، ولا يستشرف الفتن أو يذكيها. بل يتخلق بأخلاق الإسلام، ويسترشد بهدي المصطفى ﷺ كي لا يكون من المفلسين يوم القيامة، بخسارة حسناته، فتطرح عليه سيئات الآخرين، فيلقى في النار.

نسأل الله تعالى أن نكون من الفائزين برضوان الله، ومن الرابحين بفضله، وكرمه، وسعة رحمته، بالفوز بالجنة، والنجاة من النار.

وصلى الله وسلم وبارك، على رسولنا، وقدوتنا الأسوة، وعلى آله، وأصحابه أجمعين، ومن سار على نهجهم، واتبع هداهم إلى يوم الدين.

قال تعالى : ﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴾

[1] التوبة:103

[2] صحيح مسلم، كتاب الحج ، باب في فضل الحج والعمرة ويوم عرفة

إن من هدي النبي ﷺ ، فيما رواه أبو موسى الأشعري رضي الله عنه قال: " قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَطْعِمُوا الْجَائِعَ، وَعُودُوا الْمَرِيضَ، وَفُكُّوا الْعَانِيَ[1]" [2]

في هذا الحديث الشريف دعوة إلى مكارم الأخلاق، ونظرة إنسانية عالية، تجاه المحتاجين إلى الرعاية، والعون، والمساعدة، فالجائع الذي ألجأته الحاجة إلى الجوع، بأن تقطعت به السبل إلى الوصول إلى حاجته، وإشباع غريزة الطعام والشراب، لأي سبب من الأسباب، يأمر رسول الله ﷺ باطعامه، والإحسان إليه، استبقاءً لحياته، وسداً لحاجته من الطعام والشراب .

وقد ورد الحث النبوي الشريف على إطعام الطعام، بل جعل ذلك طريقاً للوصول إلى الجنة، ففي الحديث الشريف : " أَفْشُوا السَّلَامَ، وَأَطْعِمُوا الطَّعَامَ، وَاضْرِبُوا الْهَامَ، تُورَثُوا الْجِنَانَ "[3]

وقد مدح الله المؤمنين، الذين يقدمون الطعام لمحتاجه، من المساكين، والأيتام، والأسرى، فقال تعالى: ﴿ وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا * إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا ﴾[4]. فبينت الآيات الكريمة أن المؤمن يؤثر على نفسه، ويقدم الطعام لمحتاجه، رغم حاجة مقدم الطعام إلى هذا الطعام، وذلك ابتغاء وجه الله تعالى، وتقرباً إليه سبحانه وتعالى.

فهل وصلت معاملة الأسرى في أي نظام من نظم الدنيا، إلى هذا الحد، الذي اعتبر فيه بر الأسير، والإحسان إليه، قربة يتقرب بها العبد إلى الله جل وعلا، إلا في هذا الدين الحنيف، والشرع السوي المستقيم .

---

[1] العاني : الأسير

[2] صحيح البخاري، كتاب المرضى، باب وجوب عيادة المريض

[3] سنن الترمذي، كتاب الأطعمة عن رسول الله، باب ما جاء في فضل إطعام الطعام

[4] الإنسان:8-9

ويحث الرسول الأكرم ﷺ على عيادة المريض ، وهذا من مكارم الأخلاق، ومن القيم النبيلة التي حرص النبي ﷺ على شيوعها بين أبناء المجتمع المسلم، لما في ذلك من تواصل، وتراحم، وتعاون، وتآلف.

وقد ورد في أحاديث كثيرة أن من حق المسلم على المسلم أن يعوده حال مرضه، وأن يجيب دعوته ، ويشيع جنازته .

ففي الحديث الشريف : " **أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: حَقُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ سِتٌّ، قِيلَ: مَا هُنَّ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: إِذَا لَقِيتَهُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، وَإِذَا دَعَاكَ فَأَجِبْهُ، وَإِذَا اسْتَنْصَحَكَ فَانْصَحْ لَهُ، وَإِذَا عَطَسَ، فَحَمِدَ اللَّهَ، فَشَمِّتْهُ، وَإِذَا مَرِضَ فَعُدْهُ، وَإِذَا مَاتَ فَاتَّبِعْهُ**" [1]

ثم يذكر رسول الله ﷺ الأسير حاثّاً على فكاكه[2] ومعلوم أن الأسير هو المسلم الذي يقع بأيدي الأعداء جراء الحروب في الغالب، كما أن الأسير من غير المسلمين، هو الذي يقع في أيدي المسلمين جراء الحروب . وقد بين الإسلام طريق الخلاص من الأسر، فقال تعالى : ﴿ حَتَّىٰ إِذَا أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّىٰ تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ﴾[3]

فهذا التشريع العظيم يبين سبيلين واضحين لفكاك الأسير، الذي يقع في أيدي المسلمين . فللحاكم المسلم أن يمن على الأسرى، أي يطلق سراحهم دون مقابل، أو يفتديهم بتبادل الأسرى المسلمين، الذين وقعوا في أسر معسكر الحرب، الذي يتبع له الأسرى، الذين تم أسرهم من قبل المسلمين .

وهذا جانب من فداء الأسرى بالتبادل .كما سمح الإسلام بفداء الأسير مقابل دفعه مبلغا من المال، لفداء نفسه، يدفعه هو، أو قريبه، أو دولته التي ينتمي إلى مواطنتها.

وقد رغب الإسلام في العفو والصفح عن الأسير، ويظهر ذلك جليا في قوله تعالى:﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّمَن فِي أَيْدِيكُم مِّنَ الْأَسْرَىٰ إِن يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّا أُخِذَ مِنكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[4]

---

[1] صحيح مسلم ، كتاب السلام، باب من حق المسلم للمسلم رد السلام

[2] فكاكه: إطلاق سراحه

[3] محمد :4

[4] الأنفال:70

فإذا كان الله تعالى يعد الأسرى الذين في قلوبهم خير بالعفو والمغفرة، فإن المسلمين لا يملكون بعد هذا إلا معاملتهم بأقصى درجة من الرحمة والإنسانية، ومعاملتهم بالحسنى، بتقديم الطعام والشراب لهم، وعدم تجويعهم ،يقول أبو عزيز بن عمير- وكان أحد أسرى بدر- حول معاملة المسلمين له، قال" **كنت في الأسرى يوم بدر، فقال رسول الله ﷺ : استوصوا بالأسارى خيرا، وكنت في نفر من الأنصار، فكانوا إذا قدموا غداءهم وعشاءهم، أكلوا التمر، وأطعموني البر، لوصية رسول الله ﷺ** " [1] كما لم يسمح الإسلام بإهانة الأسير وإذلاله، لوصية الرسول ﷺ " **استوصوا بالأسارى خيرا**".

ولما روي أن رسول الله ﷺ لما رأى أسرى يهود بني قريظة في العراء، في ظهيرة يوم قائظ، قال مخاطبا المسلمين المكلفين بحراستهم: "**لا تجمعوا عليهم حرَّ هذا اليوم، وحرَّ السلاح** "[2]، ونفهم من هذا؛ أنه لا يجوز تعذيب الأسير من أجل الحصول على معلومات منه عن جيش العدو، وقد سئل الامام مالك، رحمه الله:"أيضرب الأسير إن رجي أن يدل على عورة العدو؟ فقال ما سمعت بذلك"، إنها سماحة الإسلام ورحمته، التي لم يبلغها القانون الدولي الإنساني، في عصر يزعمون فيه الحضارة والمدنية، وحقوق الإنسان، وما احتوته معاهدات جنيف 1929، 1949 و"لاهاي " لحقوق الإنسان وحقوق أسرى الحروب.

كما قرر الإسلام حق الأسير في الكسوة، مما يقيه حر الصيف، وبرد الشتاء، وكذلك قرر حقه في ممارسة شعائر دينه، خلال فترة أسره .

فأين العالم الذي يزعم الحضارة، والقيم، والحرية، من هذه الأخلاق، والقيم النبيلة، التي حث عليها الإسلام وقررها، في معاملة الأسرى، كما قررت الكثير منها المعاهدات الدولية، التي تعنى بحقوق الأسير، والإنسان المدني في حالة الحرب.

---

[1] أخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد

[2] فتح الباري551/1

إلا أن التطبيق في الميدان يختلف تماما، فهذه أمريكا تعامل الأسير في سجن "غوانتنامو" بأقل مما يعامل الحيوان في حديقة الحيوانات، كما شاهد العالم كله معاملة السجناء في العراق، وعلى وجه الخصوص في سجن "أبو غريب".

وكيف يعامل أسرى هذه البلاد في سجون الاحتلال، من عزل، ومنع من زيارة الأهل، والتعري للتفتيش، وغير ذلك من امتهان لكرامة الأسير .

إننا في يوم الأسير، وفي كل يوم، نوجه تحية المحبة والاعتزاز لأسرانا البواسل، أسرى الحرية والحق، وندعو الجميع في الوطن على اختلاف مواقع المسؤولية، والمؤسسات المدنية والأهلية، ومؤسسات حقوق الإنسان، ورعاية الأسرى، أن يكثفوا الجهود من أجل اطلاق سراح جميع الأسرى من سجون الاحتلال، وأن تكون قضية حريتهم في رأس أولويات الواجب الديني والأخوي والوطني على مستوى الوطن، والأمة العربية والإسلامية، لا بل، على مستوى جميع أحرار العالم، وكل من يؤمن بقيمة الإنسان، وحريته .

ولنا نحن المسلمين في سيرة المصطفى ﷺ ما يهدي ويوجه للعمل بكل جد، وإخلاص، ومثابرة للعمل على خلاص أسرانا، فلا راحة لنا ولهم، إلا بنيل الحرية للإنسان والوطن .

وصلى الله، وبارك، على سيدنا محمد، الأسوة، وعلى آله، وأصحابه أجمعين، ومن سار على نهجهم، واقتفى أثرهم، بإحسان إلى يوم الدين .

قال رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم : " حَقُّ الْمُسْلِم عَلَى الْمُسْلِم سِتٌّ، قِيلَ: مَا هُنَّ يَا رَسُولَ اللَّه؟ قَالَ: إِذَا لَقِيتَهُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، وَإِذَا دَعَاكَ فَأَجِبْهُ، وَإِذَا اسْتَنْصَحَكَ فَانْصَحْ لَهُ، وَإِذَا عَطَسَ فَحَمِدَ اللَّهَ فَشَمِّتْهُ، وَإِذَا مَرِضَ فَعُدْهُ، وَإِذَا مَاتَ فَاتَّبِعْهُ"

يخبرنا عن علامة حب الله لعبده

يروي أبو هريرة ﵁ أن رسول الله ﷺ قال: "إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى إِذَا أَحَبَّ عَبْدًا، نَادَى جِبْرِيلَ: إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَبَّ فُلَانًا فَأَحِبَّهُ، فَيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ، ثُمَّ يُنَادِي جِبْرِيلُ فِي السَّمَاءِ: إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَبَّ فُلَانًا، فَأَحِبُّوهُ، فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ، وَيُوضَعُ لَهُ الْقَبُولُ فِي أَهْلِ الْأَرْضِ"[1]

إنه لهدي كريم، من أعلام النبوة، يخبرنا عن محبة الله لعباده، واصطفائه لهم، وتقريبهم منه جل وعلا، تفضلا منه، ورحمة وبرا، فهو جل جلاله الرؤوف الرحيم، يجتبي ويقرب بفضله من يشاء من عباده، ويصطفي من يشاء رسولا أو نبياً أو صديقاً، أو شهيداً أو صالحاً، فلله الخلق والأمر، وهو العزيز الحكيم، وصدق الله القائل ﴿ . . . اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ . . . ﴾[2] ﴿ اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴾[3]

ومن الملائكة المقربين الذين اصطفاهم الله لوحيه، وجعلهم رسلاً إلى أنبيائه، وأصفياء رسله، جبريل ﵇، أمين الوحي، ووساطة الخير بين السماء والأرض، بإفاضة الهداية والنور والخير، والإحسان على أهل الأرض، من خلال رسل كرام، اصطفاهم الله، واختارهم لهداية خلقه، وإخراجهم من الظلمات إلى النور، ومن الغواية والعمى إلى الهدى والرشاد والفلاح، كل ذلك وفق حكمة ربانية، وعدل إلهي، قال تعالى ﴿ . . لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾[4] فسبحان ذي الجلال والإكرام، من بيده ملكوت السماوات والأرض، وهو على كل شيء قدير.

---

[1] صحيح البخاري، كتاب التوحيد ، باب كلام الرب مع جبريل ونداء الله الملائكة
[2] الأنعام:124
[3] الحج:75
[4] النساء:165

ومن باب فضل الله على عباده، ومنّته على أحبابه، إذا أحب عبدا، نادى جبريل، وأخبره بأن الله تعالى أحب فلانا فأحبه، وجبريل عليه السلام من سادة الملائكة، وأئمتهم، الذين لا يعصون الله ما أمرهم، ويفعلون ما يؤمرون، ولا يفعلون إلا ما يرضي الله تعالى، فقد خلقهم من نور، وجبلوا على الطاعة، فيستبشر جبريل عليه السلام بخبر الله تعالى، ويحب العبد الذي أكرمه الله بالمحبة، ويصدع جبريل بالأمر الإلهي، فينادي أهل السماوات - والله أعلم بهم - إن الله قد أحب فلانا، فأحبوه، فيقع له الحب عند أهل السماوات، وما أعظم هذا الحب الذي ابتدأ من لدن الله تعالى، ثم أمر الله تعالى به جبريل، أمين السماء، الذي استجاب للأمر والتزم به، ونادى أهل السماوات أن يحبوا من أحبه الله تعالى، وأحبه جبريل، فما أعظمها من كرامة، وما أعلاها من منّة، صدرت من الله تعالى، الذي تسبح السماوات والأرض، ومن فيهن، لجلال عظمته، وسبحات وجهه الكريم، وتنتظر أمره لتلبيته طوعا ومحبة، عسى أن يوافق ذلك رضوان الله تعالى، على من أحب من عباده، وفق إرادته، ومشيئته، ونافذ قدرته، جل وعلا.

وإنها لمن سابقات السعادة، أن يحب الله عبداً من عباده، فمن أحبه الله أكرمه، ومن أكرمه الله قربه، ومن قربه الله تعالى فاز في الدنيا والآخرة، وكان في كنف العزة الإلهية، والرحمة الربانية، ﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ﴾[1]، ولهم كل الكرامة في جنات الخلد، ولهم الحسنى وزيادة ﴿وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ * سَلَامٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾[2].

وكل هذا بفضل محبة الله لهم ، قال تعالى: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾[3]. وفي الحديث القدسي "إِنَّ اللَّهَ قَالَ: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا، فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ: كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ،

---

(1) التوبة:21

(2) الرعد:23-24

(3) المائدة:54

وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ، وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ، تَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ، يَكْرَهُ الْمَوْتَ، وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ " [1].

ومن كان عند الله محبوباً أحبته الملائكة، وأهل السماوات، وكان محبوباً عند أهل الأرض، حيث يوضع له القبول في أهل الأرض، لأن قلوب أهل الأرض بين أصابع الرحمن، يقلبها حيث يشاء، ويصرفها لمحبة من أحب، فهو جل شأنه قيوم السماوات والأرض، ورحمانهما، ورحيمهما، الذي عنت الوجوه لعزته، وسجد من في السماوات والأرض، طوعاً أو كرهاً، لعظمته، فتبارك الله مالك الملك، ذو الجلال، والإكرام، والعزة، والإنعام، الذي تسبح السماوات والأرض، ومن فيهن من خشيته، وهو تعالى شديد المحال.

ومن وضع له القبول في الأرض أحبه أهل الأرض، ومالوا إليه بقلوبهم وجوارحهم، والتفوا حوله بعواطفهم، وصالح دعائهم، وما ذلك إلا لمحبة الله له الذي يأمر جبريل وأهل السماوات أن يحبوه، ومن أحبه أهل السماوات، فحري بأهل الأرض أن يحبوه .

ولعل سائلاً يسأل ، ألم يوضع القبول لرسل الله في الأرض، الذين تعرضوا لأذى أقوامهم، حتى أخرجوهم من ديارهم ؟

والجواب : إن الرسل الكرام، عليهم الصلاة والسلام، من الذين أحبهم الله من عباده، بل هم خاصة عباد الله، الذين أحبهم، وأكرمهم، واصطفاهم برسالاته، ووضع لهم القبول في السماوات والأرض .

ولكنها سنة الله تعالى ـ ولن تجد لسنة الله تبديلاً ـ أن يتعرض الرسل الكرام، وأتباعهم من المؤمنين، لأذى المشركين، والمعاندين، لتقع المفاصلة بين الحق والباطل، وليتبين المؤمن من الكافر، لأن دار الدنيا هي دار ابتلاء وامتحان، من فاز بمحبة الله له، وسبقت له سابقة السعادة، كان من المؤمنين الفائزين في الدنيا والآخرة، وممن أكرمه الله تعالى برضوانه ومحبته واجتبائه.

ونحن نرى من خلال ما قصه الله علينا في كتابه الكريم، من أخبار الأمم السالفة مع أنبيائها، أن العاقبة كانت بإهلاك العتاة والكافرين والجاحدين، ونجاة الرسل وأتباعهم، وأحبابهم من المؤمنين.

---

[1] صحيح البخاري، كتاب الرقاق ، باب التواضع

وهذا ما ينطق به هذا الحديث الشريف، بأن من سبقت له محبة الله أحبه أهل السماوات، ووضع له القبول في الأرض، ومكن الله لهم ذلك ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [1] ﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [2] .

اللهم اجعلنا ممن يقتدي بحبيبك ورسولك الأسوة، سيدنا محمد ﷺ ، حتى نكون من عبادك المحبين إليك، والمحبين لك، واجعل لنا بفضلك، وكرمك، قبولا في الدنيا، ورضى في الآخرة، إنك على كل شي قدير، وبالإجابة جدير .

وصلى الله وسلم وبارك، على حبيبه المصطفى، ورسوله المجتبى، وعلى آله الطاهرين، وصحابته الغر الميامين، ومن اختار وارتضى من أحبابه المؤمنين، إلى يوم الدين .

قال رسول الله ﷺ :"إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى إِذَا أَحَبَّ عَبْدًا، نَادَى جِبْرِيلَ: إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَبَّ فُلَانًا فَأَحِبَّهُ، فَيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ، ثُمَّ يُنَادِي جِبْرِيلُ فِي السَّمَاءِ: إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَبَّ فُلَانًا، فَأَحِبُّوهُ، فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ، وَيُوضَعُ لَهُ الْقَبُولُ فِي أَهْلِ الْأَرْضِ"

---

(1) النور:55

(2) المجادلة:21

نقف على هدي الرسول ﷺ في الحث على العمل، والكسب المشروع في الحديث الشريف:" **مَا أَكَلَ أَحَدٌ طَعَامًا قَطُّ، خَيْرًا مِنْ أَنْ يَأْكُلَ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ، وَإِنَّ نَبِيَّ اللَّهِ دَاوُدَ، عَلَيْهِ السَّلَام، كَانَ يَأْكُلُ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ** " [1]

إنها دعوة واضحة من الرسول القدوة ﷺ لجميع الناس، أن يقبلوا على العمل والاحتراف والصناعة والزراعة والتجارة، لتأمين سبل عيشهم الكريم، بعيداً عن التواكل، والكسل، والتكفف، وذل المسألة، فقد جعل النبي ﷺ أعلى مراتب الكسب المشروع ما جاء عن طريق العمل، ومارسه الإنسان بنفسه، فإن خير الطعام والمعاش ما حصله الإنسان بعمله، إذ يشعر المرء بحلاوة جده وكده، كما يجد طعماً للقمة الحلال، وكسب يده، وأي تشجيع أعظم من هذا الحث الكريم على العمل والمثابرة، لتحصيل كفاية الإنسان، من خلال عمل أو حرفة، فقد احترف الأنبياء والرسل، عليهم صلوات الله وسلامه، حرفاً لتأمين وسائل عيشهم، فقد احترف سيدنا داود عليه السلام الحدادة، وكان يصنع الدروع، ويرتزق من هذه الحرفة، وقد ذكر الله ذلك في كتابه الكريم ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلًا يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ* أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ* وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ وَمِنَ الْجِنِّ مَنْ يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَنْ يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ* يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾[2] ، فكان داود عليه السلام ، يصنع الدروع الواسعة المحكمة، ويبيعها، فيأكل ويتصدق، وفي الحديث"..... **وَإِنَّ نَبِيَّ اللَّهِ دَاوُدَ** عليه السلام **كَانَ يَأْكُلُ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ** " [3]

---

[1] صحيح البخاري، كتاب البيوع، باب كسب الرجل وعمله بيده

[2] سبأ:10-13

[3] صحيح البخاري، كتاب البيوع، باب كسب الرجل وعمله بيده

كما باشر الأنبياء والرسل الكرام، عليهم الصلاة والسلام، أعمال الرعي، والتجارة، والخياطة، فالرسول ﷺ يقول: " **مَا بَعَثَ اللَّهُ نَبِيًّا إِلَّا رَعَى الْغَنَمَ، فَقَالَ أَصْحَابُهُ: وَأَنْتَ؟! فَقَالَ: نَعَمْ، كُنْتُ أَرْعَاهَا عَلَى قَرَارِيطَ**[1] **لِأَهْلِ مَكَّةَ** "[2].

ونبي الله شعيب عليه السلام كان يربي الغنم ويرعاها، كما تولى نبي الله موسى رعي غنم شعيب، عليهما الصلاة والسلام، وقد قص الله تعالى علينا نبأهما في كتابه الكريم، فقال تعالى: ﴿ وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ* فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ* فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ* قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ* قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَن تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ* قَالَ ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ وَاللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴾[3].

فمن رعي الغنم، كان جديراً برعاية الأمم، وإنقاذها من الظلمات إلى النور، والحرص على هدايتها إلى سواء السبيل، وهذا ما قام به أنبياء الله، ورسله، عليهم أفضل الصلاة وأتم التسليم.

كما عمل رسول الله ﷺ في التجارة لزوجه خديجة، رضي الله عنها، وقد بارك الله لهما في تجارتهما، كيف لا؟ وهو ﷺ الأمين، والحسيب في قومه بني هاشم، كما أنها، رضي الله عنها، السيدة القرشية الفاضلة ، التي كانت أول المسلمات المؤمنات بهذه الرسالة العظيمة، والدين الحنيف، ووقفت مع النبي ﷺ تواسيه بنفسها ومالها، وتبشره بمكارم هذا الدين العظيم.

---

(1) القيراط هو جزء من الدرهم المتخذ من الفضة

(2) صحيح البخاري، كتاب الإجارة، باب رعي الغنم على قراريط

(3) القصص: 23-28

ومن مميزات هذا الدين عن سائر الأنظمة والقوانين التي تحكم البشرية أنه جعل العمل ذا وجهين؛ الوجه الديني المقترن بثواب الله في الآخرة، والوجه الدنيوي الذي يسد حاجة صاحبه ويؤمن له العيش الكريم.

ويكفي العمل أنه اقترن بالعمل الصالح في آيات الكتاب الكريم، قال تعالى ﴿ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴾[1] وقال سبحانه: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴾[2].

والرسول ﷺ يقول:" **إن كان خرج يسعى على ولده صغارا فهو في سبيل الله، وإن كان خرج يسعى على أبوين شيخين كبيرين، فهو في سبيل الله، وإن كان خرج يسعى على نفسه يعفها فهو في سبيل الله، وإن كان خرج يسعى رياء ومفاخرة فهو في سبيل الشيطان** "[3] ، وفي حديث آخر " **السَّاعِي عَلَى الْأَرْمَلَةِ وَالْمِسْكِينِ؛ كَالْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَأَحْسِبُهُ قَالَ؛ وَكَالْقَائِمِ لَا يَفْتُرُ ، وَكَالصَّائِمِ لَا يُفْطِرُ** "[4]، لا بل جعل الإسلام كل عمل يبتغي به المسلم وجه الله تعالى عبادة، يثاب المرء عليها، إذ تنقلب العادة عبادة بالنية، فمن يأكل الطعام من أجل حفظ نفسه، والقيام بطاعة ربه، كتب له أجر بذلك، وفي الحديث" **وَإِنَّكَ لَنْ تُنْفِقَ نَفَقَةً، تَبْتَغِي بِهَا وَجْهَ اللَّهِ، إِلَّا أُجِرْتَ، حَتَّى مَا تَجْعَلُ فِي فِي**[5] **امْرَأَتِكَ** "[6] .

إنه الإسلام الذي حث على العمل في الدنيا، لتحقيق العيش الكريم، ونيل سعادة الآخرة، ووازن بين أشواق الروح، ومتطلبات الجسد، يدعو المسلمين، بقوله تعالى: ﴿ وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾[7] ﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ

---

[1] العصر:3
[2] الكهف:107
[3] أخرجه الألباني في صحيح الجامع عن كعب بن عجرة
[4] صحيح مسلم، كتاب الزهد والرقائق ، باب الإحسان إلى الأرملة والمسكين واليتيم
[5] في امرأتك: فمها
[6] صحيح البخاري، كتاب الدعوات ، باب الدعاء برفع الوباء والوجع
[7] التوبة:105

ﭐلْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ ﴾[1] ، وهـذا رسـول الله ﷺ يحـث المسلمين على زراعة الأرض وعمارتها، فيقول:" مَا مِنْ مُسلِمٍ يَغْرِس غَرسًا، أَو يزرَع زَرعًا، فَيَأْكل منه طَير، أَوْ إِنْسَانٌ، أو بَهيمَةٌ، إِلَّا كَانَ لَه بِه صَدَقَةٌ" [2]، ويبشر التاجر الصدوق الأمين بالحشر مع الأنبياء فيقول ﷺ: " التَّاجِرُ الصَّدُوقُ الْأَمِينُ، مع النَّبِيِّينَ، وَالصِّدِّيقِينَ، وَالشُّهَدَاءِ"[3] .

وقد أوجب الإسلام على المسلمين أن ينهض من بينهم من يتقن علـوم العـصر وحرفـه وصـناعاته ومعارفه، وجعل ذلك فرض كفايـة، إن تخلـف عنـه المسلمون أثمـوا جميعاً، كـما ضـمن الإسـلام حقوق العامل، وجعل العامل مسؤولاً عن عمله، كما حثـه عـلى إتقـان العمـل ﴿ . . .وَلَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾[4] ، ويقول الرسول ﷺ: "إن الله تعالى يحب إذا عمل أحدكم عملا أن يتقنه " [5].

ويدعو الإسلام إلى عدم هـضم حقـوق العامـل، أو المماطلـة في دفـع أجـره ، فـالله يقـول: ﴿ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾[6] ، والرسول ﷺ يقـول " قَـالَ اللَّـهُ تَعَـالَى: ثَلَاثَةٌ أَنَا خَصْمُهُمْ يوم الْقِيَامَةِ؛ رَجلٌ أَعطَى بِي ثُمَّ غَـدَرَ، ورَجُـلٌ بَـاعَ حُـرًّا فَأَكَـلَ ثَمَنَـهُ، ورَجُلٌ اسْتَأْجَرَ أَجِيرًا، فَاسْتَوْفَى مِنْهُ، ولَمْ يُعطِه أَجْرَهُ "[7] ، ويطلـب مـن رب العمـل إعانـة العامل إن لم يستطع أن يقوم بالعمل وحده، وتعويضه عن أجرة العمل الإضافي "..... وَلَا تُكَلِّفُوهُم ما يَغلِبُهُمْ، فَإِنْ كَلَّفْتُمُوهُمْ ما يَغْلِبُهُم فَأَعِينُوهُم " [8].

كما أوجب الإسلام على ولاة الأمور أن يوجدوا فرص العمل للقادرين عليه، لكفاية أنفسهم، وفي حال العجز يقوم بيت المال بتأمين نفقات العاجزين عن العمـل، وقـد ذهـب الإسـلام إلى أبعـد مـن

---

[1] الملك:15

[2] صحيح البخاري، كتاب المزارعة ، باب فضل الزرع والغرس إذا أكل منه

[3] سنن الترمذي، كتاب البيوع عن رسول الله ، باب ما جاء في التجار وتسمية النبي ﷺ

[4] النحل:93

[5] أخرجه الألباني في صحيح الجامع عن عائشة ، رضي الله عنها

[6] الشعراء:183

[7] صحيح البخاري، كتاب الإجارة ، باب إثم من منع أجر الأجير

[8] صحيح البخاري، كتاب العتق ، باب قول النبي ﷺ العبيد إخوانكم فأطعموهم

هذا، فضمن رعاية أسرة العامل، أو المواطن، بعد وفاته، قال ﷺ:" **أَنَا أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ، فَمَنْ مَاتَ وَعَلَيْهِ دَيْنٌ، وَلَمْ يَتْرُكْ وَفَاءً، فَعَلَيْنَا قَضَاؤُهُ، وَمَنْ تَرَكَ مَالًا فَلِوَرَثَتِهِ**" [1].

فأين هي حقوق العمال في هذا العالم التي شكلت من أجلها النقابات وقامت الثورات والإضرابات؟!! وما زال الأطفال والنساء يستغلون في المصانع، وسائر الأعمال، ولا يحصلون على حقوقهم بإنصاف!.

أما الإسلام فقد منح العامل حقه ابتداء ، وصان كرامة الإنسان، وفق منهاج رباني، وهدي نبوي شريف، ليعيش الإنسان مكرما في الدنيا، وينال رضوان الله في الآخرة، فصلى الله وسلم وبارك، على رسولنا القدوة، وعلى آله، وأصحابه أجمعين، ومن اهتدى بهديهم، إلى يوم الدين.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " السَّاعِي عَلَى الْأَرْمَلَةِ وَالْمِسْكِينِ؛ كَالْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَأَحْسِبُهُ قَالَ؛ وَكَالْقَائِمِ لَا يَفْتُرُ ، وَكَالصَّائِمِ لَا يُفْطِرُ "

[1] صحيح البخاري، كتاب الفرائض ، باب قول النبي ﷺ من ترك مالا فلأهله

يبشر أمته بسعة ملكها

4/جمادى الأولى/1429هـ وفق 2008/5/9

يبشر النبي ﷺ الأمة بسعة ملكها، وبسط سلطانها، فيروي ثوبان مولى رسول الله ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" إِنَّ اللَّهَ زَوَى لِي الْأَرْضَ، فَرَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا، وَإِنَّ أُمَّتِي سَيَبْلُغُ مُلْكُهَا مَا زُوِيَ لِي مِنْهَا، وَأُعْطِيتُ الْكَنْزَيْنِ [1] الْأَحْمَرَ وَالْأَبْيَضَ...."[2] .

وتأتي هذه البشارة الكريمة، والنبوءة العظيمة، في وقت كان فيه المسلمون محاطين بالأعداء، ويتعرضون لأذى المشركين بالحصار ، والإيذاء، وتعذيب المستضعفين منهم، أمثال عمار وبلال.

ويتوجه المسلمون إلى النبي ﷺ وهو متوسد بردٍ له في ظل الكعبة، يطلبون منه الدعاء والاستنصار قائلين: يا رسول الله، ألا تدعو لنا؟! ألا تستنصر لنا؟! وتبدو الحمرة في وجه النبي ﷺ، وهي علامة غضب، فيخاطبهم قائلاً:" قَدْ كَانَ مَنْ قَبْلَكُمْ، يُؤْخَذُ الرَّجُلُ فَيُحْفَرُ لَهُ فِي الْأَرْضِ، فَيُجْعَلُ فِيهَا، فَيُجَاءُ بِالْمِنْشَارِ، فَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ، فَيُجْعَلُ نِصْفَيْنِ، وَيُمْشَطُ بِأَمْشَاطِ الْحَدِيدِ، مَا دُونَ لَحْمِهِ وَعَظْمِهِ، فَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَاللَّهِ لَيُتِمَّنَّ هَذَا الْأَمْرُ، حَتَّى يَسِيرَ الرَّاكِبُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى حَضْرَمَوْتَ، لَا يَخَافُ إِلَّا اللَّهَ وَالذِّئْبَ عَلَى غَنَمِهِ، وَلَكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ"[3].

إنها التربية الإيمانية التي يربي بها رسول الله ﷺ أتباعه، فإن من اختار طريق الحق، وتوحيد الله، وإفراده بالإلوهية والربوبية، في جو مشحون بالشرك، وعبادة الأصنام، والزيغ عن طريق الهدى والإيمان، لا بد أن يواجه أصناف الأذى، لأن طريق الحق محفوفة بالمكاره، وطريق الباطل والشرك محفوفة بالشهوات، ولذلك قال ﷺ:" حُفَّتْ الْجَنَّةُ بِالْمَكَارِهِ، وَحُفَّتْ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ "[4] .

وقد صبر المسلمون الأوائل من أصحاب رسول الله ﷺ على الأذى والاضطهاد؛ فحوصروا مع النبي ﷺ في شعب أبي طالب، حتى أكلوا ورق الشجر، وبلغ بهم الجهد مبلغه. وقد أذن النبي ﷺ لأصحابه بالهجرة إلى الحبشة، ثم بالهجرة إلى المدينة المنورة، فهاجروا تاركين الأهل والمال والمتاع،

---

[1] الكنزين: الذهب والفضة، والمراد بهما هنا كنزي كسرى وقيصر ملكي العراق والشام

[2] صحيح مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة ، باب هلاك هذه الأمة بعضهم ببعض

[3] صحيح البخاري، كتاب الإكراه، باب من اختار الضرب والقتل والهوان على الكفر

[4] صحيح مسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها

لينصروا الله ورسوله، وقد بين الله ذلك في كتابه العزيز، فقال سبحانه: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾[1] نعم؛ لقد صدقوا الله في إيمانهم وفي ثباتهم على هذا الإيمان، وضحوا بكل شيء نصرة لله ورسوله، فكان عاقبة أمرهم خيراً وعزاً ونصراً وتمكيناً في الأرض، وأبدلهم الله بعد الضعف قوة، وبعد الذلة عزة، وبعد الخوف أمناً، فقد كانوا يخافون أن يتخطفهم الناس، فآواهم الله، وأيدهم بنصره، وامتن عليهم بالفضل والخيرات.

وقد سجل القرآن الكريم هذا الموقف، وهذا الإحساس، بقول الله ﷻ ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[2]

فهذه سنة الله ـ ولن تجد لسنة الله تبديلاً ـ أن يمتحن أهل الإيمان، ويتعرضوا للبلاء، ليمحص الله الذين آمنوا، ويمحق الكافرين، ويكشف المنافقين، ليتميز جمع أهل الإيمان، عن جموع الباطل، وحشده، وخيله، ورجله.

﴿أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾[3] وهكذا امتحنت أمتكم، ومحص الله أسلافكم من الصحابة الكرام، الذين اختارهم لصحبة نبينا ﷺ، وأكرمهم بحمل الدعوة الإسلامية، وتبليغها للناس، فتحملوا في سبيل ذلك عنتاً كبيراً، وقدموا الكثير من التضحيات بالنفس والمال، فكتبت لهم السعادة في الدنيا، والفوز في الآخرة، ورضي الله عنهم، ورضوا عنه، وصدقوا الله، فصدقهم ونصرهم.

وعودة إلى هدي المصطفى ﷺ وهو يخبر عن ملك أمته، وما زوي له من الأرض، فقد سار الراكب من صنعاء إلى حضرموت في ظل الأمن والأمان، الذي وفرته الدولة الإسلامية، لا يخاف إلا الله والذئب على غنمه، كما خرجت الظعينة قاصدة بيت الله الحرام من أطراف الدولة الإسلامية، لا تخشى إلا الله.

كما ترامت أطراف الدولة الإسلامية حتى بلغت حدود الصين شرقاً، ومياه المحيط الأطلسي غرباً، مما دفع القائد المجاهد عقبة بن نافع، أن يخوض بحصانه مياه المحيط، قائلاً: "**اللهم لو كنت أعلم أن وراء هذا**

---

[1] الحشر: 8

[2] الأنفال: 26

[3] الأنفال: 26

البحر أرضاً لخضته إليها". وكذلك خطاب خليفة المسلمين هارون الرشيد للسحابة، قائلاً: " **أمطري حيث شئت، فخراجك عائد إلينا** ".وهكذا تحققت نبوءة النبي ﷺ ، فهو المعصوم الذي لا ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحي يوحى.

وقد وعد أمته وهو يخبر أصحابه باتساع ملكها، وبسط سلطانها، ووصولها إلى كنوز قيصر، وقصور كسرى، وكان ذلك، ولقد وعد رسول الله ﷺ سراقة بن مالك بسواري كسرى، جائزة له، إذا رجع، وعمى أخباره عن قريش التي كانت تطارده، حينما علمت بهجرته، ودفعت جائزة لمن جاء به، أو بخبر عنه، مائة من الإبل، وكان سراقة طمع بجائزة قريش فخرج في أثر الرسول ﷺ ، فلما تحقق إليه أنه لا سبيل له إلى الوصول إلى النبي ﷺ طلب الأمان، فأعطاه الرسول ﷺ ذلك، ومنحه جائزة سواري كسرى، فعاد سراقة يعمي عن قريش أخبار النبي ﷺ ، ويتحقق الوعد، ويأخذ سراقة الجائزة، في عهد الفاروق عمر بن الخطاب، رضي الله عنهم جميعاً.

كما أخبر رسول الله ﷺ أصحابه بعد غزوة الأحزاب، أن المدينة المنورة لن تغزى بعدها، وكان ذلك، فانطلق المسلمون من المدينة إلى أرجاء الجزيرة العربية، يدعون أهلها إلى الإسلام، أو يصالحونهم، حتى فتح الله على المسلمين مكة بالفتح الأعظم، ودانت جزيرة العرب بالإسلام، وخضعت لدولته الراشدة.

فجدير بالمسلمين اليوم، وهم يعيشون حالة الضعف والفرقة، وانحسار سلطانهم، رغم كثرتهم التي تزيد عن المليار مسلم، أن يراجعوا هذا الهدي الكريم، والإرث العظيم، الذي خلفه الرسول الأسوة ﷺ، وأصحابه الكرام، وأئمة المسلمين وعلماؤهم، ليتحسسوا طريق النهوض من هذا الواقع المؤلم، فيحفظوا أرضهم، وديارهم، وشعوبهم، التي أصبحت نهباً للكافر المستعمر، أو قواعد متقدمة، لتحقيق أهدافه في السيطرة على ديار المسلمين، وإن إتباع هدي المصطفى ﷺ ، وسلفنا الصالح، لكفيل بأن يعود بالأمة إلى سابق مجدها، ويبوئها المكانة اللائقة بها، بين أمم الأرض اليوم، كيف لا؟ وأمتنا الإسلامية تحمل منهاج الله، وهداياته للناس جميعاً، في كتاب تولى الله حفظه ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾[1]، وهدي رسول كريم، ختم الله به الرسالات، وجعله بشيراً ونذيراً للناس كافة، ورحمة عامة للعالمين: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ ﴾[2].

---

(1) الحجر: 9

(2) الأنبياء: 107

فهل تبادر خير أمة أخرجت للناس، وأمة محمد ﷺ إلى تصحيح المسار، وفق أحكام هذا الدين، وتأسياً بهدي رسولنا، وحبيبنا الأمين، الذي بشر الأمة بالنصر والتمكين، وبسط سلطانها في مشارق الأرض، ومغاربها، وكان ذلك، وما زالت بشارته لآخر الزمان تطرق سمْع مَن ﴿كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾[1] "**بأنها ستعود خلافة راشدة على منهاج النبوة، ويفيض المال، حتى لا يجد الرجل من يأخذ صدقته**"[2].

إنها بشارات النبي الأسوة ﷺ، تحقق الكثير منها، وسيحقق الله بعونه وتأييده للمؤمنين العاملين المتأسين برسولنا القدوة ما بقي منها، وهذا ما ندين لله به؛ فوعده يقين، وميعاده لا يخلف، مصداقاً لقوله جل وعلا: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾[3]، وقوله سبحانه ﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾[4]، وقال ﷻ ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ * إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنصُورُونَ * وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾[5].

وصلى الله وسلم وبارك، على سيدنا محمد، الأسوة، وعلى آله، وأصحابه أجمعين، ومن سار على نهجهم، إلى يوم الدين.

> قال تعالى: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾

---

[1] ق: 37
[2] من حديثين منفصلين أخرجهما الألباني
[3] النور: 55
[4] المجادلة: 21
[5] الصافات: 171-173

يخبر حذيفة رضي الله عنه فيقول: قال رسول الله ﷺ :" تَكُونُ النُّبُوَّةُ فِيكُمْ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ تَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا، ثُمَّ تَكُونُ خِلَافَةٌ عَلَى مِنْهَاجِ النُّبُوَّةِ، فَتَكُونُ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ تَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَرْفَعَهَا، ثُمَّ تَكُونُ مُلْكًا عَاضًّا، فَيَكُونُ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا، ثُمَّ تَكُونُ مُلْكًا جَبْرِيَّةً، فَتَكُونُ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ تَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا، ثُمَّ تَكُونُ خِلَافَةً عَلَى مِنْهَاجِ النُّبُوَّةِ، ثُمَّ سَكَتَ "[1] .

في هذا الهدي النبوي الشريف، نبوءة عظيمة، من أعلام النبوة الكبرى، فالرسولﷺ يستشرف آفاق الزمان، وهو يخبر أمته، عن أشكال الحكم الذي تساس به الأمة، ويبين أحوال أمراء الأمة، على امتداد الزمان والمكان، لتكون الأمة على بصيرة من حالها، وحال حكامها، فلا تنزلق عن جادة الصواب، بل تعرض الحال الذي تمر فيه على النهج السوي، والصراط المستقيم، والحق المبين، الذي يمثله، ويحث عليه كتاب الله تعالى، وسنة رسوله ﷺ، فقد جاء على لسان النبي الذي لا ينطق عن الهوى:" تَرَكْتُ فِيكُمْ أَمْرَيْنِ، لَنْ تَضِلُّوا مَا تَمَسَّكْتُمْ بِهِمَا؛ كِتَابَ اللَّهِ وَسُنَّةَ نَبِيِّهِ "[2] والله يقول: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلاَ تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيماً﴾[3] .

ويعلق صحة الإيمان على الاحتكام إلى الله ورسوله، فيقول تعالى: ﴿فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّىَ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُواْ فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجاً مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيماً﴾[4].

وقد بدأت المراحل السياسية في حياة أمتنا الإسلامية بمرحلة النبوة، فنبي الله، ورسوله المصطفى ﷺ هو

[1] مسند أحمد، أول مسند الكوفيين ، حديث النعمان بن بشير عن النبي ﷺ

[2] موطأ مالك، الجامع، النهي عن القول بالقدر

[3] النساء:105

[4] النساء:65

المبين لأحكام الله تعالى، وهو الرسول الذي يبلغ الدعوة، ويقود الأمة، ويحكمها وفق شرع الله تعالى، فهو رئيس الدولة، وأية دولة، إنها الدولة الإسلامية، التي قامت في المدينة المنورة لأول مرة في التاريخ الإسلامي، إنها دولة النبوة، والرسول، والرسالة.

رعيتها وجندها السابقون السابقون، من هذه الأمة إلى اعتناق هذا الدين الحنيف، وهم المقربون عند الله تعالى، وعند رسوله ﴿ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ* أُوْلَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ﴾[1] .وهم الذين فازوا بصحبة النبي ﷺ من المهاجرين والأنصار، وجاهدوا في سبيل الله لإعلاء كلمة هذا الدين، وترسيخ قواعد المجتمع الإسلامي الذي قام على العدل والإحسان، وعلى الأخوة والإيمان، والإيثار: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾[2] ﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾[3]، وهم أولياء بعضهم بعضا ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَاهَدُواْ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَالَّذِينَ آوَواْ وَّنَصَرُواْ أُوْلَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ ﴾[4] .

وقد شهد الله لهم بأنهم هم المؤمنون حقاً، ووعدهم بالمغفرة، والرزق الكريم، فقال تعالى ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَاهَدُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَالَّذِينَ آوَواْ وَّنَصَرُواْ أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقّاً لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ* وَالَّذِينَ آمَنُواْ مِن بَعْدُ وَهَاجَرُواْ وَجَاهَدُواْ مَعَكُمْ فَأُوْلَئِكَ مِنكُمْ وَأُوْلُواْ الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللّهِ إِنَّ اللّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾[5].

بهذه الصفات الكريمة، اتسم مجتمع المدينة المنورة، في مرحلة النبوة، التي ابتدأت بنزول الوحي على النبي ﷺ ، في مكة المكرمة، فبدأ يدعو إلى هذا الدين، فأسلم من أراد الله له الهداية، والفوز في الدنيا والآخرة، واختاره الله لنصرة دينه واتباع نبيه، حتى كانت الهجرة إلى المدينة المنورة، التي أقيمت فيها دولة الإسلام الأولى، على أسس الإيمان والتقوى، فكانت مرحلة الهدى والنور، وهي بحق العصر الذهبي لصورة الدولة الإسلامية، التي تحكم بشريعة الإسلام، وتقودها النبوة إلى أفضل المثل، ومكارم

---

(1) الواقعة: 10-11

(2) الحجرات: 10

(3) الحشر: 9

(4) الأنفال: 72

(5) الأنفال: 74-75

الأخلاق، وكانت ما شاء الله لها أن تكون، ثم رفعها الله تعالى، باختيار حبيبه، ورسوله الأكرم، بعد أن خيره مولاه تعالى، فاختار الرفيق الأعلى، وصدق الله العظيم: ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴾[1].

وقد تلت هذه المرحلة، مرحلة الخلافة الراشدة، التي ورثت مرحلة النبوة، فخليفة المسلمين الأول هو أبو بكر الصديق ﷺ الذي أجمع الصحابة، رضوان الله عليهم، على بيعته خليفة للمسلمين، بعد وفاة رسول الله ﷺ، وإنها لأمانة ثقيلة، حمل عبأها أول رجل أسلم مع رسول الله، حينما بلّغه دعوة الإسلام، ووقف إلى جانب الرسول ﷺ يدعو، ويبذل نفسه وماله في سبيل الله، لإظهار هذا الدين ، وهو رضي الله عنه رفيق رسول الله ﷺ في هجرته، سجل ذلك القرآن الكريم ﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا ﴾[2]

وهو الذي قدم جميع ماله في غزوة العسرة، ليجيب الرسول ﷺ ، حينما سأله:" **مَا أَبْقَيْتَ لِأَهْلِكَ؟ قَالَ: أَبْقَيْتُ لَهُمُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ** "[3]، إنه الإيمان الذي عمر قلب الصديق رضي الله عنه، حتى قال عنه رسول الله ﷺ :"**ما فضلكم أبو بكر بكثرة صيام و لا صلاة ، و لكن بشيء وقر في صدره**" [4] وهذا الخليفة الصديق يخاطب الأمة :"أطيعوني ما أطعت الله ورسوله، فإن عصيت الله، فلا طاعة لي عليكم" [5] .

وهو الذي تصدى للردة والمرتدين، فثبت دعائم الإيمان، ودولة الخلافة، على منهاج النبوة ، كما أخبر بذلك الصادق، المصدوق .

وتبع أبا بكر رضي الله عنه الخلفاء الراشدون؛ عمر، وعثمان، وعلي، وهم من كبار الصحابة الكرام، ومن المبشرين بالجنة، فكانت فترة خلافتهم على منهاج النبوة، ما شاء الله لها أن تكون.

---

[1] آل عمران:144

[2] التوبة:40

[3] سنن أبي داود، كتاب الزكاة ، باب في الرخصة في ذلك

[4] أخرجه الألباني في السلسلة الضعيفة

[5] أخرجه ابن كثير

ثم رفعها الله تعالى، وفق تقديره ومشيئته، وكان الخلفاء الثلاثة ، رضوان الله عليهم، من الشهداء الأبرار؛ فعمرﷺ استشهد على يد المجوسي، أبي لؤلؤة الفارسي، وعثمان ﷺ، استشهد على يد أتباع فتنة عبد الله بن سبأ اليهودي، وعلي،كرم الله وجهه، استشهد على يد أبي ملجم الخارجي، حينما بزغ قرن الفتن والفرق، التي فرقت الأمة، وما زالت الأمة تصطلي بنيران فتنها، وتقولات فرقها، والله تعالى يقول: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾[1] .

وقد أوصى رسول الله ﷺ باتباع سنته، وسنة الخلفاء الراشدين، من بعده، فقال: "**فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ، يَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ، فَإِنَّهَا ضَلَالَةٌ، فَمَنْ أَدْرَكَ ذَلِكَ مِنْكُمْ، فَعَلَيْهِ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ، عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ**"[2]

وهذه الوصية من الرسولﷺ للأمة، لكي تعرض المراحل السياسية التي تمر بها، حينما يكون الحكم ملكاً عاضاً، على هذا المنهاج، وقد كان في الفترة التي تلت الخلافة الراشدة، حيث أصبح الحكم وراثياً في العصر الأموي، والعباسي، وما تلاه من عصور الدولة الإسلامية، ولكن حكام هذه الفترة تقيدوا بالشريعة الإسلامية، وإن كانوا قد غيروا الأسلوب الأمثل في اختيار خليفة المسلمين، وشاء الله لهذه الحقبة أن ترفع، ليحل محلها حكم جبري، بعد إلغاء نظام الخلافة، سنة ألف وتسعماية وأربع وعشرين للميلاد(1924م).

وقد وقعت ديار المسلمين فريسة للمستعمر الكافر، الذي سيطر عليها بعد اندحار الدولة العثمانية، إثر الحرب الكونية الأولى، وراحت الشعوب الإسلامية تقاوم هذا الاستعمار لنيل حريتها، وخلاص أوطانها، وكان لها ذلك على فترات متباعدة.

ولكن هذا الاستقلال أتى بشكل آخر من صور الحكم، فتوزعت بلاد المسلمين إلى أقطار ملكية، وجمهورية، أو إمارات، وولايات، وإقطاعات، يقوم على رأس كل منها لون من ألوان الحكم الجبري، الذي لا يستند إلى أحكام الشريعة، ولا يستنير بالحقب السابقة من الخلافة الراشدة، أو حتى صورة الحكم العضوض الأولى.

---

[1] الأنعام:159

[2] سنن الترمذي، كتاب العلم عن رسول الله ، باب ما جاء في الأخذ بالسنة واجتناب البدع

وكثرت الدعوات الإصلاحية، الداعية إلى العودة إلى صورة الحكم الإسلامي، والنهوض بالأمة لتوحيد صفها، وجمع كلمتها، في الجامعة الإسلامية، ومن هؤلاء الدعاة الشيخ جمال الدين الأفغاني، والشيخ محمد عبده، وأبو الحسن الندوي، وغيرهم كثير.

وما زالت الأمة رغم هذه الدعوات تئن من وطأة الفرقة، وتعاني مواجهة الأفكار الوافدة، في عصر أصبح تيار العولمة فيه جارفاً، وكشف الغزاة عن دفين حقدهم، وراحوا يفرغون هذا الحقد من خلال العدوان العسكري، والاقتصادي، والثقافي، والإعلامي، الذي أساء للإسلام والمسلمين، من خلال صحفه، ومجلاته، وكتبه، وأفلامه، بل ودعاياته التجارية لبعض صناعاته.

فهلا تعجل المسلمون نهوضهم ووحدتهم، بعمل جاد وصادق، تجاه تحقيق نبوءة الرسول الأسوة ﷺ، بعودة خلافة راشدة أخرى على منهاج النبوة .

اللهم نسألك تحقيق ذلك، بجمع قلوب هذه الأمة الكريمة، على قلب رجل واحد، حتى تقوم خلافة في المسلمين، تعيد السيرة الأولى لخلافة على منهاج النبوة، يفرح بها المؤمن، ويأمن فيها الإنسان، مهما كان لونه، أو دينه، ويعم الأرض الخير والسلام، والأمن والأمان ﴿وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ ۞ بِنَصْرِ اللَّهِ يَنصُرُ مَن يَشَاءُ﴾[1] فإنك يا مولانا أهل ذلك والقادر عليه.

وصلى الله وسلم وبارك، على سيدنا محمد، الأسوة، وعلى آله، وأصحابه أجمعين، ومن سار على نهجهم، إلى يوم الدين.

قال تعالى : ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾

(1) الروم 4-5

نقرأ في حديث النبي ﷺ قوله: "مَنْ سلك طَرِيقًا يطلب فِيهِ علمًا، سَلَكَ اللَّهُ بِهِ طَرِيقًا مِنْ طُرُقِ الْجَنَّةِ، وَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا رِضًا لِطَالِبِ الْعِلْمِ، وَإِنَّ الْعَالِمَ لَيَسْتَغْفِرُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ، وَمَنْ فِي الْأَرْضِ، وَالْحِيتَانُ فِي جَوْفِ الْمَاءِ، وَإِنَّ فَضْلَ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ، كَفَضْلِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ عَلَى سَائِرِ الْكَوَاكِبِ، وَإِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ، وَإِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَارًا، وَلَا دِرْهَمًا، وَرَّثُوا الْعِلْمَ فَمَنْ أَخَذَهُ، أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ"[1].

إنه هدي نبوي شريف، يبين فيه سيد الناس، وإمام العلماء، فضل أهل العلم، على سائر الناس، حتى العابدين منهم، فالعابد يعود فضل عبادته وخيرها وجزاؤها عليه وحده، أما العالم، فإن علمه يعود بالنفع عليه، وعلى الناس، إذ مهمة العالم أن ينشر هذا العلم، ويعلمه للآخرين، ويدلهم على طريق الخير، من خلال هذا العلم.

ولعل من أفضل العلوم، بل من أشرفها، ما تعلق بالعلم الذي يقود صاحبه، ويقود الناس إلى توحيد الله ﷻ، وفهم أسماء الله الحسنى، وصفاته الفضلى، بما يرسخ العقيدة في النفوس، والإيمان في القلوب، ولذلك حرص النبي ﷺ في الفترة المكية على ترسيخ أسس العقيدة، والإيمان، والأخلاق، في نفوس المسلمين الأوائل، وجاء القرآن المكي يثبت أسس العقيدة، ويبين وحدانية الله، وتفرده بالربوبية والإلوهية.

وذم ما عليه الناس من العقائد الباطلة، واتخاذهم أصناما، وأوثانا، أربابا من دون الله، فكانت العلوم المتعلقة بفهم أسس العقيدة، وأحكام الشريعة، من أفضل ما اشتغل به السلف الصالح، رضوان الله عليهم، ولا شك بأن العلم يشرف، ويعظم بمتعلقه، فكل علم تعلق بفهم أصول العقيدة، وكتاب الله، وسنة رسوله، وفهم الأحكام الشرعية المستنبطة من الكتاب والسنة، يأتي في المرتبة الأولى، لأنه يحفظ للأمة استقامتها على التوحيد والإيمان، ويبين لها الطريق المستقيم في

[1] سنن أبي داود، كتاب العلم، باب الحث على طلب العلم

عباداتها ومعاملاتها، وكل ما له علاقة بمناحي حياتها، ولذلك جاء الحث على طلب العلم بآيات الله البينة، وأحاديث رسوله الأكرم ﷺ فقال تعالى: ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾[1] ، وقال تعالى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾[2] .

فبدأ الله تعالى بنفسه، وثنى بملائكة قدسه، وجاء أهل العلم في المرتبة الثالثة، فأكرم بهذا الفضل وأنعم بهذه المنزلة، بالشهادة على تفرد الله بالإلوهية، بشهادة الملائكة الأطهار، والعلماء الأبرار.

كما دعا الله تعالى المؤمنين، بأن ينفر منهم من يتعلم العلم، لينتفع به الناس، فقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾[3] . وقد دلت هذه الآية الكريمة على وجوب طلب العلم، وتعلم كل فنون العلوم وفروعها، فقرر علماء المسلمين بأن على الأمة أن ينهض فيها من يتقن كل فرع من فروع العلم، التي يتوصل إليها بنو البشر، واعتبروا ذلك فرض كفاية على الأمة، فإن تخاذلت الأمة عن هذا الفرض أثمت الأمة بمجموعها.

وهذا يدل ـ بشكل قاطع – على اهتمام الإسلام بطلب العلوم كافة، لما يعود على الأمة بالنفع والخير، إذ لا يجوز للأمة أن تتأخر عن ركب الأمم الأخرى، فالتقدم العلمي والصناعي والحياتي لكل أمة لا يكون بدون العلم، الذي يأخذ بيد الأمة إلى مراقي التقدم والازدهار.

وهذا ما حرصت عليه أمتنا الإسلامية في عصورها الذهبية الزاهية، فنقلت عن الأمم السابقة سائر معارفها وعلومها، من خلال الترجمة، فهذبت تلك العلوم، وفق مفاهيم الإسلام، وزادت عليها، حتى كانت هذه العلوم زاد النهضة لأمتنا، وغيرها من الأمم، بخاصة الأمم الأوروبية، التي

---

[1] المجادلة:11

[2] آل عمران:18

[3] التوبة:122

وصل ديارها الإسلام، أو اتصلت بالمسلمين بحكم قربها من ديارهم، والأندلس ـ اسبانيا اليوم ـ أكبر شاهد على حضارة المسلمين، وعلومهم.

وقد زخر التاريخ الإسلامي بحقبه المتعاقبة بأسماء العلماء والمبدعين، من أبناء هذه الأمة، في جميع الميادين، وحقول العلوم المختلفة، في جميع فروع العلوم الدينية والدنيوية، في التوحيد، والتفسير والحديث، والفقه، واللغة، والطب، والرياضيات، والجغرافيا، والفلسفة، وسائر العلوم.

كيف لا؟ وأول آية من القرآن الكريم، أنزلت على قلب حبيبنا الأمين ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾[1] ، وهو ﷺ القائل:" طَلَبُ الْعِلْمِ فَرِيضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ، وَوَاضِعُ الْعِلْمِ عِنْدَ غَيْرِ أَهْلِهِ، كَمُقَلِّدِ الْخَنَازِيرِ الْجَوْهَرَ وَاللُّؤْلُؤَ وَالذَّهَبَ "[2] و" مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا، سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ "[3] ، وكثير من الأحاديث النبوية الشريفة التي تحث على طلب العلم، وتبين فضل العلماء منها: " يَشْفَعُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثَلَاثَةٌ: الْأَنْبِيَاءُ، ثُمَّ الْعُلَمَاءُ، ثُمَّ الشُّهَدَاءُ " [4]، فأعظم بمنزلة، جاءت بين النبوة والشهادة، بشهادة من لا ينطق عن الهوى، الذي زكى الله قلبه، وفؤاده، ولسانه.

" روي أَنَّ نَافِعَ بْنَ عَبْدِ الْحَارِثِ لَقِيَ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ ﷺ بِعُسْفَانَ، وَكَانَ عُمَرُ ﷺ اسْتَعْمَلَهُ عَلَى مَكَّةَ، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ ﷺ: مَنِ اسْتَخْلَفْتَ عَلَى أَهْلِ الْوَادِي؟ قَالَ: اسْتَخْلَفْتُ عَلَيْهِمْ ابْنَ أَبْزَى، قَالَ : وَمَا ابْنُ أَبْزَى؟ فَقَالَ: رَجُلٌ مِنْ مَوَالِينَا، فَقَالَ عُمَرُ ﷺ: اسْتَخْلَفْتَ عَلَيْهِمْ مَوْلًى؟ فَقَالَ: إِنَّهُ قَارِئٌ لِكِتَابِ اللَّهِ، عَالِمٌ بِالْفَرَائِضِ، قَاضٍ، فَقَالَ عُمَرُ ﷺ: أَمَا إِنَّ نَبِيَّكُمْ ﷺ قَدْ قَالَ: إِنَّ اللَّهَ يَرْفَعُ بِهَذَا الْكِتَابِ أَقْوَامًا، وَيَضَعُ بِهِ آخَرِينَ "[5] .

---

[1] العلق: 1

[2] سنن ابن ماجه، كتاب المقدمة ، باب فضل العلماء والحث على طلب العلم

[3] سنن الترمذي، كتاب العلم عن رسول الله ، باب فضل طلب العلم

[4] سنن ابن ماجه، كتاب الزهد ، باب ذكر الشفاعة

[5] مسند أحمد، مسند العشرة المبشرين بالجنة، أول مسند عمر بن الخطاب ﷺ

فأنعم بعالم فهم هذا الكتاب، وعمل بأوامره، واجتنب نواهيه، إذ لا غاية أعلى وأكرم، من فهم كتاب الله تعالى. فهو الذي يرفع العاملين بأحكامه في الدنيا والآخرة، فيقال لصاحب القرآن:" **اقْرَأْ وَارْقَ، وَرَتِّلْ كَمَا كُنْتَ تُرَتِّلُ فِي الدُّنْيَا، فَإِنَّ مَنْزِلَتَكَ عِنْدَ آخِرِ آيَةٍ تَقْرَؤُهَا**"[1] .

وإذا كان هذا فضل العلم، فيجب على العلماء أن ينهضوا بدورهم، ويأخذوا مكانهم بين الأمة؛ ليقودوها إلى سبل الخير، والرفعة، والكرامة.

في الوقت الذي نحذر فيه من كتم العلم، أو البخل في نشره، لنفع الناس، فقد توعد الله كاتم العلم بالعذاب ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ* إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا فَأُولَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾[2]، والرسول ﷺ يقول:" **مَنْ كَتَمَ عِلْمًا يَعْلَمُهُ، جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مُلْجَمًا بِلِجَامٍ مِنْ نَارٍ**"[3] .

ألا فلينهض علماء الأمة بواجبهم، وليأخذوا على أنفسهم عهد الله وميثاقه، لبيان هدايات الله، وهدي رسوله الأسوة ﷺ لتسلك الأمة سبيل الهدى والرشاد، الذي يقود إلى عزة الأمة في الدنيا، ونجاتها في الآخرة ﴿ يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴾[4] .

نسأل الله تعالى أن يجعلنا هداة مهدين، ويوفقنا لحمل أمانة العلم، وأدائها على وجهها، الذي يرضي الله ورسوله، وصلى الله وسلم وبارك، على حبيبنا الأسوة، وعلى آله الطاهرين، وصحابته الغر المحجلين، ومن اقتدى، واهتدى بهديه وسيرته، إلى يوم الدين.

" **يَشْفَعُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثَلَاثَةٌ: الْأَنْبِيَاءُ، ثُمَّ الْعُلَمَاءُ، ثُمَّ الشُّهَدَاءُ** "

---

[1] مسند أحمد، مسند المكثرين من الصحابة ، مسند عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله تعالى عنهما

[2] البقرة:159-160

[3] مسند أحمد، باقي مسند المكثرين ، باقي المسند السابق

[4] المائدة:109

يخبر ابن مسعود رضي الله عنه فيقول: " قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: لَقِيتُ إِبْرَاهِيمَ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، أَقْرِئْ أُمَّتَكَ مِنِّي السَّلَامَ، وَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ الْجَنَّةَ طَيِّبَةُ التُّرْبَةِ، عَذْبَةُ الْمَاءِ، وَأَنَّهَا قِيعَانٌ، وَأَنَّ غِرَاسَهَا، سُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ "[1]

ومثله عن أبي هريرة رضي الله عنه:" أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مَرَّ بِهِ، وَهُوَ يَغْرِسُ غَرْسًا، فَقَالَ: يَا أَبَا هُرَيْرَةَ، مَا الَّذِي تَغْرِسُ؟ قُلْتُ: غِرَاسًا لِي، قَالَ: أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى غِرَاسٍ خَيْرٍ لَكَ مِنْ هَذَا، قَالَ: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: قُلْ سُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ، يُغْرَسْ لَكَ بِكُلِّ وَاحِدَةٍ شَجَرَةٌ فِي الْجَنَّةِ "[2]

إنه هدي عظيم من هدي المصطفى ﷺ يبين ثواب الذكر عند الله تعالى، ويسوق هذه الكلمات التي تشتمل على تنزيه الله، وتمجيده من التسبيح، والتحميد، والتوحيد، والتعظيم، والتكبير.

وهي أذكار خفيفة على اللسان، لكنها ثقيلة في ميزان الله تعالى، وكذلك كان جزاؤها كبيرا، وأجرها جزيلا، إنها غراس الجنة، وقد ورد في فضلها آيات كريمة، في كتاب الله تعالى، وأحاديث كثيرة من أحاديث الهادي ﷺ، من ذلك قول الله تعالى:﴿ وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴾[3] ومن ذلك قول الله تعالى :﴿ . . . . وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴾[4]

وقد أثنى الله على الذاكرين والذاكرات، ووعدهم الأجر العظيم، فقال تعالى:﴿ . . . وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾[5]

---

[1] سنن الترمذي، كتاب الدعوات عن رسول الله، باب ما جاء في فضل التسبيح والتكبير والتهليل والتحميد

[2] سنن ابن ماجه، كتاب الأدب، باب فضل التسبيح فضل التسبيح

[3] الكهف:46

[4] العنكبوت:45

[5] الأحزاب:35

وفسر رسول الله ﷺ، معنى الباقيات الصالحات، فيما رواه أبو سعيد الخدري ﷺ" عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: اسْتَكْثِرُوا مِنَ الْبَاقِيَاتِ الصَّالِحَاتِ، قِيلَ: وَمَا هِيَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: الْمِلَّةُ، قِيلَ: وَمَا هِيَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: الْمِلَّةُ، قِيلَ: وَمَا هِيَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: الْمِلَّةُ، قِيلَ: وَمَا هِيَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: التَّكْبِيرُ، وَالتَّهْلِيلُ، وَالتَّسْبِيحُ، وَالتَّحْمِيدُ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ" [1]

وقد حرص أصحاب رسول الله ﷺ، على فعل الخيرات، والقيام بالأذكار، والعبادات، لذلك تجدهم يتسابقون في دروب الخير، ويوازنون بين الأعمال، فقد ورد عن الذين لا يجدون أموالا ينفقونها، ترددهم إلى رسول الله ﷺ ، ليسألوه كيف يوازون المتصدقين بأموالهم، ففي الحديث الشريف الذي يرويه أبو ذر ﷺ:" أَنَّ نَاسًا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالُوا لِلنَّبِيِّ ﷺ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! ذَهَبَ أَهْلُ الدُّثُورِ[2] بِالْأُجُورِ، يُصَلُّونَ كَمَا نُصَلِّي، وَيَصُومُونَ كَمَا نَصُومُ، وَيَتَصَدَّقُونَ بِفُضُولِ أَمْوَالِهِمْ، قَالَ: أَوَ لَيْسَ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ مَا تَصَّدَّقُونَ، إِنَّ بِكُلِّ تَسْبِيحَةٍ صَدَقَةً، وَكُلِّ تَكْبِيرَةٍ صَدَقَةً، وَكُلِّ تَحْمِيدَةٍ صَدَقَةً، وَكُلِّ تَهْلِيلَةٍ صَدَقَةً، وَأَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ صَدَقَةٌ، وَنَهْيٌ عَنْ مُنْكَرٍ صَدَقَةٌ، وَفِي بُضْعِ أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ؛ أَيَأتِي أَحَدُنَا شَهْوَتَهُ، وَيَكُونُ لَهُ فِيهَا أَجْرٌ، قَالَ: أَرَأَيْتُمْ لَوْ وَضَعَهَا فِي حَرَامٍ، أَكَانَ عَلَيْهِ فِيهَا وِزْرٌ، فَكَذَلِكَ إِذَا وَضَعَهَا فِي الْحَلَالِ، كَانَ لَهُ أَجْرًا "[3] .

وهذه أبواب كثيرة من أبواب الخير مفتوحة أمام المسلم، على مصاريعها، ليدخل منها إلى أي أنواع الخير شاء .

فإذا كان أصحاب الأموال ينفقون في سبيل الله، وينالون الأجر، فإن الذاكرين الله، والعاملين على تحويل كل أعمالهم، وأقوالهم، إلى عبادة لله، من خلال النية الخالصة لله تعالى، التي تجعل الأعمال الفطرية أو الغرائزية عبادات، يثاب عليها الإنسان، إن هؤلاء يدركون ثواب المتصدقين بأموالهم، وربما يفوقونهم، ويتقدمون عليهم .

لأن انشغالهم بالتسبيح والتحميد، وذكر الله، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، يعد صدقات في ميزان أعمالهم، وقد رتب الله تعالى ثواباً عظيماً لمن داوم على ذكره، وشغل أوقاته بهذا الذكر الذي

---

[1] مسند أحمد، باقي مسند المكثرين، مسند أبي سعيد الخدري ﷺ

[2] أهل الدثور: هم أهل الأموال

[3] صحيح مسلم، كتاب الزكاة ، باب بيان أن اسم الصدقة يقع على كل نوع من المعروف

يحيي القلب، ويجعله معلقاً بمراقبة الله تعالى، راغباً في ثوابه، مشفقاً خشية ورغبة ورهبة، وهذا حال الصادقين مع الله تعالى، يخافون الله، وهم يأتون بالخيرات ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَباً وَرَهَباً وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾ [1]

فهذه الأذكار العظيمة التي يستطيع كل امرئ منا أن يقوم بها، ويبقى لسانه رطباً بها، ثقيلة في ميزان الله تعالى، منجية لأصحابها يوم القيامة من النار، فقد ورد عن الرسول ﷺ قوله لأصحابه "**خذوا جنتكم،** [2] **قلنا: يا رسول الله من عدو قد حضر، قال : لا جنتكم من النار، قولوا: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، فإنها يأتين يوم القيامة منجيات،** [3] **ومقدمات، وهن الباقيات الصالحات**" [4].

فأنعم بهذه الكلمات الطيبات، والباقيات الصالحات، التي تقي أصحابها من النار، وتحفظهم من الوقوع بها يوم القيامة، إذ تتقدمهم، وتحفهم من خلفهم .

فما أعظم ثواب هذه الأذكار عند الله تعالى، وما أحرانا أن نشغل ألسنتنا، وجوارحنا بها، لنيل رضوان الله، وثوابه، وهو نتاج التجارة الرابحة في الدنيا والآخرة ، قال تعالى : ﴿ يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَن نَّفْسِهَا وَتُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ ﴾ [5]. وقال تعالى : ﴿يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِم بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [6].

فهيا بنا إخوة الإيمان، نجتمع على مائدة الرحمن، بذكره، وتسبيحه، وتحميده، وتعظيمه، وشكره على ما منّ به علينا، من نعمه، التي لا تحصى، وفضله الذي لا يستقصى، فقد جعل لنا في كل كلمة، أو حركة، أو سكنة، نبتغي بها وجهه الكريم، حسنة وأجراً، والحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة، والله يضاعف لمن يشاء، ولنعمل بما وجهنا إليه رسولنا، ونبينا الأسوة ﷺ ، من عبادات وأذكار، وهدي كريم، فلنكثر من قول "**سبحان الله، وبحمده، سبحان الله العظيم** "، فهما كما قال رسول الله ﷺ:

---

(1) الأنبياء:90

(2) الجنة هي ما يستر ويقي من النار

(3) المنجيات :أي مقدمات بين أيديكم يوم القيامة

(4) أخرجه ابن أبي حاتم في تاريخ بغداد عن أبي هريرة رضي الله عنه

(5) النحل:111

(6) الحديد:12

" كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ، ثَقِيلَتَانِ فِي الْمِيزَانِ، حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ؛ سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ، سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ "[1].

ومن قوله ﷺ: " الطُّهُورُ شَطْرُ الإِيمَانِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلأُ الْمِيزَانَ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلآنِ ـ أَوْ تَمْلأُ ـ مَا بَيْنَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ، وَالصَّلاةُ نُورٌ، وَالصَّدَقَةُ بُرْهَانٌ، وَالصَّبْرُ ضِيَاءٌ، وَالْقُرْآنُ حُجَّةٌ لَكَ أَوْ عَلَيْكَ، كُلُّ النَّاسِ يَغْدُو، فَبَايِعٌ نَفْسَهُ، فَمُعْتِقُهَا أَوْ مُوبِقُهَا "[2]

فليكن غدونا ورواحنا في الخير، من خلال ذكر الله، وعبادته، والتحلي بالأخلاق الفاضلة، بالصبر على الطاعة، والعمل بأحكام كتاب الله تعالى، والسير على نهج رسوله الأسوة ﷺ، لنعتق أنفسنا من النار وعذابها، ونفوز برضوان الله في جنة، عرضها كعرض السماء والأرض أعدت للمتقين.

اللهم اكتبنا منهم لنحظى بالنظر إلى سبحات وجهك الكريم، وتلك هي الحسنى وزيادة، وصلى الله وسلم وبارك، على نبينا الأعظم، ورسولنا الأكرم، أسوتنا في الدنيا، وشفيعنا في الآخرة، وعلى آله الطاهرين، وصحابته الغر الميامين، ومن سار على سنته، واهتدى بهديه، إلى يوم الدين.

> قال رسول الله ﷺ : " كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ، ثَقِيلَتَانِ فِي الْمِيزَانِ، حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ؛ سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ، سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ "

---

[1] صحيح البخاري، كتاب الدعوات ، باب فضل التسبيح

[2] صحيح مسلم، كتاب الطهارة، باب فضل الوضوء

نقف على هدي النبي ﷺ إذ يقول :" إِنّ اللّه أوحى إليّ أنْ تَواضعوا؛ حتّى لا يبغي أحدٌ على أحدٍ، ولا يفخر أحدٌ على أحدٍ " [1].

إنه هدي كريم، يحث على خلق عظيم، هو خلق التواضع؛ وهو خفض الجناح، ولين الجانب، ونقيض التواضع الكبر؛ وهو خلق ذميم وضيع، والتواضع من صفات عباد الله المؤمنين، حملهم عليه الإيمان، الذي عمّر القلوب، وأصلح النفوس، فتواضعت لله تعالى، ولانت لخلقه، يقول تعالى في وصف عباده المتواضعين: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ [2].

إنهم يعرفون من مظاهرهم وحركاتهم؛ يمشون بسكينة، ووقار، بعيداً عن الكبر، والاستكبار، سمتهم العلم، والحلم، والفقه، والبعد عن السفه، والطيش، والخفة، فهم عباد الرحمن العلماء، والحكماء، والكرماء.

وحسب التواضع شرفاً، ومنزلةً، أنه من علامات حب الله للعبد، كما أنه صفة ملازمة لحزب الله الغالب، والمفلح، الذي لا يخشى في الله لومة لائم، يقول جل وعلا: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [3] وفي آية أخرى يقول تعالى في وصف المؤمنين المتواضعين ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ﴾ [4].

---

[1] سنن أبي داود، كتاب الأدب، باب التواضع

[2] الفرقان:63

[3] المائدة:54

[4] الفتح:29

وهذا شأن المتواضعين في الدنيا، رحماء رفقاء، هينين لينين، مع أهل الإيمان ، أشداء على الباطل وأهله، فرحمتهم لله، وشدتهم في مرضاته، وهم ورثة الدار الآخرة، جزاء تواضعهم، وحلمهم، يقول تعالى: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾[1]. والرسول ﷺ يقول :" ... **وما تواضع أحدٌ لله، إلّا رفعه الله** "[2] . إنها عزة الدنيا ورفعة الآخرة، وذلك هو الفوز العظيم.

فالمتواضع يرفعه الله في الدنيا، ويجعل له بتواضعه منزلة في قلوب الخلق، فيغدو محل محبتهم وإجلالهم، كما أنه في الآخرة ينال الثواب العظيم، والأجر المقيم، في دار الكرامة الخالدة، حيث لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، يقول أبو بكر الصديق رضي الله عنه:" **وجدنا الكرم في التقوى، والغنى في اليقين، والشرف في التواضع**"[3]

وما أحسن قول الشاعر: **إن التواضع من خصال المتقي** **وبه التقي إلى المعالي يرتقي**

وأخلص في النصيحة من قال: **تواضع تكن كالنجم لاح لناظر** **على صفحات الماء وهو رفيع**

و لا تك كالدخان يعلو بنفسه **إلى طبقات الجو و هو وضيع**

ومن مظاهر التواضع؛ مجالسة الفقراء، والأكل مع الأيتام والضعفاء، والمشي في حوائج المحتاجين، وقبول المعذرة من المسيئين، وملاقاة المسلمين بوجه طلق، وإجابة دعوتهم، وإعانة ملهوفهم، ورحمة ضعيفهم.

وقد حاز رسولنا، وأسوتنا ﷺ، القدح المعلى في التواضع، فقد عرض عليه ربه أن يكون عبداً رسولاً، أو نبياً ملكاً، فاختار أن يكون عبداً رسولاً، فروى أبو هريرة رضي الله عنه قال :" **جَلَسَ جبريلُ إلى النَّبِيِّ ﷺ فنظر إلى السماء، فإذا ملكٌ ينزل، فقال جبريلُ: إنَّ هذا الملك ما نزل منذ يوم خُلق قبل السَّاعة، فلما نزل، قال: يا محمَّدُ أرسلني إليك ربك، قال: أفملكًا نبيًّا يجعلك، أو عبدًا رسولًا، قال جبريل: تواضع لربِّك يا محمَّدُ، قال: بل عبدًا رسولًا** "[4] .

---

[1] القصص:83
[2] صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب استحباب العفو والتواضع
[3] الغزالي، إحياء علوم الدين، ج3،ص467
[4] مسند أحمد، مسند المكثرين، مسند أبي هريرة

إنه تواضع الرسول الكامل، الذي اجتباه ربه حبيباً، وأرسله للعالمين جميعاً، وهذا شأنه مع ربه، كما هو شأنه في حياته وبيته، لازمه خلق التواضع، إنه النبي الأكرم، الذي أدبه ربه فأحسن تأديبه، وعلمه مما يشاء، وجعله على خلق عظيم، فقال بحقه: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [1] .

وقد سئلت الصديقة بنت الصديق، عائشة رضي الله عنهما:" **مَا كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَصْنَعُ فِي أَهْلِهِ؟ قَالَتْ: كَانَ فِي مِهْنَةِ أَهْلِهِ، فَإِذَا حَضَرَتِ الصَّلَاةُ، قَامَ إِلَى الصَّلَاةِ** " [2]. وكان فراشه ﷺ جلداً حشوه ليف، وكان ﷺ يلبس الصوف، ويحلب شاته، ويراعي ضيفه، وكان يمر بالصبيان فيسلم عليهم، عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ :" **كان يزور الأنصار، ويسلم على صبيانهم، ويمسح رؤوسهم** " [3].

و عنه رضي الله عنه قال : " **كَانَ النَّبِيُّ ﷺ أَحْسَنَ النَّاسِ خُلُقًا، وَكَانَ لِي أَخٌ، يُقَالُ لَهُ أَبُو عُمَيْرٍ، قَالَ: أَحْسِبُهُ فَطِيمًا، وَكَانَ إِذَا جَاءَ، قَالَ: يَا أَبَا عُمَيْرٍ؛ مَا فَعَلَ النُّغَيْرُ**[4] **- نُغَرٌ كَانَ يَلْعَبُ بِهِ - فَرُبَّمَا حَضَرَ الصَّلَاةَ، وَهُوَ فِي بَيْتِنَا، فَيَأْمُرُ بِالْبِسَاطِ الَّذِي تَحْتَهُ، فَيُكْنَسُ وَيُنْضَحُ، ثُمَّ يَقُومُ، وَنَقُومُ خَلْفَهُ، فَيُصَلِّي بِنَا** " [5]، وفي هذا دلالة واضحة على تواضع سيدنا وحبيبنا حتى مع الصبية الصغار. ومن دلالات تواضعه ﷺ، قوله:" **لَا تُطْرُونِي كَمَا أَطْرَتِ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ، فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُهُ، فَقُولُوا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ** " [6].

وهذا غيض من فيض تواضعه ﷺ، وهو سيد ولد آدم أجمعين، والمبعوث رحمة للعالمين.

فأين المتكبرون على الخلق من هذه الأخلاق الكريمة، والشيم الرفيعة، أما آن لهم أن يتوبوا إلى ربهم، ويثوبوا إلى رشدهم، كي لا يوصلهم تكبرهم إلى الهلاك والبوار، والخسران في الدنيا

---

(1) القلم:4

(2) صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب كيف يكون الرجل في أهله

(3) أخرجه الألباني في السلسلة الصحيحة عن أنس بن مالك

(4) النغير: طير صغير واحده نغر وجمعه نغران ، قال الخطابي طوير له صوت، والراجح أن النغير طائر أحمر المنقار

(5) صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب الكنية للصبي وقبل أن يولد للرجل

(6) صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها

والآخرة، فالرسول ﷺ يقول:" **لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ كِبْرٍ، وَلَا يَدْخُلُ النَّارَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ** "[1] .

وقد كشف الله حقيقة المتكبرين، وعدم انصياعهم للحق، مع معرفتهم له، فقال تعالى: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾[2] ، وهذا تكبر على الله، وآياته، ورسوله. أما التكبر على الناس، فهو احتقارهم، واستعظام نفسه عليهم، وقد بين الرسول ﷺ ذلك، بقوله:"... **الْكِبْرُ بَطَرُ الْحَقِّ، وَغَمْطُ النَّاسِ**[3] "[4] .

نسأل الله تعالى أن يجعلنا من عباده المتواضعين، وأن ينزع ما في نفوسنا من الأخلاق الذميمة، وأن يبعدنا عن الكبر والمتكبرين، وأن يحشرنا مع عباده الصالحين، ويمن علينا بتوبة نصوح، قبل الموت، وعند الموت، لنلقى الله تعالى وهو راضٍ عنا، وأن يلهمنا السير على طريق رسولنا الأسوة ﷺ؛ إمام المتواضعين، وقدوة العاملين، لنفوز بدار الرضوان، التي أعدت للمتقين .

وصلى الله وسلم وبارك، على سيدنا محمد، الأسوة، وعلى آله، وأصحابه أجمعين، ومن اقتدى بأخلاقه، واهتدى بهديه، إلى يوم الدين.

سئلت الصديقة بنت الصديق، عائشة رضي الله عنهما:" **مَا كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَصْنَعُ فِي أَهْلِهِ؟ قَالَتْ: كَانَ فِي مِهْنَةِ أَهْلِهِ، فَإِذَا حَضَرَتْ الصَّلَاةُ، قَامَ إِلَى الصَّلَاةِ** "

[1] سنن ابن ماجه، في المقدمة، في الإيمان

[2] النمل:14

[3] غمط الناس: احتقارهم والازدراء بهم

[4] صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب تحريم الكبر وبيانه

أخرج البيهقي في سننه عن ابن جريج " **أن النبي ﷺ كان إذا رأى البيت رفع يديه وقال : اللهم زد هذا البيت تشريفا، وتعظيما، وتكريما، ومهابة، وزد من شرفه، وكرمه، وعظمه ممن حجه، أو اعتمره، تشريفا، وتكريما، وتعظيما، وبرا** " [1].

إنه هدي كريم، ودعاء عظيم، يعلمه رسول الله ﷺ، لمن وفقه الله من أبناء الأمة الإسلامية، لأداء فريضة الحج، أو أداء مناسك العمرة، وهذا أمر حاصل على مدار أيام العام، فلا يخلو وقت من الأوقات من المعتمرين بالبيت الحرام من المسلمين، علاوة على من يؤدون فريضة الحج في وقتها من كل عام. وقد دعا رسولنا الأكرم ﷺ بهذا الدعاء، في حجة الوداع، وفي عمراته ﷺ .

ومما لا شك فيه، أن بيت الله الحرام، نال من التشريف، والتعظيم، والتكريم، منزلة عظيمة عند الله تعالى، فقد بنته الملائكة الأطهار، أو سيدنا آدم عليه السلام، وكلا الأمرين تشريف، وتكريم لبيت الله الحرام، الذي طاف به آدم، والملائكة عليهم السلام، وغدا الطواف به تحية له إلى يوم الدين.

فقد ورد عن نبينا ورسولنا ﷺ: " **أَنَّ أَوَّلَ شَيْءٍ بَدَأَ بِهِ حِينَ قَدِمَ النَّبِيُّ ﷺ أَنَّهُ تَوَضَّأَ، ثُمَّ طَافَ، ثُمَّ لَمْ تَكُنْ عُمْرَةً، ثُمَّ حَجَّ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، مِثْلَهُ، ثُمَّ حَجَجْتُ مَعَ أَبِي الزُّبَيْرِ رضي الله عنه فَأَوَّلُ شَيْءٍ بَدَأَ بِهِ؛ الطَّوَافُ، ثُمَّ رَأَيْتُ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارَ يَفْعَلُونَهُ، وَقَدْ أَخْبَرَتْنِي أُمِّي أَنَّهَا أَهَلَّتْ هِيَ وَأُخْتُهَا وَالزُّبَيْرُ وَفُلَانٌ وَفُلَانٌ بِعُمْرَةٍ، فَلَمَّا مَسَحُوا الرُّكْنَ حَلُّوا**"[2] ، وهذا ما أكده القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴾[3].

وقد بين هدي المصطفى ﷺ أنواع الطواف حول هذا البيت المحرم، فقادم البيت الحرام بحج أو عمرة يبدأ بطواف القدوم، أو طواف التحية، وهو سنة في الحج، وركن في العمرة، ثم طواف الإفاضة، وهو ركن في الحج.

---

[1] أخرجه البيهقي في السنن الكبرى عن ابن جريج عبد الملك بن عبد العزيز

[2] صحيح البخاري، كتاب الحج ، باب من طاف بالبيت إذا قدم مكة قبل أن يرجع إلى بيته

[3] الحج: 29

وآخر أعمال الحاج، طواف الوداع، كما أن تحية البيت الطواف لمن دخل المسجد، ويسن التنفل بالطواف، لمن أقام في البيت، أو في مكة، في موسم الحج، أو في أيام العمرة، التي تكون في جميع أيام السنة، خلا أيام الحج.

فتنبه أيها المسلم - هداك الله - إلى هذا الدعاء العظيم، الذي دعا به نبينا ﷺ حينما شاهد البيت، وهو سنة قولية وعملية، فعلها النبي ﷺ تعليماً وإرشاداً لأمته، التي أكرمها الله بحج البيت، والاعتمار به.

ومن تشريف الله لهذا البيت أن يقوم ببنائه رسل الله الكرام، عليهم الصلاة والسلام، ويطوفون به، ويأمرون أتباعهم بالطواف به، فالله يخبرنا أن إبراهيم خليل الله، وابنه إسماعيل الذبيح عليهما السلام، قاما ببناء هذا البيت على قواعده، فقال تعالى: ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾[1].

وكان سيدنا إبراهيم عليه السلام قد أسكن ابنه إسماعيل وزوجه هاجر بالقرب من البيت الحرام، وأخبرنا الله بذلك في قوله تعالى: ﴿ رَّبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴾[2].

وكان إبراهيم عليه السلام يتردد على البيت، ويزور ابنه إسماعيل، الذي أراد أن يتقرب إلى الله بالتضحية به، لولا أن فداه الله بذبح عظيم، فصلاة الله، وسلامه على المتقرب لربه، وصلاة الله، وسلامه على القربان الصابر، المستسلم لأمر ربه، إنهما من عباد الله المخلصين، والمصطفين، والأخيار، وقبل هذا، وبعده، من رسل الله الكرام، وهذه هي أخلاق الأنبياء والمرسلين، عليهم أفضل الصلاة، وأتم التسليم.

---

(1) البقرة: 127

(2) إبراهيم: 37

كما أن من تشريف الله وتعظيمه وتكريمه للبيت الحرام، أن رسول الله ﷺ قد وضع الحجر الأسود بيده في مكانه، حينما جددت قريش بناء البيت على قواعده، إثر الضرر الذي لحق به جراء السيول، وقد بنته من أموال الحلال، التي لم يخالطها الربا.

ومن تشريف هذا البيت، وتكريمه، وتعظيمه، أمر الله تعالى لإبراهيم عليه السلام عندما اكتمل بناء البيت أن يدعو الناس لحجه، فقال تعالى : ﴿ وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴾[1]. فكانت دعوة إبراهيم عليه السلام سنة باقية، وفريضة خالدة، في أمة التوحيد، من الأنبياء، والرسل الكرام، وأتباعهم من أممهم، وقد أقرت هذه الفريضة، والسنة في شريعة الإسلام، فكان حج البيت، وما يزال إلى يوم القيامة، ركناً من أركان الإسلام، الذي يقوم عليها بنيان هذا الدين العظيم.

ومنذ عاد المسلمون إلى مكة المكرمة فاتحين، وطهروا البيت الحرام من الأصنام والأوثان، حيث ظهر الحق، وزهق الباطل، والبيت الحرام مفتوح أمام الزائرين، من حجاج، ومعتمرين، لا يحول بينهم وبينه إلا ظالم لنفسه، معتد أثيم.

ومن تشريف هذا البيت وتكريمه أن جعله الله أول بيت يوضع في الأرض لعبادة الله وطاعته، فالله يقول: ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ ﴾[2]

كما جعله الله بيتاً محرماً ؛ أي لا يجوز اصطياد صيده، أو قطع شجره، كما جعله الله آمناً لمن دخله، ﴿ وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا ﴾[3].

ورتب العقاب الشديد لمن أراد به، أو لداخليه ظلماً، فقال تعالى: ﴿ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾[4]، وكانت العرب قبل الإسلام تعظم البيت الحرام، فلو أن أحدهم وجد قاتل أبيه في البيت ما أهاجه، ولا أخافه،كما كانوا يتسابقون على شرف سدانته، ورفادته.

---

[1] الحج:27

[2] آل عمران:96

[3] آل عمران:97

[4] الحج:25

ومن تشريف هذا البيت وتكريمه أن جعله الله مستقراً لمهبط الوحي، فقد سطع نور الإسلام العظيم في فجره الأول، في رحاب البيت، وبطاح مكة المكرمة ، زادها الله شرفاً وتكريماً.

كما كان هذا البيت بداية المعجزة الكبرى، لنبينا ﷺ بإسراء الله به من جنباته الطاهرة، إلى بيت المقدس، في الأرض التي بارك الله فيها، وما حولها، والذي أخبر عنه سبحانه في مطلع سورة الإسراء، فقال تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ﴾ [1] .

وفي هذا بيان لشرف البيت الحرام، والمسجد الأقصى المبارك، هذا المسجد الذي كان ثاني بيت وضع في الأرض، فربط الله تعالى بمعجزة الإسراء بين أول بيت، وثاني بيت، يوضعان في الأرض، وقد ورد ذلك في الحديث الشريف، عن أبي ذر رضي الله عنه، قال: " **قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ؛ أَيُّ مَسْجِدٍ وُضِعَ فِي الْأَرْضِ أَوَّلُ؟ قَالَ: الْمَسْجِدُ الْحَرَامُ، قُلْتُ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: الْمَسْجِدُ الْأَقْصَى، قُلْتُ: كَمْ بَيْنَهُمَا، قَالَ: أَرْبَعُونَ سَنَةً، وَأَيْنَمَا أَدْرَكَتْكَ الصَّلَاةُ، فَصَلِّ فَهُوَ مَسْجِدٌ** "[2] .

وهذا الربط بين المسجدين يرتب واجباً على المسلمين؛ وهو أمانة القيام بحماية المسجدين ورعايتهما، من كل عدوان، وظلم، يلحق بهما، من عدو وغيره، لأن هذين المسجدين من أعلام العبادة، ورموز التوحيد في الأرض، فلا يجوز للأمة الإسلامية أن تغفل عن واجبها تجاه حمايتهما، ورعايتهما، ولعل ما يعانيه المسجد الأقصى المبارك اليوم، وديار الإسراء والمعراج، شاهد على تقاعس المسلمين عن هذا الواجب العظيم، الذي جعله الله أمانة في أعناق المسلمين جميعاً، وإن المسلم ليسره ما يرى، ويحس به من اهتمام، وعناية، وحرص، وأمن في المسجد الحرام، بينما يحزنه ما يتعرض له المسجد الأقصى المبارك من ممارسات الاحتلال، التي تستهدفه، وجوداً، وحضارةً، وعقيدة.

فإلى متى يبقى المسلمون صابرين على هذا الخطر، الذي يهدد مسجدهم، وقدسهم، ومقدساتهم، وكل عزيز يعتزون به، فوق هذه الأرض؟!! سؤال نطرحه على كل فرد من أفراد الأمة، حسب

---

[1] الإسراء: 1

[2] صحيح مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة

موقعه ومسؤوليته، لعل صلاحاً من بينهم يجيب عن هذا السؤال، أو يتجاوب مع هذا التساؤل، وكلنا يقين أن الخير لا يزال في أمة الإسلام إلى يوم الدين.

والرسول ﷺ يدعو لمن زار البيت من حجاج ومعتمرين، فعظموا هذا البيت، وكرموه، وشرفوه، يدعو لهم بالتكريم، والتشريف، والبر من الله تعالى.

وقد أخبر ﷺ في كثير من أحاديثه، بأن الله يتجاوز عن ذنوب حجاج البيت الحرام وعماره، فورد عنه ﷺ أن الله يغفر ذنوب الحجاج، فيقول ﷺ " **مَا رُئِيَ الشَّيْطَانُ يَوْمًا هُوَ فِيهِ أَصْغَرُ، وَلَا أَدْحَرُ، وَلَا أَحْقَرُ، وَلَا أَغْيَظُ مِنْهُ فِي يَوْمِ عَرَفَةَ، وَمَا ذَاكَ إِلَّا لِمَا رَأَى مِنْ تَنَزُّلِ الرَّحْمَةِ، وَتَجَاوُزِ اللَّهِ عَنْ الذُّنُوبِ الْعِظَامِ، إِلَّا مَا أُرِيَ يَوْمَ بَدْرٍ** "[1] كما قال ﷺ" **مَنْ أَتَى هَذَا الْبَيْتَ، فَلَمْ يَرْفُثْ، وَلَمْ يَفْسُقْ، رَجَعَ كَمَا وَلَدَتْهُ أُمُّهُ** "[2] .

نسأل الله تعالى، أن يجعلنا والمسلمين، ممن يعظمون، ويشرفون، ويكرمون، بيت الله الحرام، تأسياً بحبيبنا، وشفيعنا، ورسولنا الأسوة ﷺ، حتى ننال بركة دعاء الرسول ﷺ بالتشريف، والتكريم، والبر من الله تعالى، وصلى الله وسلم وبارك، على سيدنا محمد، الأسوة، وعلى آله، وأصحابه أجمعين.

(**قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ؛ أَيُّ مَسْجِدٍ وُضِعَ فِي الْأَرْضِ أَوَّلُ؟ قَالَ: الْمَسْجِدُ الْحَرَامُ، قُلْتُ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: الْمَسْجِدُ الْأَقْصَى، قُلْتُ: كَمْ بَيْنَهُمَا، قَالَ: أَرْبَعُونَ سَنَةً، وَأَيْنَمَا أَدْرَكَتْكَ الصَّلَاةُ، فَصَلِّ فَهُوَ مَسْجِدٌ**)

[1] موطأ مالك، كتاب الحج، باب جامع الحج

[2] صحيح مسلم، كتاب الحج ، باب في فضل الحج والعمرة ويوم عرفة

عن ضمضم بن جوس اليمامي، قال: " قَالَ لِي أَبُو هُرَيْرَةَ: يَا يَمَامِيُّ؛ لَا تَقُولَنَّ لِرَجُلٍ: وَاللَّهِ لَا يَغْفِرُ اللَّهُ لَكَ، أَوْ لَا يُدْخِلُكَ اللَّهُ الْجَنَّةَ أَبَدًا، قُلْتُ: يَا أَبَا هُرَيْرَةَ؛ إِنَّ هَذِهِ لَكَلِمَةٌ يَقُولُهَا أَحَدُنَا لِأَخِيهِ وَصَاحِبِهِ، إِذَا غَضِبَ، قَالَ: فَلَا تَقُلْهَا، فَإِنِّي سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: كَانَ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ رَجُلَانِ؛ كَانَ أَحَدُهُمَا مُجْتَهِدًا فِي الْعِبَادَةِ، وَكَانَ الْآخَرُ مُسْرِفًا عَلَى نَفْسِهِ، فَكَانَا مُتَآخِيَيْنِ، فَكَانَ الْمُجْتَهِدُ لَا يَزَالُ يَرَى الْآخَرَ عَلَى ذَنْبٍ، فَيَقُولُ: يَا هَذَا أَقْصِرْ، فَيَقُولُ: خَلِّنِي وَرَبِّي، أَبُعِثْتَ عَلَيَّ رَقِيبًا، قَالَ: إِلَى أَنْ رَآهُ يَوْمًا عَلَى ذَنْبٍ اسْتَعْظَمَهُ، فَقَالَ لَهُ: وَيْحَكَ، أَقْصِرْ، قَالَ: خَلِّنِي وَرَبِّي، أَبُعِثْتَ عَلَيَّ رَقِيبًا، قَالَ: فَقَالَ: وَاللَّهِ لَا يَغْفِرُ اللَّهُ لَكَ، أَوْ لَا يُدْخِلُكَ اللَّهُ الْجَنَّةَ أَبَدًا، قَالَ أَحَدُهُمَا: قَالَ: فَبَعَثَ اللَّهُ إِلَيْهِمَا مَلَكًا، فَقَبَضَ أَرْوَاحَهُمَا، وَاجْتَمَعَا، فَقَالَ لِلْمُذْنِبِ: اذْهَبْ، فَادْخُلِ الْجَنَّةَ بِرَحْمَتِي، وَقَالَ لِلْآخَرِ: أَكُنْتَ بِي عَالِمًا؟! أَكُنْتَ عَلَى مَا فِي يَدِي خَازِنًا؟! اذْهَبُوا بِهِ إِلَى النَّارِ، قَالَ: فَوَالَّذِي نَفْسُ أَبِي الْقَاسِمِ بِيَدِهِ، لَتَكَلَّمَ بِالْكَلِمَةِ، أَوْبَقَتْ دُنْيَاهُ وَآخِرَتَهُ "[1]

يحوي هذا الهدي النبوي الشريف توجيه كريم، وأدب رفيع، ينبغي على كل واحد منا أن يراعيه، ويتأدب به مع الله، فلا يتألى على الله ـ أي لا يحلف على الله بالله بأنه لا يغفر لفلان، أو لا يدخل فلاناً الجنة ـ لأن في هذا الحلف تطاول على إرادة الله، وحجر على مشيئته، وهو ﷻ القادر على كل شيء ، وإذا أراد شيئاً، فإنما يقول له كن فيكون، فلا راد لفضله، ولا مغالب لمشيئته ﷻ، فهو الفعال لما يريد، لا يسأل عما يفعل، وهم يسألون، وخواتيم العباد بيد الله تعالى، وفق مشيئته وإرادته وتقديره، وعلى الإنسان أن يكون متأدباً مع الله تعالى، لا يغتر بطاعته لله ومعصية غيره له سبحانه، فقد يعاقب الله الطائع، ويعفو عن المذنب، فهو ﷻ من لا تنفعه طاعة الطائعين، كما لا تضره معصية العاصين، فليكن الإنسان على حذر من دخول باب لا يعرف أين يؤدي به، أو سلوك طريق لا يعرف مجاهله، فالإنسان محاسب على أعماله وأقواله، وقد يقول الكلمة لا يلقي لها بالاً، فتقذفه في النار،كما ورد في الحديث

[1] مسند أحمد، باقي مسند المكثرين، باقي المسند السابق

الشريف " **إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللَّهِ، لَا يُلْقِي لَهَا بَالًا، يَرْفَعُهُ اللَّهُ بِهَا دَرَجَاتٍ، وَإِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللَّهِ، لَا يُلْقِي لَهَا بَالًا، يَهْوِي بِهَا فِي جَهَنَّمَ** "[1] .

وقد أرشدنا نبينا الأكرم ﷺ إلى وجوب حفظ اللسان عن لغو الكلام وفحشه، لما في آفات اللسان من البلاء، وسوء العاقبة على الإنسان، فقد أوصى ﷺ معاذاً رضي الله عنه بقوله"... **أَلَا أُخْبِرُكَ بِرَأْسِ الْأَمْرِ، وَعَمُودِهِ، وَذُرْوَةِ سَنَامِهِ، فَقُلْتُ: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: رَأْسُ الْأَمْرِ وَعَمُودُهُ الصَّلَاةُ، وَذِرْوَةُ سَنَامِهِ الْجِهَادُ، ثُمَّ قَالَ: أَلَا أُخْبِرُكَ بِمِلَاكِ ذَلِكَ كُلِّهِ؟ فَقُلْتُ لَهُ: بَلَى يَا نَبِيَّ اللَّهِ، فَأَخَذَ بِلِسَانِهِ، فَقَالَ: كُفَّ عَلَيْكَ هَذَا، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَإِنَّا لَمُؤَاخَذُونَ بِمَا نَتَكَلَّمُ بِهِ، فَقَالَ: ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ يَا مُعَاذُ، وَهَلْ يَكُبُّ النَّاسَ عَلَى وُجُوهِهِمْ فِي النَّارِ ـ أَوْ قَالَ عَلَى مَنَاخِرِهِمْ - إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ؟!** "[2].

وعن أم حبيبة زوج النبي ﷺ، أنه ﷺ، قال:" **كُلُّ كَلَامِ ابْنِ آدَمَ عَلَيْهِ لَا لَهُ؛ إِلَّا أَمْرٌ بِمَعْرُوفٍ، أَوْ نَهْيٌ عَنْ مُنْكَرٍ، أَوْ ذِكْرُ اللَّهِ** "[3]

وعن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال:" **قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا النَّجَاةُ؟ قَالَ: أَمْلِكْ عَلَيْكَ لِسَانَكَ، وَلْيَسَعْكَ بَيْتُكَ، وَابْكِ عَلَى خَطِيئَتِكَ** "[4] .

وقد ساق لنا رسول الله ﷺ مثالاً حياً عن رجلين من بني إسرائيل متواخيين ـ أي متقابلين ـ في قصدهما وسعيهما؛ فأحدهما ـ وهو المجتهد ـ كان قاصداً وساعياً في الخير، والآخر قاصداً وساعياً في الشر، وكان المجتهد كلما اطلع على ذنب صاحبه أمره أن يكف عنه، فما يزيد هذا المذنب على القول لصاحبه خلني وربي، حتى وجده على ذنب فاستعظمه، فقال له: والله لا يغفر لك أبداً، أو قال له لا يدخلك الله الجنة أبداً، فكان بهذا القول متآلياً على الله، وحاكماً على صاحب المذنب بعدم المغفرة، أو دخول الجنة، مما أوقعه في ذنب عظيم، حظر فيه رحمة الله، فقاده قوله إلى النار، بينما نجا المذنب بعفو الله، ويوضح هذا قوله ﷺ في ذكر رجل، قال:"والله لا يغفر الله لفلان ، وإن الله تعالى قال:

" **مَنْ ذَا الَّذِي يَتَأَلَّى عَلَيَّ، أَنْ لَا أَغْفِرَ لِفُلَانٍ، فَإِنِّي قَدْ غَفَرْتُ لِفُلَانٍ، وَأَحْبَطْتُ عَمَلَكَ، أَوْ كَمَا قَالَ** "[5]

---

(1) صحيح البخاري،كتاب الرقاق، باب حفظ اللسان وقول النبي ﷺ من كان

(2) مسند أحمد، مسند الأنصار رضي الله عنهم ، حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه

(3) سنن الترمذي، كتاب الزهد عن رسول الله

(4) مسند أحمد،مسند الأنصار رضي الله عنهم ،حديث أبي أمامة الباهلي الصدي بن عجلان بن عمرو

(5) صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب النهي عن تقنيط الإنسان من رحمة الله تعالى

فمن مات لا يشرك بالله شيئاً فهو داخل تحت المشيئة ؛ إن شاء الله غفر له، وإن شاء عذبه، فلا يجوز لأحد أن يتألى على الله، فيحكم بأن فلاناً من أهل النار، وأن فلاناً من أهل الجنة، إذ لا يستطيع إطلاق هذا الحكم على أحد إلا من كانت مفاتيح الجنة أو النار في يده، وأنى ذلك لعبد من عبيد الله تعالى! فهلا تأدب المتألّون على الله تعالى مع ربهم ، والتزموا بحسن الظن بعباد الله، وابتعدوا عن إطلاق الأحكام ، بل إطلاق الكلام على عواهنه، لا يقيمون بالاً لما يتكلمون به. متناسين مشيئة الله تعالى وقوله الذي يقرع الآذان ويفتح مغاليق القلوب: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا ﴾[1] ففي هذه الآية الكريمة يبين الله تعالى أنه يغفر ما دون الشرك من الذنوب بمشيئته وإرادته، ولعل في حديث رسول الله ﷺ أوضح بيان لغفران ما دون الشرك من الذنوب، فقد حدث أبو ذر رضي الله عنه قال:" **مَا مِنْ عَبْدٍ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ثُمَّ مَاتَ عَلَى ذَلِكَ إِلَّا دَخَلَ الْجَنَّةَ، قُلْتُ: وَإِنْ زَنَى، وَإِنْ سَرَقَ، قَالَ: وَإِنْ زَنَى، وَإِنْ سَرَقَ، قُلْتُ: وَإِنْ زَنَى، وَإِنْ سَرَقَ، قَالَ: وَإِنْ زَنَى، وَإِنْ سَرَقَ، ثَلَاثًا، ثُمَّ قَالَ: فِي الرَّابِعَةِ، عَلَى رَغْمِ أَنْفِ أَبِي ذَرٍّ قَالَ: فَخَرَجَ أَبُو ذَرٍّ يَجُرُّ إِزَارَهُ، وَهُوَ يَقُولُ: وَإِنْ رَغِمَ أَنْفُ أَبِي ذَرٍّ، قَالَ: فَكَانَ أَبُو ذَرٍّ يُحَدِّثُ بِهَذَا بَعْدُ، وَيَقُولُ: وَإِنْ رَغِمَ أَنْفُ أَبِي ذَرٍّ**"[2]. والله تعالى يقول: ﴿ يُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَيَرْحَمُ مَن يَشَاءُ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ ﴾[3] ،وقال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾[4]، وقوله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[5].

فمن يملك أن يتأل على الله بأن يعذب زيداً أو يرحم عمرواً، فحذار أخي المسلم من الوقوع في هذا الذنب العظيم الذي يقودك إلى الهلاك، فرحمة الله تعالى وسعت كل شيء، ومن رحمته تعالى أنه إذا شاء غفر الذنوب، وستر العيوب، ما لم تكن شركاً، وقد فات صاحبها التوبة، تفضلاً من الله، وإحساناً، فهو

---

[1] النساء : 48

[2] مسند أحمد، مسند الأنصار رضي الله عنهم،حديث أبي ذر الغفاري رضي الله عنه

[3] العنكبوت : 21

[4] المائدة : 40

[5] آل عمران : 129

الذي وسعت رحمته كل شيء، وهو القائل: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾[1] ، وفي الحديث:" **إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ كِتَابًا، قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ الْخَلْقَ، إِنَّ رَحْمَتِي سَبَقَتْ غَضَبِي، فَهُوَ مَكْتُوبٌ عِنْدَهُ فَوْقَ الْعَرْشِ** "[2] .

فلا يغتر واحد منا بعمله، ولو كان طاعة، فينظر إلى الناس بعين المقت، فإن ذلك مدرجة للشيطان، يستزل بها المغتر بطاعته وعمله ليحكم على الناس بدخول النار، مغلظاً حكمه بالقسم: "**والله لا يغفر الله لفلان، أو لن يدخل فلان الجنة**".

فاحرص ـ هدانا الله وإياك إلى خير العمل وأحسن القول ـ ولا تظن في الناس إلا خيراً، ولا يغرنك صالح عملك، فتتآلى على الله تعالى بأن لا يرحم فلاناً لذنب اقترفه، فيسوقك ذلك إلى سوء العاقبة ، وقانا الله تعالى وحمانا منها، إنه بالناس لرؤوف رحيم، واحرص على قول الخير دائماً تأسياً برسولنا الأسوة ﷺ، القائل:"... **وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، فَلْيَقُلْ خَيْرًا، أَوْ لِيَسْكُتْ** "[3].

نسأل الله تعالى بفضله ورحمته أن نكون مفاتيح للخير، مغاليق للشر حتى نلقى الله تعالى وهو راضٍ عنا، فيدخلنا في مستقر رحمته بفضله وكرمه، داعين المولى ﷻ أن يثبتنا على كلمة التوحيد، بعيداً عن الشرك الأكبر والأصغر، ما ظهر منه وما بطن، إنه أكرم مسؤول وخير مأمول.

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد، وآله، وأصحابه، وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين

(**إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللَّهِ، لَا يُلْقِي لَهَا بَالًا، يَرْفَعُهُ اللَّهُ بِهَا دَرَجَاتٍ، وَإِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللَّهِ، لَا يُلْقِي لَهَا بَالًا، يَهْوِي بِهَا فِي جَهَنَّمَ**)

(1) الاعراف:156

(2) صحيح البخاري، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ

(3) صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب حفظ اللسان وقول النبي ﷺ من كان

روى عبد الله بن عامر أن رسول الله ﷺ أتى بيتنا وأنا صبي قال : فذهبت لألعب، فقالت أمي : **يَا عَبْدَ اللَّهِ؛ تَعَالَ أُعْطِكَ، فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : وَمَا أَرَدْتِ أَنْ تُعْطِيَهُ؟ قَالَتْ: أُعْطِيهِ تَمْرًا، قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : أَمَا إِنَّكِ لَوْ لَمْ تَفْعَلِي، كُتِبَتْ عَلَيْكِ كَذْبَةٌ** " [1] .

إنه هدي كريم وتوجيه عظيم ، يضع أسس التربية السليمة والصحيحة للطفل منذ نعومة إظفاره، فإذا دعوت الطفل لإعطائه شيئاً من الحلوى أو غير ذلك، أو وعدته بأمر معين، فعليك أن تفي بهذا الوعد حتى يراك الطفل مثالاً حياً للقيم التي تود أن تغرسها في نفسه، لتكبر هذه القيم، وتنمو مع نمو الطفل، وتقدمه في السن، فينشأ على القيم السليمة، والأخلاق الفاضلة، ويبتعد عن الأخلاق السيئة، والصفات المذمومة.

والرسول ﷺ وهو يوجه إلى قيمة الصدق في هذا الحديث، ويحذر من الكذب، إنما يوجه المربّين جميعاً، والأمهات والآباء على وجه الخصوص ، لغرس القيم النبيلة في نفس الأبناء، وتنشئتهم على هذه القيم، لإبعادهم عن الصفات الذميمة والأخلاق السيئة.

ولنا في توجيه القرآن الكريم الذي يوجه إلى مكارم الأخلاق، ومعالي الصفات الفاضلة، ما يعد منهاجاً للتربية الناجحة والمثمرة في أخلاق الجيل ، وتنشئة الأبناء، يقول تعالى على لسان لقمان، وهو يعظ ابنه: ﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾[2]، فأول ما يوجه إليه الأبناء هو غرس العقيدة في نفوسهم، عقيدة التوحيد الخالية من شوائب الشرك، العقيدة التي تقوم على توحيد الألوهية، وإفراد الله تعالى بصفات الربوبية، فالشرك أكبر ذنب يقع فيه الإنسان، والله لا يغفر هذا الذنب الكبير ، يقول تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ ﴾[3] .

ثم يوجه لقمان الحكيم ابنه إلى التزام العبادات، والقيام بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ثم التحلي بالأخلاق الفاضلة؛ كالصبر على المصائب، وعدم الإعراض عن الناس، والتكبر عليهم، والابتعاد عن الكبر، وخفض الصوت، وعدم رفعه على الآخرين، ويبدو ذلك في الآيات الكريمة الآتية: ﴿ يَا بُنَيَّ أَقِمِ

---

[1] مسند أحمد، مسند المكيين، حديث عبد الله بن عامر رضي الله عنه
[2] لقمان:13
[3] النساء:48

الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ * وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ * وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾[1].

والرسول ﷺ يقول:" **مُروا أَوْلَادَكُمْ بِالصَّلَاةِ، وَهُمْ أَبْنَاءُ سَبْعِ سِنِينَ، وَاضْرِبُوهُمْ عَلَيْهَا، وَهُمْ أَبْنَاءُ عَشْرٍ، وَفَرِّقُوا بَيْنَهُمْ فِي الْمَضَاجِعِ** "[2] ، فهذا تنبيه واضح للآباء بضرورة توجيه الأبناء للقيام بفرائض الإسلام وفي مقدمتها الصلاة، فإذا تعود الطفل على الالتزام بالعبادات منذ صغره، فإنه لا يتركها عندما يكبر ويبلغ، ويصبح مكلفاً بها، ويأثم إن لم يفعلها.

وقد كانت نساء الصحابة، رضوان الله عليهم، يعودن أبناءهن الصيام منذ صغرهم، ويضعن لهم ما يلهون به من الألعاب حتى يحين موعد الإفطار، وما ذلك إلا لتنشئة الطفل منذ الصغر على التعلق بأهداب الدين، والقيام بأداء فرائضه.

وقد أثر عن الصحابة الكرام، رضوان الله عليهم، قولهم:"كنا نعلم أولادنا مغازي رسول الله ﷺ كما نعلمهم السورة من القرآن"، وفي هذا ربط للجيل بالسيرة النبوية الشريفة، وأخذ الدروس والعبر من هذه المغازي، حتى ينشأ الجيل على حب الرسول ﷺ وتطبيق سننه وسيرته في حياة الأبناء والآباء، بل في حياة أبناء الأمة جميعها.

كذلك نجد آيات القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة تعنى بالإنسان منذ المراحل المتقدمة من حياته، فتحث على اختيار الأزواج من أصحاب الدين والصالحين: ﴿وَأَنكِحُوا الْأَيَامَىٰ مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِن يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾[3] .

والأحاديث الشريفة في التركيز على اختيار صاحب الدين من كلا الزوجين واضحة لا لبس فيها؛ فالرسول ﷺ يقول:" **إِذَا جَاءَكُم مَنْ تَرْضَوْنَ دِينَهُ، وَخُلُقَهُ، فَأَنْكِحُوهُ، إِلَّا تَفْعَلُوا، تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَإِنْ كَانَ فِيهِ؟ قَالَ: إِذَا جَاءَكُم مَنْ تَرْضَوْنَ دِينَهُ، وَخُلُقَهُ، فَأَنْكِحُوهُ، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ**"[4]. ويقول ﷺ:" **تُنْكَحُ الْمَرْأَةُ لِأَرْبَعٍ: لِمَالِهَا، وَلِحَسَبِهَا، وَجَمَالِهَا، وَلِدِينِهَا، فَاظْفَرْ بِذَاتِ الدِّينِ،**

---

[1] لقمان:17-19

[2] سنن أبي داود، كتاب الصلاة، باب متى يؤمر الغلام بالصلاة

[3] النور:32

[4] سنن الترمذي، كتاب النكاح عن رسول الله، باب ما جاء إذا جاءكم من ترضون دينه فزوجوه

تَربَت يَداك"[1]، وغيره من الأحاديث الشريفة، كقوله ﷺ: "**تَخَيَّروا لِنُطَفِكُم، وَانكِحوا الأَكفاء، وَأَنكِحوا إِلَيهِم**" [2].

كما قص علينا القرآن الكريم مراحل خلق الإنسان، وتكونه في رحم الأم، وفي هذا توجيه واضح إلى أصل الإنسان ومنشأه، فليشكر الله على هذ اللطف الإلهي به، كما يحمد الله أن خلقه في أحسن تقويم: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ * ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ * ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾[3]، ثم بين الله تعالى مصير الإنسان بعد هذه الحياة الدنيا، وأن نهايته المحتومة تكون بالموت، ثم يبعثه الله للحساب، ليوفيه أجوره وجزاءه يوم القيامة، فيقول جل وعلا: ﴿ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ * ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ﴾[4]، فما أعظم هذا التوجيه القرآني التربوي الذي يقص ويفصل مراحل حياة الإنسان، ثم يبين مآل هذا الإنسان.

ومن نشأ على تربية سليمة مستقيمة، استحق رضوان الله في الدنيا، وفاز في الآخرة بالحياة الخالدة والنعيم المقيم، ولذلك نرى ثناء الله تعالى على عباده، الذين تربوا على عقيدة التوحيد، وقاموا بأداء أركان الإسلام، وتخلقوا بأخلاقه، إذ وصفهم بأنهم عباده، فقال عنهم: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَٰنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا * وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا * وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا * إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا * وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا﴾[5].

إن هذه النماذج الكاملة من بني الإنسان، التي نشأت على التربية السليمة، هي النموذج الذي يجب أن يحتذى في التربية، وتنشئة الأبناء والأجيال، حتى نقدم للأمة النموذج الذي يحمل الدعوة الإسلامية بعزة،

---

[1] صحيح البخاري، كتاب النكاح، باب الأكفاء في الدين

[2] سنن ابن ماجه، كتاب النكاح، باب الأكفاء

[3] المؤمنون:12-14

[4] المؤمنون:15-16

[5] الفرقان:63-67

ويشيع القيم في المجتمع الإسلامي، لنعيد مجد الإسلام، وعزة أمته على الوجه الذي يرضي الله تعالى، ويقر عين رسوله ﷺ.

ولعل في توجيه الرسول ﷺ ما يبين بوضوح أن بني الإنسان يولدون على الفطرة السليمة، ولكن الأهل والبيئة المحيطة هما اللذان ينحرفان بالطفل عن هذه الفطرة، فيقول ﷺ: " **مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ، وَيُنَصِّرَانِهِ، وَيُمَجِّسَانِهِ، كَمَا تُنْتَجُ الْبَهِيمَةُ بَهِيمَةً جَمْعَاءَ، هَلْ تُحِسُّونَ فِيهَا مِنْ جَدْعَاءَ؟** " ثم قرأ راوي الحديث قول الله تعالى: ﴿فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ[1]﴾[2].

فهذا الحديث الشريف يبين مدى تأثير الأبوين والبيئة المحيطة، فيأتي دور الأبوين الذي يتدخل في توجيه هذه الفطرة، فإما يحافظ على الطفل، وعلى فطرته السليمة والسوية، فينشأ موحداً، ويبقى على الحنيفية السمحاء، ويسلك طريق الخير والهداية ويكون عنصراً نافعاً في المجتمع والأمة.

وإما أن يحرفاه عن هذه الطريق فينشأ بعيداً عن الهدى والهداية، وبالتالي يعود بالضرر على نفسه وعلى أسرته وأبناء مجتمعه، ويكون عنصر إفساد وفساد في الأمة.

من هنا كان لا بد حتى يربى الأبناء على الفضائل والقيم والأخلاق الإسلامية من بذل المزيد من العناية والاهتمام بالإنسان منذ طفولته حتى اكتمال قوته العقلية والجسدية، وذلك بتهيئة المناهج التربوية والثقافية التي تركز في نفس الإنسان مبادئ العقيدة ومكارم الأخلاق، كما يجب الحرص على أن تكون البيئة الاجتماعية المحيطة بالإنسان بيئة نظيفة خالية من المؤثرات التي تنحرف بالجيل عن جادة الصواب وتخرجه عن القيم السليمة والأخلاق الفاضلة.

ولعل ما ينتشر في مجتمعات المسلمين اليوم من المعاصي، والآثام، والسلوكات السلبية، التي تصل إلى حد الجرائم المنظمة، يستدعي انتباه واهتمام كل المسؤولين، والقائمين على تربية الأجيال والأبناء، إلى أخذ مزيد من الحيطة والحذر، لحماية الأبناء وأجيال الأمة، من الانحراف والانزلاق في متاهات هذه المفاسد والموبقات، التي تدمر التربية والأخلاق، بل تدمر الأجيال التي تعلق الأمة عليها تحقيق آمالها، ومسح غبار الذل عنها.

---

(1) الروم: 30

(2) صحيح مسلم، كتاب القدر، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة وحكم موت أطفال الكفار

فحري بالآباء والأمهات، والمربين وجميع وسائل الإعلام، والمؤسسات التعليمية، منذ بستان ورياض الأطفال، وحتى المراحل الجامعية، أن يولوا الأخلاق والقيم، وغرسها في نفوس الأجيال كل اهتمام ورعاية، حتى يتربى أبناؤنا على مبادئ ديننا الحنيف وشريعتنا السمحاء، وهذا وحده هو الكفيل بتحصين أجيال الأمة، وتهيئتها لحمل الأمانة، والعودة بالأمة إلى سبل السعادة، والعزة، والنصر، والقوة، والوحدة، وخيرية هذه الأمة : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾[1] . ولنقرأ جميعا بتدبر وتبصر قول الله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾[2] .

اللهم زين قلوبنا بالإيمان، وطهر نفوسنا بالإسلام؛ ﴿ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴾[3] واجعلنا هداة مهديين، نسلك طريق رسولنا الأسوة، المصطفى صلى الله عليه وسلم، وبارك، وعلى آله، وأصحابه أجمعين.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (مُرُوا أَوْلَادَكُمْ بِالصَّلَاةِ، وَهُمْ أَبْنَاءُ سَبْعِ سِنِينَ، وَاضْرِبُوهُمْ عَلَيْهَا، وَهُمْ أَبْنَاءُ عَشْرٍ، وَفَرِّقُوا بَيْنَهُمْ فِي الْمَضَاجِعِ) .

---

[1] آل عمران:110

[2] الرعد:11

[3] الفرقان:74

من يطلع على معاملة النبي ﷺ لأزواجه من خلال سنته الشريفة، وسيرته العطرة، يقف على هدي كريم، وأخلاق سامية شريفة عالية ، لو أخذ بها الأزواج المسلمون لسعدت بيوتهم، ولعاشوا الفضيلة بأبهى صورها، فهو ﷺ القائل: " **خَيْرُكُمْ خَيْرُكُم لِأَهْلِهِ، وَأَنَا خَيْرُكُمْ لِأَهْلِي** "[1] .

إن النبي ﷺ وهو يضع هذا المقياس العظيم لمعاملة الأهل وجميل عشرتهم، يبين للمسلمين أن الخيرية تبدأ في البيت؛ فمن كان خيراً لأهله، كان خيراً للناس، وحتى لا يتردد المسلم في اتباع هذا المنهاج، فإن الرسول ﷺ يقول " **وَأَنَا خَيْرُكُمْ لِأَهْلِي** " وفي هذا حث واضح على التأسي به، عليه أفضل الصلاة، وأتم التسليم.

فحينما يقرأ المسلم هذا الحديث الشريف، ويقف على هذا التوجيه النبوي الكريم، يكون حريصاً على تطبيق هذا الهدي، تأسياً بالنبي ﷺ، وطمعاً في تحصيل الخير، الذي بشر به رسول الله ﷺ للذين يعاملون أزواجهم باللطف واللين وجميل العشرة.

ومعلوم أن النبي ﷺ اجتمع في بيته في وقت واحد تسع نساء، وكان ﷺ يقسم بينهن بالعدل، ويعاملهن جميعاً بالمعروف، فقد روت كتب السيرة والحديث أنه ﷺ جميل العشرة ، دائم البشر، يداعب أهله ويتلطف بهم، ويوسعهم نفقة، ويضاحك نساءه، حتى إنه ﷺ سابق عائشة يتودد إليها، فتقول رضي الله عنها:" **سابقني رسول الله فسبقته، فلبثت حتى إذا أرهقني اللحم - أي سمنت ـ سابقني، فسبقني، فقال : هذه بتلك، يشير إلى المرة الأولى** "[2]

وكان من عادته ﷺ أن يجتمع بنسائه في بيت زوجه التي يبيت عندها، فيأكل معهن العشاء، ثم تنصرف كل منهن إلى منزلها، وكان ﷺ إذا صلى العشاء يدخل منزله، يسمر مع أهله قبل أن ينام.

---

[1] سنن ابن ماجه، كتاب النكاح، باب حسن معاشرة النساء

[2] أخرجه الألباني في غاية المرام عن عائشة ، رضي الله عنها.

فأكرم بهذه الأخلاق في معاملة الأهل، تصدر عن سيد البشر، عليه الصلاة، وأتم التسليم، وصدق الله العظيم الذي وصفه بقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [1] .

وحينما سئلت أم المؤمنين عن خلق النبي ﷺ، قالت: " كَانَ خُلُقُهُ الْقُرْآنَ " [2].

فليتصور الأزواج كم هي أخلاق النبي ﷺ في معاملة زوجاته، إنها الفضائل والمكارم بأسمى صورها وأجمل معانيها، فحري بالذي يحرص على التأسي بالرسول ﷺ أن يطبق هذه الأخلاق الفاضلة في تعامله مع أهل بيته وزوجاته، بخاصة لمن تزوج أكثر من واحدة، فالله يرشدنا إلى اتخاذ الرسول ﷺ أسوة لنا، في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [3].

فأي أسوة أعظم وأكرم من سيد الخلق، وسيد أخلاقهم، فهنيئاً لنا معاشر المسلمين بهذه الأسوة الحسنة، وبشرى لنا بركن عظيم من النور والهداية.

ولقد أصاب من قال:

بشرى لنا معشر الإسلام أن لنا ... من العناية ركنا غير منهدم
لما دعا الله داعينا لطاعته ... بأكرم الرسل كنا أكرم الأمم

وكان ﷺ يذكر الفضل لنسائه حتى بعد الوفاة، فقد قال في معرض ذكره لمواقف خديجة، رضي الله عنها، "... قَدْ آمَنَتْ بِي، إِذْ كَفَرَ بِي النَّاسُ، وَصَدَّقَتْنِي، إِذْ كَذَّبَنِي النَّاسُ، وَوَاسَتْنِي بِمَالِهَا، إِذْ حَرَمَنِي النَّاسُ، وَرَزَقَنِي اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَلَدَهَا، إِذْ حَرَمَنِي أَوْلَادَ النِّسَاءِ"[4] ، وكان ﷺ يرسل بالهدايا إلى صديقاتها، ويكرم قريباتها، إنه الوفاء للعشرة، ووصل حبل المودة، ما وجد إلى ذلك سبيلاً.

ورغم كثرة نسائه ﷺ إلا أنه كان يقوم بكثير من الأعمال في بيته، فهو إلى جانب قيامه بحاجة أهله؛ كان يخصف نعله، ويحلب شاته، ويرقع ثوبه.

وقد أثر عنه ﷺ أنه لم يضرب زوجاً ولا خادماً ، يروي أنس بن مالك رضي الله عنه، وقد خدم رسول الله ﷺ

---

(1) القلم:4

(2) مسند أحمد، باقي مسند الأنصار، باقي المسند السابق

(3) الأحزاب:21

(4) مسند أحمد، باقي مسند الأنصار، حديث السيدة عائشة رضي الله عنها

قال: " **خَدَمْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، تِسْعَ سِنِينَ، فَمَا قَالَ لِي قَطُّ لِشَيْءٍ صَنَعْتُهُ قَطُّ، أَسَأْتَ، وَلَا بِئْسَ مَا صَنَعْتَ**"[1] ، إنه ﷺ الرحمة المهداة، والنعمة المزجاة، ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾[2].

تروي لنا أم المؤمنين عائشة ، رضي الله عنها، قالت:" **كان عندي رسول الله ﷺ وسودة بنت زمعة، فصنعت حريرة وجئت به، فقلت لسودة: كلي، فقالت: لا أحبه ، فقلت: والله لتأكلن أو لألطخن به وجهك ، فقالت : ما أنا بذائقته، فأخذت بيدي من الصحفة شيئا منه ، فلطخت به وجهها، ورسول الله ﷺ جالس بيني وبينها، فخفض لها رسول الله ركبتيه، لتستقيد مني، فتناولت من الصحفة شيئا، فمسحت به وجهي، وجعل رسول الله ﷺ يضحك**"[3].

إنه بيت النبوة، بيت الطهارة والعفة، والمرح والسرور، والعشرة الجميلة، والأخلاق الكريمة، بيت الزوج الكريم مع نسائه، يواكلهن، ويداعبهن، ويمازحهن، ويعدل بينهن، حتى في المزاح والمداعبة ، فأين بيوت المسلمين من هذا البيت الكريم، وأين الذين يجعلون من أنفسهم فرعوناً أوطاغيةً، وهم يستبدون في ظلم زوجاتهم وأبنائهم، كأنهم لا يسمعون بهذه السيرة الكريمة أو لا ينتسبون لصاحب هذه الأخلاق العظيمة.

إنه الزوج الكريم الذي لم يسمح لوالد زوجته أن يلطمها، فقد روى النعمان بن بشير رضي الله عنه :

" **اسْتَأْذَنَ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَسَمِعَ صَوْتَ عَائِشَةَ عَالِيًا، فَلَمَّا دَخَلَ تَنَاوَلَهَا، لِيَلْطِمَهَا، وَقَالَ: أَلَا أَرَاكِ تَرْفَعِينَ صَوْتَكِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؟ فَجَعَلَ النَّبِيُّ ﷺ يَحْجِزُهُ، وَخَرَجَ أَبُو بَكْرٍ مُغْضَبًا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ ، حِينَ خَرَجَ أَبُو بَكْرٍ: كَيْفَ رَأَيْتِنِي أَنْقَذْتُكِ مِنَ الرَّجُلِ؟ قَالَ: فَمَكَثَ أَبُو بَكْرٍ أَيَّامًا، ثُمَّ اسْتَأْذَنَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَوَجَدَهُمَا قَدِ اصْطَلَحَا، فَقَالَ لَهُمَا: أَدْخِلَانِي فِي سِلْمِكُمَا، كَمَا أَدْخَلْتُمَانِي فِي حَرْبِكُمَا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : قَدْ فَعَلْنَا قَدْ فَعَلْنَا** "[4] .

---

[1] مسند أحمد، باقي مسند المكثرين، باقي المسند السابق

[2] آل عمران:159

[3] أخرجه العراقي في تخريج الإحياء

[4] سنن أبي داود، كتاب الأدب، باب ما جاء في المزاح

فهلا فعل أزواج اليوم، ونساء اليوم، ما كان يفعله رسول الله ﷺ وأزواجه رضوان الله عليهن جميعاً؛ فالتزم الأزواج بأوامر الله، فعاشروا أهلهم بالمعروف، عملاً بقوله تعالى: ﴿ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾[1] وأخذاً بهديه ﷺ: " **لَا يَفْرَكْ مُؤْمِنٌ مُؤْمِنَةً، إِنْ كَرِهَ مِنْهَا خُلُقًا، رَضِيَ مِنْهَا آخَرَ** "[2] .

وإذا ما استحكم خلاف في بيت الزوجية، لجأ الزوجان إلى أهل الخير والإصلاح من أهلهما، ليزيلا هذا الخلاف، لقوله تعالى: ﴿ فَابْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا إِن يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا ﴾[3].

فإذا لم يفلحا في ذلك، سارا إلى الفراق بالمعروف ﴿ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ ﴾[4]، دون ظلم أو هضم لحق الزوجة أو الزوج، ودون الذهاب إلى المحاكم والدخول في قضايا الإضرار والكيد والظلم بغير حق، مما لا يليق بأخلاق المسلم، فضلاً عن أخلاق الأزواج الذين ارتبطوا بميثاق غليظ، فهان عليهم هذا الميثاق والرباط، ونسوا أنهم ينتمون لخير أمة أخرجت للناس، ولخير أسوة في معاملة الأهل ، بل بني الإنسان جميعاً.

نسأل الله تعالى صلاح نفوسنا، ونقاء قلوبنا ، وتحسين أخلاقنا، حتى نكون أهلاً للانتساب لخير الأنام، رسولنا الأسوة صلى الله عليه، وعلى آله الطاهرين، وصحابته الغر الميامين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

(**خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِهِ، وَأَنَا خَيْرُكُمْ لِأَهْلِي**)

---

(1) النساء: 19

(2) صحيح مسلم، كتاب الرضاع، باب الوصية بالنساء

(3) النساء:35

(4) البقرة:229

يأمر بتغيير المنكر

في معرض حثه ﷺ على تغيير المنكر نقف على هديه الشريف" **مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا، فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ، فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ** "[1] .

يستوعب هذا الهدي الكريم أصناف الناس جميعاً، في وجوب قيامهم بتغيير المنكر، حسب مسؤولياتهم، ومواقعهم الاجتماعية، وفي ذلك تطويق للمنكر وحصر له، أن ينتشر ويعم المجتمع.

والمنكر هو كل ما قبحه الشرع والعقل، وسمي منكراً، لأن أهل الإيمان ينكرونه، ويستعظمون فعله.

وضده المعروف، الذي حسنه الشرع، واطمأنت إليه النفس، ويندرج ضمن هذا المفهوم للمعروف كل ما أمر به الله تعالى ورسوله ﷺ من جوانب الخير؛ كشرائع الإسلام، وأركان الإيمان والإسلام، والإحسان في العبادة، وإخلاص الدين لله، والتوكل عليه، ومحبته، ورجائه، وحسن الأخلاق، كالصدق، والوفاء بالعهود، وأداء الأمانات، وبر الوالدين، وصلة الأرحام، والإحسان إلى الأهل، والجار، والضعيف، كاليتيم والصغير.

كما يشتمل المنكر على كل ما نهى الله عنه ورسوله؛ كالشرك بالله؛ ظاهره وباطنه، صغيره وكبيره، وكذلك كبائر الذنوب؛ كالزنا، والسحر، وأكل أموال الناس بالباطل، والمعاملات المحرمة، كالربا والميسر، والقمار، والغش، وقطيعة الرحم، وعقوق الوالدين، وسائر المنكرات الاعتقادية والعملية.

ولما كان مفهوما المعروف والمنكر يستوعبا مناحي الحياة، أولاهما الشارع تعالى مزيداً من العناية؛ فجعل الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر من أعظم الواجبات، وأكبر المهمات التي تقوم بها الأمة، كل حسب موقعه ومسؤوليته، وميز أمة الإسلام بأنها داعية إلى الخير، آمرة بالمعروف، وناهية عن المنكر، قال تعالى: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُوْلَـٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾[2] .

---

[1] صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان وأن الإيمان يزيد

[2] آل عمران:104

كما جعل صفة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من الصفات الملازمة للمؤمنين، من ذلك قوله تعالى: ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَـئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللّهُ إِنَّ اللّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾[1] .

فمن مقتضيات الولاية بين المؤمنين تناصحهم بالمعروف، وابتعادهم عن المنكر، وانكاره وتغييره.

وقد جاء الأمر بتغيير المنكر في هدي النبي ﷺ على مراتب؛ **فأولها**: تغيير المنكر باليد، وهذا من واجب المسؤولين وأصحاب القرار،لأنهم أقدر الناس على منع المنكر وإزالته، **وأما ثاني المراتب**: فهو تغيير المنكر باللسان، وهي وظيفة العلماء والدعاة، وقادة الرأي والفكر من أبناء الأمة، لما لهم من تأثير على توجيه ثقافة الأمة وعاداتها ، ويكون ذلك بالقول اللين، والأسلوب الحسن، الجامع بين الترغيب والترهيب، والوعد والوعيد.

وثالث المراتب: الإنكار بالقلب، ولا رخصة لأحد بترك ذلك، فواجب على المسلمين جميعاً أن يحثوا على ترك المنكر، ويخلصوا في الدعاء بنيات صادقة، أن يزيل الله المنكر، ويحمي أبناء الأمة منه، وهذا يستوجب بغض المنكر ومقته، ومفارقة أهل المعصية، ومجانبتهم حال معصيتهم، يقول الله تعالى: ﴿ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللّهِ يُكَفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلاَ تَقْعُدُواْ مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذاً مِّثْلُهُمْ إِنَّ اللّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعاً ﴾[2]. فمن جالس أصحاب المنكر فقد شاركهم في الاثم، لرضاه بذلك، أو لمجاملتهم، وهم يقترفون هذا المنكر.

وللعمل على إزالة المنكر لا بد من اتخاذ الوسائل الملائمة، واستعمال الأساليب الناجعة في الدعوة إلى إزالة هذا المنكر ، من ذلك الدعوة بالحكمة، والموعظة الحسنة، قال تعالى: ﴿ ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾[3] ، ومن الحكمة العلم والحلم والرفق واللين والصبر وتحمل الأذى، كما أن الموعظة

---

[1] التوبة:71

[2] النساء:140

[3] النحل:125

الحسنة تكون مقرونة بالترغيب والترهيب، والوعد والوعيد، كما أن المجادلة بالتي هي أحسن أدعى للاستجابة، وأقرب لميول القلب والنفس.

قال سفيان الثوري، رحمه الله :" **ينبغي للآمر الناهي أن يكون رفيقاً فيما يأمر به، رفيقاً فيما ينهى عنه، عدلاً فيما يأمر به، عدلاً فيما ينهى عنه، عالماً بما يأمر به، عالماً بما ينهى عنه**".ولما كانت وسائل الخير في الدعوة لا حصر لها، يتخير الداعي أفضل الطرق، وأدعاها للقبول والاستجابة.

وقد كان النبي ﷺ يتخير أفضل الطرق في أمره ونهيه، ويعامل الناس حسب ما يراه أقرب إلى الاستجابة، وأدعى إلى القبول والإذعان.

فعن ابن عباس، رضي الله عنهما، " **أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ رَأَى خَاتَمًا مِنْ ذَهَبٍ فِي يَدِ رَجُلٍ، فَنَزَعَهُ، فَطَرَحَهُ، وَقَالَ: يَعْمِدُ أَحَدُكُمْ إِلَى جَمْرَةٍ مِنْ نَارٍ، فَيَجْعَلُهَا فِي يَدِهِ، فَقِيلَ لِلرَّجُلِ بَعْدَ مَا ذَهَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: خُذْ خَاتَمَكَ انْتَفِعْ بِهِ، قَالَ: لَا وَاللَّهِ لَا آخُذُهُ أَبَدًا، وَقَدْ طَرَحَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ**"[(1)] . كما روى أبو هريرة رضي الله عنه " **أَنَّ أَعْرَابِيًّا دَخَلَ الْمَسْجِدَ وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ جَالِسٌ، فَصَلَّى، قَالَ ابْنُ عَبْدَةَ: رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ قَالَ: اللَّهُمَّ ارْحَمْنِي وَمُحَمَّدًا، وَلَا تَرْحَمْ مَعَنَا أَحَدًا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: لَقَدْ تَحَجَّرْتَ وَاسِعًا، ثُمَّ لَمْ يَلْبَثْ أَنْ بَالَ فِي نَاحِيَةِ الْمَسْجِدِ، فَأَسْرَعَ النَّاسُ إِلَيْهِ، فَنَهَاهُمُ النَّبِيُّ ﷺ ، وَقَالَ: إِنَّمَا بُعِثْتُمْ مُيَسِّرِينَ، وَلَمْ تُبْعَثُوا مُعَسِّرِينَ، صُبُّوا عَلَيْهِ سَجْلًا مِنْ مَاءٍ، أَوْ قَالَ: ذَنُوبًا مِنْ مَاءٍ**"[(2)] .

فانظر هداك الله إلى ترفق رسول الله ﷺ في الدعوة، وهو يحث على فعل المعروف، وينهى عن المنكر.

إنه الرسول الأسوة ﷺ الذي قال الله بحقه : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾[(3)] . ووصفه باللين والرحمة، فقال تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾[(4)] .

---

(1) صحيح مسلم، كتاب اللباس والزينة، باب تحريم خاتم الذهب على الرجال ونسخ ما كان من إباحته

(2) سنن أبي داود، كتاب الطهارة، باب الأرض يصيبها البول

(3) الأنبياء:107

(4) آل عمران:159

كما يجب أن لا يغيب عن ذهن واحد منا أن التهاون في النهي عن المنكر، وترك الأمر بالمعروف من موجبات غضب الله تعالى ونزول عذابه، فالرسول ﷺ يقول: " **وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَتَأْمُرُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ، وَلَتَنْهَوُنَّ عَنْ الْمُنْكَرِ، أَوْ لَيُوشِكَنَّ اللَّهُ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عِقَابًا مِنْ عِنْدِهِ، ثُمَّ لَتَدْعُنَّهُ، فَلَا يَسْتَجِيبُ لَكُمْ** " [1].والله يقول: ﴿ وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾[2] .

وقد بين الله تعالى أن من عقوبة ترك الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، اللعنة، والغضب، والطرد من رحمة الله تعالى، يقول تعالى: ﴿ لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ * كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾[3] .

وقد جعل رسول الله ﷺ من يجاهر بالحق، ويعمل على منع المنكر، مع سيد الشهداء حمزة رضي الله عنه فقال: "**سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب ، ورجل قام إلى إمام جائر فأمره ونهاه ، فقتله**"[4] ، وفي رواية :" **أَفْضَلُ الْجِهَادِ ؛ كَلِمَةُ عَدْلٍ عِنْدَ سُلْطَانٍ جَائِرٍ** "[5].

فهلا نهضت أمتنا بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في وقت انتشرت فيه المنكرات وعمت المعاصي، وسلط على الأمة عدوها يسومها سوء العذاب، وما ذلك إلا لتهاون الأمة بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، هذا الواجب العظيم الذي يشكل سياجاً منيعاً حول عقيدة الأمة وأخلاقها، ويحمي أجيالها من المعاصي والآثام، ويحصن الأمة من السقوط والانهيار.

ولعل ما تعانيه الأمة اليوم من الويلات والبلاء، جزاء لإعراضها عن واجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، هذا الواجب الذي نهض به سلف الأمة، فكانوا قادة الدنيا إلى كل خير

---

[1] مسند أحمد،باقي مسند الأنصار،حديث حذيفة بن اليمان عن النبي ﷺ

[2] الأنفال:25

[3] المائدة:78-79

[4] أخرجه الألباني في صحيح الترغيب

[5] سنن ابن ماجه، كتاب الفتن، باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

وفضيلة، وتخلف عنه خلف الأمة، فساروا إلى الهوان والهزيمة، وصدق فيهم قول الله تعالى: ﴿ فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴾ [1].

فهلا سلك بنو قومي وأمتنا سبيل الذين سبقوا واتخذوا الرسول خليلاً، فأنكروا المنكر ورفضوه، وأمروا بالمعروف والتزموه، عسى الله تعالى أن يغير الحال إلى الأفضل والأحسن، فهو تعالى المطلع على صدق النوايا، وخفايا القلوب، التي إذا صلحت صلح الجسد كله، وفي صلاح القلوب صلاح الأمة.

اللهم اجعلنا من الآمرين بالمعروف، والناهين عن المنكر، واجعلنا هداة مهديين، واجعلنا للمتقين إماماً، متأسين بخير أسوة وقدوة، سيدنا محمد ﷺ، ورضي الله عن أهل بيته الطاهرين، وصحابته المكرمين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم " **وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَتَأْمُرُنَّ بِالْمَعْرُوفِ، وَلَتَنْهَوُنَّ عَنْ الْمُنْكَرِ، أَوْ لَيُوشِكَنَّ اللَّهُ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عِقَابًا مِنْ عِنْدِهِ، ثُمَّ لَتَدْعُنَّهُ، فَلَا يَسْتَجِيبُ لَكُمْ** "

(1) مريم:59

عن عبد الله بن عمرو - رضي الله عنهما - قال :" قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: يُصَاحُ بِرَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، عَلَى رُؤُوسِ الْخَلَائِقِ، فَيُنْشَرُ لَهُ تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ سِجِلًّا، كُلُّ سِجِلٍّ مَدُّ الْبَصَرِ، ثُمَّ يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: هَلْ تُنْكِرُ مِنْ هَذَا شَيْئًا؟ فَيَقُولُ: لَا يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: أَظَلَمَتْكَ كَتَبَتِي الْحَافِظُونَ؟ ثُمَّ يَقُولُ: أَلَكَ عَنْ ذَلِكَ حَسَنَةٌ؟ فَيُهَابُ الرَّجُلُ، فَيَقُولُ: لَا، فَيَقُولُ: بَلَى، إِنَّ لَكَ عِنْدَنَا حَسَنَاتٍ، وَإِنَّهُ لَا ظُلْمَ عَلَيْكَ الْيَوْمَ، فَتُخْرَجُ لَهُ بِطَاقَةٌ فِيهَا: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، قَالَ: فَيَقُولُ يَا رَبِّ مَا هَذِهِ الْبِطَاقَةُ مَعَ هَذِهِ السِّجِلَّاتِ؟ فَيَقُولُ: إِنَّكَ لَا تُظْلَمُ، فَتُوضَعُ السِّجِلَّاتُ فِي كِفَّةٍ، وَالْبِطَاقَةُ فِي كِفَّةٍ، فَطَاشَتِ السِّجِلَّاتُ، وَثَقُلَتِ الْبِطَاقَةُ "[1]

يبين هذا الهدي النبوي الكريم أهوال ذاك الموقف العظيم؛ يوم القيامة، يوم يجمع الله الخلائق للحساب، فتأتي الأمم كافة تشهد عليها أنبياؤها، وتشهد هذه الأمة للأنبياء على أممهم، كما يشهد الرسول الأكرم ﷺ على أمته أنه بلغها، وتقر هذه الأمة بالبلاغ، وهذا من فضائل أمتنا الإسلامية ، يقول الله تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَـؤُلاء شَهِيداً﴾[2] ، ويقول تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِّتَكُونُواْ شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً﴾[3] .

وفي هذا الموقف المهيب العظيم، الذي يفر فيه المرء من أبيه، وأمه، وأخيه، وفصيلته التي تؤويه، وتجثوا الأمم بانتظار من يشفع لها بالحساب، ويكرم الله تعالى هذا الرجل من أمة سيدنا محمد ﷺ، فيخلصه أمام الخلائق من العذاب والنار، وقد نشرت صحف أعماله في سجلات كبيرة وكثيرة، وقد امتلأت بالذنوب ويقر صاحبها بذلك، وأنه لا عذر له يعتذر به، كما أنه لا توجد حسنات ترجح على هذه السجلات، إلا أن له بطاقة واحدة فيها حسنة عظيمة كبيرة؛ إنها كلمة التوحيد

[1] سنن ابن ماجه، كتاب الزهد، باب ما يرجى من رحمة الله يوم القيامة

[2] النساء:41

[3] البقرة :143

والإقرار بالربوبية والألوهية، وللنبي ﷺ بالرسالة، فقد اشتملت البطاقة على الشهادتين، وهما جماع أمر التوحيد والشريعة والعمل، فالتوحيد الذي خلا من الشرك والكفر هو الأساس في صحة العقيدة وإخلاصها لله تعالى، فإذا خالط التوحيد شرك حبط الاعتقاد، كما يحبط العمل الذي يقوم به الإنسان.

إذ لا وزن للأعمال مهما بدت صالحة في ظاهرها، إذا لم تكن عقيدة صاحبها سليمة، واعتقاده بوحدانية الله وربوبيته صحيح، يوضح هذا قول الله ﷻ: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا﴾[1] ، فمن لقي الله موحداً دخل في مشيئة الله تعالى؛ إن شاء عذبه،وإن شاء غفر له، فهو سبحانه الكريم الذي يعفو عن السيئات ويتجاوز عن الخطايا وفي الحديث القدسي:" **يَا ابنَ آدَمَ؛ إِنَّكَ مَا دَعَوْتَنِي، وَرَجَوْتَنِي، غَفَرْتُ لَكَ عَلَى مَا كَانَ فِيكَ، وَلَا أُبَالِي، يَا ابْنَ آدَمَ؛ لَوْ بَلَغَتْ ذُنُوبُكَ عَنَانَ السَّمَاءِ، ثُمَّ اسْتَغْفَرْتَنِي، غَفَرْتُ لَكَ، وَلَا أُبَالِي، يَا ابْنَ آدَمَ؛ إِنَّكَ لَوْ أَتَيْتَنِي بِقُرَابِ الْأَرْضِ خَطَايَا، ثُمَّ لَقِيتَنِي لَا تُشْرِكُ بِي شَيْئًا، لَأَتَيْتُكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً** "[2] فالتوحيد سبب لتكفير الخطايا، وغفران الذنوب، والتجاوز عن السيئات، ودخول الجنة، بفضل الله ورحمته.

كما أن الإقرار برسالة النبي ﷺ يكمل دائرة الإيمان، إذ الإقرار بالنبوة، والرسالة لنبينا ﷺ، هي شطر كلمة التوحيد، التي لا يصح إسلام أي إنسان إلا بالإقرار بها.

كما أن العمل بمقتضاهما، يعني الالتزام بالإسلام عقيدة، وشريعة، ونظام حياة، وليست المسألة مجرد لفظ، أو نطق بهما، دون الالتزام بما يترتب عليهما، من يقين ثابت، وإيمان راسخ، يصدقه العمل الصالح، الذي يظهر على الجوارح.

وفي هذا المعنى يأتي جواب الحسن البصري – رحمه الله ـ حينما قيل له : "**إن ناساً يقولون: من قال لا إله إلا الله دخل الجنة !! فقال : من قال لا إله إلا الله، فأدى حقها وفرضها، دخل**

---

[1] النساء:48

[2] سنن الترمذي، كتاب الدعوات عن رسول الله، باب في فضل التوبة والاستغفار وما ذكر من رحمة الله لعباده

الجنة" فلا إله إلا الله؛ هي مفتاح الدخول إلى الجنة، وسبب النجاة من النار، لمن قالها معتقداً بها، عاملاً بمقتضاها.

إذ لا بد من تحقق اليقين القلبي والعملي لهذه الكلمة، وإلا فإن المنافقين كانوا يقولون أمام الرسول ﷺ هذه الكلمة بألسنتهم وتخفي قلوبهم الكفر والعداوة للإسلام وأهله، وقد سجل القرآن الكريم مقولتهم؛ فقال تعالى: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾[1]، ولذلك استحق المنافقون العقاب والخلود في النار وفي الدرك الأسفل منها، ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾[2]. كما أن المنافقين مع نطقهم بكلمة التوحيد إلا أنهم لا يقومون بما يترتب عليها من عبادات وواجبات والتزامات إلا وهم كسالى، أو يراؤون الناس بذلك ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾[3]، ويقول الرسول ﷺ: "**إِنَّ أَثْقَلَ صَلَاةٍ عَلَى الْمُنَافِقِينَ؛ صَلَاةُ الْعِشَاءِ، وَصَلَاةُ الْفَجْرِ** ..."[4]

فالله تعالى تجاوز عن هذا العبد المؤمن القائل لكلمة التوحيد، لما علم منه من يقين وثبات ورسوخ في الإيمان، فكان العمل الاعتقادي، واليقين الإيماني، الذي لم يخالطه الشرك بكل مظاهره، هو وصف لهذا الرجل الذي تجاوز الله عن سجلات أعماله، أمام ثقل ميزان كلمة التوحيد التي لا يرجح عليها أي عمل، وكان هذا التوحيد الخالص في قلب هذا العبد ونفسه، هو سبيل نجاته، وإدخاله بفضل الله، وسابق علمه، مع الفائزين برضوان الله ورحمته.

ألا فليتدبر كل عبد أخلص عبوديته لله وحده، هذه المعاني العظيمة، والقيم الإيمانية الثابتة والراسخة، التي اقتضتها كلمة التوحيد " **لا إله إلا الله، محمد رسول الله** " ، ليفوز يوم القيامة بعفو الله، وكرمه، وإكرامه.

---

[1] المنافقون:1

[2] النساء:145

[3] النساء:142

[4] صحيح مسلم،كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب فضل صلاة الجماعة وبيان التشديد في التخلف عنها

كما ينبغي أن يبادر كل مقر بكلمة التوحيد إلى القيام بالأفعال، والأعمال، والعبادات، والأخلاق، التي تقتضيها هذه الكلمة، حتى يوفقه الله تعالى إلى الخاتمة السعيدة في آخر حياته، فيموت على كلمة التوحيد التي يوفقه الله إلى قولها في آخر أنفاس حياته وصعود روحه إلى بارئها جل وعلا.

إذ غاية كل مسلم ومؤمن أن يختم له بخاتمة السعادة، وأن يوفق إلى كلمة التوحيد في ساعة لا ينفع فيها جاه ولا مال ولا بنون، إلا من أتى الله بقلب سليم، فختم الله له بالسعادة بأن وفقه إلى النطق بكلمة التوحيد.

كما ينبغي أن يعلم بأنه لا يجوز الركون إلى قول هذه الكلمة دون يقين وعمل بمقتضاها، لأن الإنسان لا يعلم متى يكون أجله، ولا يدري في آخر حياته أيختم له بالتوحيد، أم لا يوفق إلى ذلك. وهذه سيرة الأنبياء والمرسلين والسلف الصالح، تدل على اشتغالهم بالعبادة، وفعل الخيرات، رجاء الوفاة على اليقين والإيمان، وكلمة التوحيد، ليفوزوا يوم لقاء الله تعالى.

كما ينبغي للمسلم أن يتدارك نفسه فيتوب من جميع ذنوبه، ويتدارك تقصيره في جنب الله، ويسير إلى الله بجناحي الخوف والرجاء، وقلبه عامر باليقين، وثابت على كلمة التوحيد، حتى يتداركه الله بتوبة نصوح صادقة، ويدخله في باب رحمته الواسعة، وهي الرحمة التي وردت في الحديث القدسي " **رحمتي سبقت غضبي** "[1] . وهي كذلك الرحمة الواسعة لكل شيء ﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴾[2] .

كما أن باب التوبة مفتوح بلطف الله وكرمه، إلى آخر لحظات الحياة، وهي ما تسمى الغرغرة. فلنبادر جميعاً إلى توبة نصوح، نتدارك فيها تقصيرنا، ونعلن ندمنا، ونرجو الله قبولها، وهو جل وعلا القائل ﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾[3] .

---

[1] سنن ابن ماجه، المقدمة، فيما أنكرت الجهمية

[2] الأعراف:156

[3] الزمر:53

ولنحافظ على بطاقة التوحيد، نقية من كل شائبة، ولنكررها دائماً على ألسنتنا، وتستيقن بها قلوبنا، عسى الله تعالى أن يجعل ميزاننا يوم القيامة ميزاناً راجحاً بهذه البطاقة الكريمة، "شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله".

وصلى الله وسلم وبارك، على رسولنا الأسوة، وآله الطاهرين، ورضي الله عن صحابة رسول الله أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

" يَا ابْنَ آدَمَ؛ إِنَّكَ مَا دَعَوْتَنِي، وَرَجَوْتَنِي، غَفَرْتُ لَكَ عَلَى مَا كَانَ فِيكَ، وَلَا أُبَالِي، يَا ابْنَ آدَمَ؛ لَوْ بَلَغَتْ ذُنُوبُكَ عَنَانَ السَّمَاءِ، ثُمَّ اسْتَغْفَرْتَنِي، غَفَرْتُ لَكَ، وَلَا أُبَالِي، يَا ابْنَ آدَمَ؛ إِنَّكَ لَوْ أَتَيْتَنِي بِقُرَابِ الْأَرْضِ خَطَايَا، ثُمَّ لَقِيتَنِي لَا تُشْرِكُ بِي شَيْئًا، لَأَتَيْتُكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً " .

يخبرنا الرسول الأسوة ﷺ عن بعض ما رآه ليلة الإسراء، فيما رواه أنس رضي الله عنه قال:" **قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: رَأَيْتُ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي عَلَى بَابِ الْجَنَّةِ مَكْتُوبًا: الصَّدَقَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا، وَالْقَرْضُ بِثَمَانِيَةَ عَشَرَ، فَقُلْتُ: يَا جِبْرِيلُ؛ مَا بَالُ الْقَرْضِ أَفْضَلُ مِنَ الصَّدَقَةِ؟ قَالَ: لِأَنَّ السَّائِلَ يَسْأَلُ وَعِنْدَهُ، وَالْمُسْتَقْرِضُ لَا يَسْتَقْرِضُ إِلَّا مِنْ حَاجَةٍ** "(1) .

إنها أعمال الخير والبر والإحسان، الواقعة بين الصدقة والقرض، وما أعده الله تعالى بمضاعفة ثواب من قام بها وفعلها، فالخصلة الحسنة من أعمال الخير ينميها الله تعالى، ويضاعف أجرها لصاحبها، فضلاً منه ومنةً، وتكرماً ورحمةً، يوضح هذا حديث رسول الله ﷺ:" **إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ ، ثُمَّ بَيَّنَ ذَلِكَ، فَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ، فَلَمْ يَعْمَلْهَا، كَتَبَهَا اللَّهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً، وَإِنْ هَمَّ بِهَا، فَعَمِلَهَا، كَتَبَهَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عِنْدَهُ عَشْرَ حَسَنَاتٍ، إِلَى سَبْعِ مِائَةِ ضِعْفٍ، إِلَى أَضْعَافٍ كَثِيرَةٍ، وَإِنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ، فَلَمْ يَعْمَلْهَا، كَتَبَهَا اللَّهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً، وَإِنْ هَمَّ بِهَا، فَعَمِلَهَا، كَتَبَهَا اللَّهُ سَيِّئَةً وَاحِدَةً** "(2) .

وفي هذا الأجر الجزيل، والثواب العظيم، حافز للمسلم أن يبادر دائماً، إلى فعل الخيرات، ويوطد نواياه على قصد الخير، وعمل المعروف، ما دام الإنسان يثاب على عزمه وقصده الحسن.

ويفتح هذا الحديث الشريف وأمثاله من الأحاديث النبوية الشريفة باب الخير واسعاً أمام العاملين، إذ مضاعفة الأجر على العمل، وحيازة الخير على النية والقصد، فما أوسع رحمة الله، وما أعظم إنعامه على معشر العاملين والفاعلين للخير، فالحسنة بعشر أمثالها، إلى سبعمائة

---

(1) سنن ابن ماجه، كتاب الأحكام، باب القرض

(2) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب إذا هم العبد بحسنة كتبت وإذا هم بسيئة لم تكتب

ضعف، إلى أضعاف كثيرة، يوضح هذا ويؤكده، قول الله تبارك وتعالى : ﴿ مَّثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّئَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [1] وقوله تعالى: ﴿ إِن تُقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ﴾ [2] وقوله جل شأنه: ﴿ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ ﴾ [3] .

فالصدقات والقروض الخيرة، تعود على أصحابها بالفضل الإلهي بمضاعفة الثواب، ومن يقدم الخير في هذه الدنيا، يجد خيراً منه، وأعظم أجراً في الآخرة، فالإنسان يقدم عملاً مادياً من خلال الصدقة، أو القرض الحسن، فيسد خلة المحتاج بالصدقة، ويفرج ضائقة المقترض بالقرض، وفي كلا الحالتين يجد ثواباً عظيماً معنوياً في الآخرة، حسنات يضاعفها الله ما شاء، فيثقل بها ميزان صاحبها، وتقوده إلى جنة عرضها السماوات والأرض، أعدت للمتقين، في يوم لا ينفع فيه مال، ولا جاه، ولا ولد، وإنما ينفع فيه عمل خير، قام به صاحبه في هذه الدنيا ابتغاء وجه الله، وطمعاً في رحمته ورضوانه، فعاد عليه عمله هذا، بالثواب الكبير، والفضل العميم، وفاز برحمة الله، ونال رضاه في دار كرامة الله التي أعدت للمتقين.

وإذا كان أجر القرض يضاعف إلى أضعاف كثيرة، تفوق أجر الصدقة، لأن الآخذ للصدقة يجد شيئاً عنده، ويسأل مع وجود هذا الشيء فيعطى، وأما المقترض فإن الحاجة هي التي دفعته إلى طلب القرض فكان أحوج ممن يسأل الصدقة فيعطاها، للحديث الشريف " **مَنْ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ مِنْ كَسْبٍ طَيِّبٍ، وَلَا يَقْبَلُ اللَّهُ إِلَّا طَيِّبًا، كَانَ إِنَّمَا يَضَعُهَا فِي كَفِّ الرَّحْمَنِ، يُرَبِّيهَا كَمَا يُرَبِّي أَحَدُكُمْ فَلُوَّهُ، أَوْ فَصِيلَهُ، حَتَّى تَكُونَ مِثْلَ الْجَبَلِ** "[4] .

وإذا كان هذا ثواب الصدقة والقرض، كما رآه رسول الله ﷺ مكتوباً على باب الجنة، فإنه ﷺ قد رأى ليلة أسري به عقاب آكل الربا، فقد جاء في الحديث الشريف عن سمرة بن جندب قال: " **قَالَ**

---

(1) البقرة:261

(2) التغابن:17

(3) البقرة:110

(4) موطأ مالك،الجامع،الترغيب في الصدقة

نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ: رَأَيْتُ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي رَجُلًا، يَسْبَحُ فِي نَهْرٍ، وَيُلْقَمُ الْحِجَارَةَ، فَسَأَلْتُ: مَا هَذَا؟ فَقِيلَ لِي: آكِلُ الرِّبَا "[1] .

فهذا المشهد الرهيب لآكل الربا في الآخرة – والعياذ بالله – ينفر من الربا والتعامل به، والابتعاد عن كل أشكاله ومعاملاته، التي انتشرت في أوساط المسلمين، وتحكمت في مجريات المعاملات التجارية والاقتصادية في عالمنا العربي والإسلامي، تقليداً واتباعاً للأنظمة الرأسمالية، التي تقوم أساساً على ركيزتي الربا والاحتكار، وقد وصف الله تعالى أكلة الربا، بأنهم متثاقلون في حركاتهم، كالذي أصيب بالمس والخبل وزوال العقل، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا﴾ [2].

فهذا جانب من عقاب أكلة الربا، أخبرنا به الله تعالى، كما أعلن سبحانه حربه على آكل الربا ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ * فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ﴾[3]. ولم يعلن جل شأنه حرباً على ذنب، كما أعلنه على أكل الربا، علاوة على أن إثم الربا يطال آكل الربا وموكله وكاتبه وشاهده للحديث الشريف:" لَعَنَ اللَّهُ آكِلَ الرِّبَا، وَمُوكِلَهُ، وَشَاهِدَهُ، وَكَاتِبَهُ"[4].

وإذا كان آكل الربا شرهاً في الدنيا، يريد دائماً زيادة ماله، والاستزادة من الربا المحرم، فإنه يوم القيامة يلقم الحجارة، ليستمر حال الشره هذا، وتكون العقوبة كذلك من جنس العمل، فلقم الحجارة هو امتداد لأكل أموال الربا، مع أنه لن يشبع، ولن يقنع في الحالين؛ في الدنيا من أكل أموال الربا، وفي الآخرة من لقم الحجارة ، نعوذ بالله من سوء العاقبة ، ونستغفره من كل ذنب، ونسأله أن يحمينا ويحفظنا من الربا والذنوب، وكل ما قرب إليها من قول وعمل.

---

(1) مسند أحمد،أول مسند البصريين، من حديث سمرة بن جندب عن النبي ﷺ

(2) البقرة: 275

(3) البقرة:278 ـ 279

(4) مسند أحمد،مسند المكثرين من الصحابة،مسند عبد الله بن مسعود رضي الله عنه

إن ما رآه رسول الله ﷺ ليلة الإسراء من آيات بينات، وعبر واضحات، تكشف عن مصائر أهل الخير، والبر، والصدقة، والإحسان، لتدعو المسلمين إلى العمل الخير، وتهيب بهم إلى سلوك طريق النجاة، طريق الصدقة والقرض الحسن، الذي كتب ثوابه على باب الجنة، هذه الجنة التي أعدها الله لعباده المتقين العاملين الصالحين، حسنت مستقراً ومقاماً، يوم ينادي الله عباده ﴿ادْخُلُوهَا بِسَلامٍ آمِنِينَ﴾[1] .

وهذه الآيات العظيمة التي أريها رسول الله ليلة إسرائه، وأخبرنا بها القرآن الكريم، أو السنة النبوية الشريفة، هي نبراس للعاملين يسيرون على هديها، لأن السير على هذا الهدي، هو طريق النجاة في الدنيا والآخرة، وهذه الآيات سطرها القرآن الكريم، بقوله تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾[2] . وفي سورة النجم ﴿مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى * لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى﴾[3].

وقد أخبرنا رسول الله ﷺ بهذه المرآئي من خلال سنته الشريفة، فذكر لنا أنه رأى الأنبياء ـ عليهم السلام – كما ورد في الحديث " **قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي رَأَيْتُ مُوسَى، وَإِذَا هُوَ رَجُلٌ ضَرْبٌ رَجِلٌ، كَأَنَّهُ مِنْ رِجَالِ شَنُوءَةَ، وَرَأَيْتُ عِيسَى، فَإِذَا هُوَ رَجُلٌ رَبْعَةٌ أَحْمَرُ، كَأَنَّمَا خَرَجَ مِنْ دِيمَاسٍ، وَأَنَا أَشْبَهُ وَلَدِ إِبْرَاهِيمَ ﷺ بِهِ، ثُمَّ أُتِيتُ بِإِنَاءَيْنِ، فِي أَحَدِهِمَا لَبَنٌ، وَفِي الآخَرِ خَمْرٌ، فَقَالَ: اشْرَبْ أَيَّهُمَا شِئْتَ، فَأَخَذْتُ اللَّبَنَ، فَشَرِبْتُهُ، فَقِيلَ: أَخَذْتَ الْفِطْرَةَ، أَمَا إِنَّكَ لَوْ أَخَذْتَ الْخَمْرَ، غَوَتْ أُمَّتُكَ** "[4] .

---

[1] الحجر: 46

[2] الإسراء: 1

[3] النجم: 17- 18

[4] صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله تعالى وهل أتاك حديث موسى وكلم الله موسى تكليما

فليكن أيها المسلمون هذا الهدي النبوي الشريف، سبيلاً لنا في أعمالنا، ونوايانا، وخطرات قلوبنا، حتى نحافظ على سلوك الطريق السوي، التي تقودنا إلى الفوز في الدنيا، والنجاة في الآخرة.

كما تقودنا إلى سبيل العزة والنصر، في المحافظة على ديار الإسراء والمعراج، التي تشرفت بإسراء نبينا ﷺ إليها، وعروجه من رحاب مسجدها الأقصى، الذي بارك الله فيه، وبارك حوله، وجعله أمانة في أعناق أجيال المسلمين، وقرر إسلاميته، ومسجديته من فوق سبع سماوات.

فلنعمل جميعاً إلى الاقتداء والاهتداء بهدي حبيبنا، ورسولنا الأسوة ﷺ ، لنكون أهلاً لسدانة هذا المسجد وحراسته، ننتسب إلى ديار الإسراء والمعراج، ونعتز بأننا أهلها وطليعة أمتنا الإسلامية في رعايتها، والمحافظة عليها، والرباط فيها، إلى أن يقضي الله أمراً كان مفعولاً، ويأذن بنصره ﴿وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ * بِنَصْرِ اللَّهِ يَنصُرُ مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾[1] .

وصلى الله وسلم وبارك، على سيدنا محمد، الرسول الأسوة، وعلى آله الطاهرين، وصحابته الغر الميامين، ومن سار على نهجهم، واتبع سنتهم، إلى يوم الدين.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " مَنْ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ مِنْ كَسْبٍ طَيِّبٍ، وَلَا يَقْبَلُ اللهُ إِلَّا طَيِّبًا، كَانَ إِنَّمَا يَضَعُهَا فِي كَفِّ الرَّحْمَنِ، يُرَبِّيهَا كَمَا يُرَبِّي أَحَدُكُمْ فَلُوَّهُ، أَوْ فَصِيلَهُ، حَتَّى تَكُونَ مِثْلَ الْجَبَلِ "

(1) الروم:4 - 5

نقرأ من حديث طويل للرسول ﷺ ليلة أسري به :"**بَيْنَا أَنَا عِنْدَ الْبَيْتِ، بَيْنَ النَّائِمِ وَالْيَقْظَانِ، إِذْ سَمِعْتُ قَائِلًا يَقُولُ: أَحَدُ الثَّلَاثَةِ بَيْنَ الرَّجُلَيْنِ، فَأُتِيتُ، فَانْطُلِقَ بِي، فَأُتِيتُ بِطَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ فِيهَا مِنْ مَاءِ زَمْزَمَ، فَشُرِحَ صَدْرِي ... فَاسْتُخْرِجَ قَلْبِي، فَغُسِلَ بِمَاءِ زَمْزَمَ، ثُمَّ أُعِيدَ مَكَانَهُ، ثُمَّ حُشِيَ إِيمَانًا وَحِكْمَةً، ثُمَّ أُتِيتُ بِدَابَّةٍ أَبْيَضَ، يُقَالُ لَهُ الْبُرَاقُ....**"[1] .

ففي كل عام هجري تمر بنا ذكرى الإسراء والمعراج، في السابع والعشرين من شهر رجب الفرد، وهو أحد الأشهر الحرم، وفي الذكرى يستذكر كل مسلم في هذا العالم، مواطن الذكرى، فيجول بفكره في رحاب المسجد الحرام، بجوار الركن من الكعبة المشرفة، حيث الرسول الأكرم ﷺ نائمٌ عند الحجر، ويطلب عون الله وتوفيقه في الدعوة إلى توحيد الله، ونشر دين الإسلام الحنيف، بين سدنة بيت الله الحرام وحراسه ومجاوريه، الذي جعله الله أول بيت يوضع في الأرض، قال تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ﴾[2] .

فمن رحاب البيت الآمن انطلقت هذه الرحلة القدسية الإيمانية، أميرها راكب البراق، سيد الخلق أجمعين، يصاحبه ويرافقه أمين الوحي جبريل عليه السلام.

ويصل الركب الميمون في قليل من الوقت إلى المسجد الأقصى المبارك، حيث البيت الثاني الذي وضع للناس في الأرض، لحديث أبي ذر رضي الله عنه قال:" **قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ؛ أَيُّ مَسْجِدٍ وُضِعَ فِي الْأَرْضِ أَوَّلُ؟ قَالَ: الْمَسْجِدُ الْحَرَامُ، قُلْتُ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: الْمَسْجِدُ الْأَقْصَى، قُلْتُ: كَمْ بَيْنَهُمَا، قَالَ: أَرْبَعُونَ سَنَةً، وَأَيْنَمَا أَدْرَكَتْكَ الصَّلَاةُ، فَصَلِّ فَهُوَ مَسْجِدٌ** "[3] .

---

[1] صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب الإسراء برسول الله ﷺ إلى السماوات

[2] آل عمران:96

[3] صحيح مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة

وبالوصول إلى المسجد الأقصى، تتحدد محاور هذه المعجزة العظيمة ؛ معجزة الإسراء، حيث محور العقيدة التي ربطت ديار الإسراء بأعظم رموز التوحيد والعبادة في ديار المسلمين في مكة المكرمة، بلد البيت الحرام ومسجده الحرام، وفي القدس بلد المسجد الأقصى المبارك.

وشاء الله تعالى بهذه المعجزة التي كرم بها نبيه محمداً ﷺ أن تكون القيمومة على هذين المسجدين للمسلمين، وأبى الله تعالى إلا أن تسجل هذه القيمومة في اللوح المحفوظ، والوحي المقروء في كتاب الله تعالى، آية من كتاب الله، وسورة من سور القرآن الكريم، ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (1) .

وزيادة في تكريم النبي ﷺ يستقبله الأنبياء ورسل الله الكرام في رحاب المسجد الأقصى، ليصلي إماماً بهم، إشارة ودلالة على أنه خاتمهم، وأنه إمامهم في تبليغ رسالات الله، وأنه وأمته الأمناء على بيوت الله ومساجده في الأرض، وأن هذه الديار المباركة هي ديار إسلامية، لأمة الإسلام التي أكرمها الله بسدانة هذه المساجد الطاهرة.

ويؤتى النبي ﷺ بإنائين من خمر ولبن؛ فيختار اللبن، ليقول له جبريل " **الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَاكَ لِلْفِطْرَةِ لَوْ أَخَذْتَ الْخَمْرَ غَوَتْ أُمَّتُكَ** "(2) .

ومن رحاب المسجد الأقصى يعرج بالنبي ﷺ إلى السماوات العلى، فيلتقي في كل سماء برسول من رسل الله الكرام يرحب به، ويدعو له، وينطلق ﷺ في معراجه ليرى سدرة المنتهى، ومالكاً خازن النار، ورضوان خازن الجنة، ويرى من المرائي والمشاهد مصائر أهل الخير وأهل الشر.

ويدنو من الحضرة القدسية حيث صرير الأقلام، ويخلع عليه بديع السماوات والأرض، حلل الكرامة والرضوان، ويفرض عليه وعلى أمته أعظم ركن من أركان الإسلام، خمساً في العمل،

---

(1) الإسراء:1

(2) صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن ،باب قوله أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام

خمسين في الأجر والثواب، فكانت الصلاة عمود الدين في الأرض، وركنه في السماء، وهي رحلة عروج المؤمن بروحه إلى رحاب فضاء والفضل الإلهي.

فلا حاجز بين المسلم وربه في الصلاة، وكما في الحديث الشريف: " **أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الْعَبْدُ مِنْ رَبِّهِ، وَهُوَ سَاجِدٌ، فَأَكْثِرُوا الدُّعَاءَ** "[1] ، فلله الحمد والمنة على هذا الفضل العظيم والخير العميم.

ومن منطلق حرص المسلمين على تحقيق الأمر الإلهي بإسلامية ديار الإسراء والمعراج، انطلقت جيوش الفتح من المدينة المنورة إلى مكة المكرمة، لتطهير بيت الله الحرام من الأصنام والأوثان، وإعلانه بيتاً لعبادة الله وتوحيده، ومسجداً خالداً على مر الزمان، وكان ذلك في العام الثامن للهجرة الشريفة، كما انطلقت كتائب الإيمان في السنة الخامسة عشرة للهجرة الشريفة لفتح بيت المقدس، وتحرير مسجدها الأقصى المبارك، ليكون منارة للتوحيد والعبادة في هذه الديار الإسلامية المباركة ويرفع بلال ﷺ ـ مؤذن رسول الله ﷺ ـ نداء التوحيد في هذه الرحاب الطاهرة ، فيبكي الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ الذين افتقدوا رسول الله ﷺ في موقف العزة الإيماني هذا، ويمنح الفاروق عمر رضي الله عنه عهداً لسكان القدس بحماية أرواحهم وممتلكاتهم، وتدخل القدس وديار الإسراء والمعراج في حظيرة الدولة الإسلامية، التي ذادت عن هذه الديار ردحاً من الزمان إلى أن وقعت في أسر الصليبيين، وحررها القائد المظفر صلاح الدين الأيوبي رحمه الله.

ودارت عجلة الزمان؛ فها هي ديار الإسراء والمعراج ترزح تحت نير احتلال، طال ليله، بانتظار تحرير، يعيد لها العزة المسلوبة، والكرامة المهدورة، ويكسر قيود الأسر، التي تكبل محبيها، وعشاق زيارتها، وشد الرحال إليها.

فهلا كانت ذكرى الإسراء والمعراج التي تمر بنا في هذه الأيام، حافزاً لأمة الإسلام، بتوحيد صفها، والعمل الجاد من أجل حرية هذه الديار، ليعود المسجد الأقصى المبارك، محور معجزة

---

[1] صحيح مسلم،كتاب الصلاة، باب ما يقال في الركوع والسجود

الإسراء والمعراج، حراً طليقاً، تشد إليه رحال المسلمين من كل مكان، وتفتح القدس قلبها لأبنائها وزوارها، ويكون أهل هذه الديار أبناء فلسطين في استقبال العائدين إلى الديار بعد غياب، والمرحبين بضيوف الرحمن في رحاب القدس، ودرة جبينها المسجد الأقصى المبارك.

ويومئذ يحتفي كل المسلمين بذكرى الإسراء والمعراج ليجددوا عزة الفتح في عهد عمر والصحابة - رضوان الله عليهم - ومجد التحرير في عهد صلاح الدين رحمه الله، وما ذلك بعزيز على أمة تقرأ في كتاب الله آيات سورة الإسراء، التي رسمت منهج العزة والكرامة والهداية ﴿ إِنَّ هَـذَا الْقُرْآنَ يِهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْراً كَبِيراً ﴾[1].

وصلى الله وسلم وبارك، على سيدنا محمد، الرسول الأسوة، وعلى آله الطاهرين، وصحابته الغر الميامين، ومن سار على نهجهم، واتبع سنتهم، إلى يوم الدين.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " بَيْنَا أَنا عِنْدَ الْبَيْتِ، بَيْنَ النَّائِمِ وَالْيَقْظَانِ، إِذْ سَمِعْتُ قَائِلًا يَقُولُ: أَحَدُ الثَّلَاثَةِ بَيْنَ الرَّجُلَيْنِ، فَأُتِيتُ، فَانْطَلَقَ بِي، فَأُتِيتُ بِطَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ فِيهَا مِنْ مَاءِ زَمْزَمَ، فَشُرِحَ صَدْرِي ... فَاسْتُخْرِجَ قَلْبِي، فَغُسِلَ بِمَاءِ زَمْزَمَ، ثُمَّ أُعِيدَ مَكَانَهُ، ثُمَّ حُشِيَ إِيمَانًا وَحِكْمَةً، ثُمَّ أُتِيتُ بِدَابَّةٍ أَبْيَضَ، يُقَالُ لَهُ الْبُرَاقُ...)

[1] الإسراء:9

في معرض حث الرسول ﷺ على اصلاح ذات البين نقرأ ما رواه أَبو الدَّرْدَاءِ ﷺ قَالَ:" **قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَفْضَلَ مِنْ دَرَجَةِ الصِّيَامِ، وَالصَّلَاةِ، وَالصَّدَقَةِ؟ قَالُوا: بَلَى، قَالَ: صَلَاحُ ذَاتِ الْبَيْنِ، فَإِنَّ فَسَادَ ذَاتِ الْبَيْنِ هِيَ الْحَالِقَةُ . لَا أَقُولُ تَحْلِقُ الشَّعَرَ وَلَكِنْ تَحْلِقُ الدِّينَ**" [1].

في هذا الحديث النبوي الشريف أصل عظيم في الحث على الإصلاح بين الناس، لأن النزاع والخلاف إذا انتشر بين الناس أدى إلى تقطيع الأواصر وتفتيت الروابط، وإثارة الإحن والفتن ، وتفشي الجرائم التي تقود إلى سفك الدماء ، وأكل الأموال بالباطل ، والفساد والإفساد في الأرض، وما يتبع ذلك من كوارث ومصائب، تقود إلى استئصال الأفراد، أو المجتمعات، وتعفية آثارهم من الأرض، كالشعر الذي يزيله موسى الحلاقة .

لذلك جاء التنبيه النبوي الشريف بصيغة توقظ القلوب، وتنبه العقول، وتسترعي الحواس، إلى أهمية هذه الدرجة الكبيرة من الخير، وهذا العمل الجليل، المتمثل في إصلاح ذات البين .

هذا العمل الذي يفوق فضله نوافل العبادات، من صيام وصلاة وصدقة، مع ما لهذه الأعمال من فضل وثواب كبير عند الله سبحانه وتعالى، بل إن أصولها هي فرائض وأركان هذا الدين العظيم ، فالصلاة والصيام والزكاة يضاف إليها الحج، هي أركان الإسلام ودعائم هذا الدين العظيم .

وحتى تقوم هذه الأركان، ويؤسس لهذا الإسلام، لا بد من مجتمع متآلف متحاب، صلح أفراده، واستقام بنيانه، وخلى من البغضاء والحسد، وفساد ذات البين، فالرسول ﷺ يقول:" **دَبَّ إِلَيْكُمْ دَاءُ الْأُمَمِ قَبْلَكُمْ؛ الْحَسَدُ، وَالْبَغْضَاءُ، وَالْبَغْضَاءُ هِيَ الْحَالِقَةُ، حَالِقَةُ الدِّينِ، لَا حَالِقَةُ الشَّعَرِ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا، أَفَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِشَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ، أَفْشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ**"[2]

وقد تحقق هذا المجتمع بهذه المواصفات العالية زمن الرسول ﷺ وصحابته الكرام من المهاجرين والأنصار الذين آثروا الإسلام وقيم الإيمان على كل الروابط والأواصر، فكانوا كما وصفهم الله

---

[1] سنن الترمذي، كتاب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله

[2] مسند أحمد، مسند العشرة المبشرين بالجنة، مسند الزبير بن العوام ﷺ

تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوا وَّنَصَرُوا أُوْلَـئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ . . . ﴾[1].

فكان هذا المجتمع الإسلامي هو اللبنة الأولى في بناء الأمة، والدولة الإسلامية، وهو النموذج الحي والواقعي الذي تمثلته الأمة الإسلامية على امتداد تاريخها الزاهر، ومجدها الغابر، في بناء حضارتها وريادتها للناس، ولم يتغير هذا النموذج إلا عندما زحفت إلى مواطن قوته فساد ذات البين، ففرقت الأمة دولاً ، ومزقت الشعوب شيعاً وأحزاباً، ﴿كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾[2] . ولا عودة عن هذا الحال إلا بإصلاح ذات البين على أسس الإيمان والتقوى ، وإيثار الباقي على الفاني بالرغبة فيما عند الله تعالى، والاحتكام إلى كتاب الله الكريم، والسير على هدي نبيه الأمين عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم .

وهذا متيسر للأمة، إن هي أخلصت النيات، وأحكمت الأعمال، وتأست بسلفها الصالح، في تغليب الخير، والالتزام بأعماله، وإقصاء الشر، وفساده، وإفساده، فالله تعالى جعل مهمة أنبيائه ورسله الإصلاح، قال تعالى حاكياً عن نبيه شعيب عليه السلام ﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىَ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلاَّ الإِصْلاَحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾[3] .

فالساعي إلى الإصلاح، عليه أن يجتهد في ذلك، ويبذل ما استطاع من جهد مع إخلاص النية، والدعاء إلى الله بتحقيق قصده ومراده، فالتوفيق في جميع الأعمال والأقوال والأحوال والنتائج هو بيد الله تعالى.

فالمسلم يقوم بالإصلاح امتثالا لأمر الله تعالى، لقوله جل شأنه ﴿لاَّ خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلاَّ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاَحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتَغَاء مَرْضَاةِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾[4] .

---

[1] الأنفال:72

[2] المؤمنون:53

[3] هود: 88

[4] النساء:114

والإصلاح يبدأ بين اثنين، نزيل النزاع القائم بينهما ونصفي صدريهما، كالإصلاح بين الزوجين ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا﴾[1] .

كما يمتد الإصلاح ليشمل فض النزاع والخلاف بين فريقين من الناس، أو قبيلتين، أو عشيرتين، أو طائفتين، كما أشار إلى ذلك القرآن الكريم ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا﴾[2] .

فالنزاع أو الخلاف أو الخصومة لا يمكن القضاء عليها نهائياً، بل شأن الناس أن يقع بينهم الخلاف، فيأتي دور المصلحين لمعالجة هذه الخلافات والوصول إلى حلول مرضية لها، وإعادة الألفة والمحبة والصفاء للمتخاصمين .

ويحسن بنا هنا أن نشير إلى بعض المبادئ التي لا بد من مراعاتها للعاملين في مجال الإصلاح، ومنها :

- أن يحتسب المصلح أجره عند الله تعالى .
- أن يقوم المصلح بالعمل استجابة لأمر الله تعالى: {.. وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ..}[3] .
- أن يعلم المصلح أن عمله يصب في مصلحة الأمة . فالأمة المتصارعة توشك أن تنهار، بينما المتماسكة تبقى قوية ويهابها أعداؤها .
- أن يتحرى المصلح العدل، ويحذر كل الحذر من الظلم ﴿فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾[4].
- أن يكون الصلح مبنياً على العلم، وفهم القضية المتنازع عليها، فهماً سليماً صحيحاً.
- اختيار الأوقات المناسبة لبحث موضوع الصلح، والرفق والرحمة بالمتخاصمين.
- تذكير المتخاصمين بالعاقبة، وثواب العفو ﴿وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾[5]، ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾[6].

---

(1) النساء :35
(2) الحجرات :9
(3) الأنفال:1
(4) الحجرات:9
(5) البقرة:237
(6) الشورى:40

فما أحوج أمتنا الإسلامية إلى إصلاح ذات البين، بين دولها، وحكوماتها، وشعوبها ، وما أحوجها للاستجابة، لقول الله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ . . ﴾[1]،وقوله تعالى :﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾[2]، لأن في صلاح الأمة صلاح للأفراد والمجتمعات .

وإننا في ديار الإسراء والمعراج أحوج ما نكون إلى إصلاح ذات البين، فالخلافات القائمة على الساحة الفلسطينية، والتي وصلت إلى استعمال السلاح ضد الإخوة والأهل، تستوجب على كل عاقل ومسؤول وفصيل، وكل القوى على الساحة الفلسطينية، أفراداً، ومؤسسات مجتمع مدني، أن ترفع صوتها عالياً، لوقف هذا النزيف، وأن تبذل كل الجهود في سبيل إصلاح ذات البين، وإعادة اللحمة بين أبناء الوطن، ليكون صوتنا الفلسطيني واحداً موحداً، يقود إلى موقف صلب، يطرح قضيتنا بكل قوة أمام المحافل الدولية والاقليمية؛ بل أمام دول العالم وشعوبه، مطالباً بحقوق شعبنا المشروعة كافة، فوق هذا الثرى المقدس .

وصلى الله وسلم وبارك، على سيدنا محمد، الرسول الأسوة، وعلى آله الطاهرين، وصحابته الغر الميامين، ومن سار على نهجهم، واتبع سنتهم، إلى يوم الدين.

قال الرسول صلى الله عليه وسلم : (دَبَّ إِلَيْكُمْ دَاءُ الْأُمَمِ قَبْلَكُمْ؛ الْحَسَدُ، وَالْبَغْضَاءُ، وَالْبَغْضَاءُ هِيَ الْحَالِقَةُ، حَالِقَةُ الدِّينِ، لَا حَالِقَةُ الشَّعْرِ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا، أَفَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِشَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ، أَفْشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ)

[1] الأحزاب:70- 71

[2] الأنفال:24

نقف على هدي النبي ﷺ في كثرة صيامه في شهر شعبان، فيما رواه أبو سلمة ﵁، قال:" سَأَلْتُ عَائِشَةَ عَنْ صَوْمِ النَّبِيِّ ﷺ ، فَقَالَتْ: كَانَ يَصُومُ حَتَّى نَقُولَ قَدْ صَامَ، وَيُفطِرُ حَتَّى نَقُولَ قَدْ أَفْطَرَ، وَلَمْ أَرَهُ صَامَ مِنْ شَهْرٍ قَطُّ، أَكْثَرَ مِنْ صِيَامِهِ مِنْ شَعْبَانَ، كَانَ يَصُومُ شَعْبَانَ كُلَّهُ، كَانَ يَصُومُ شَعْبَانَ إِلَّا قَلِيلًا "[1] .

نتبين من هذا الهدي النبوي الشريف أن رسول الله ﷺ كان يكثر الصيام عدا شهر رمضان، فهو ﷺ الذي حث أمته على صيام أنواع كثيرة من النوافل، وكان يباشر ذلك بنفسه، فهذه أم المؤمنين عائشة ـ رضي الله عنها ـ تخبر عن صيام رسول الله ﷺ، وهي من أقرب الناس إلى حياته الخاصة، حيث اطلاعها على أحوال رسول الله ﷺ، كونها زوجاً له.

فالرسول ﷺ الذي بين لأمته فضائل صيام التطوع وفضله، كان القدوة في مباشرة هذا الصيام، فليس غريباً أن يكثر من الصيام في شهر شعبان، هذا الشهر الذي يسبق شهر رمضان ، الذي فرض الله صيامه على أمتنا، وكان هذا الصيام ركناً من أركان الإسلام وفريضة محكمة من فرائضه، فرضها الله على سائر الأمم قبلنا، فلم يخلُ دين من الأديان من فريضة الصيام، قال تعالى:﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾[2] وحدد الصيام على أمتنا في شهر رمضان، الذي اشتمل على فضائل كثيرة، لعل من أهمها وأبرزها أنه الشهر الذي نزل فيه القرآن، قال تعالى: ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِيَ أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ﴾[3].

---

[1] سنن ابن ماجه،كتاب الصيام، باب ما جاء في صيام النبي ﷺ
[2] البقرة:183
[3] البقرة:185

ولما كان ثواب الصيام عظيماً وكبيراً، حث رسول الله ﷺ على صيام التطوع والنوافل، من ذلك قوله ﷺ :" لَا يَصُومُ عَبْدٌ يَوْمًا، فِي سَبِيلِ اللَّهِ، إِلَّا بَاعَدَ اللَّهُ تَعَالَى بِذَلِكَ الْيَوْمِ، النَّارَ عَنْ وَجْهِهِ، سَبْعِينَ خَرِيفًا "[1]. ويحسن بنا في معرض الحديث عن كثرة صيام رسول الله ﷺ في شهر شعبان أن نذكر أنواعاً وأصنافاً من صيام التطوع حث عليها رسولنا الأكرم ﷺ قولاً، وباشرها فعلاً، من ذلك:

* صيام يومي الاثنين والخميس من كل أسبوع، لما روي أن رسول الله ﷺ، قال:" تُعْرَضُ الْأَعْمَالُ، يَوْمَ الِاثْنَيْنِ وَالْخَمِيسِ، فَأُحِبُّ أَنْ يُعْرَضَ عَمَلِي، وَأَنَا صَائِمٌ "[2] .

*صيام الثلاثة أيام البيض من كل شهر، وهي التي يكتمل فيها نور القمر، وهي الأيام الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر من كل شهر قمري للحديث ".. وَصُمْ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ. "[3].

*صيام ستة أيام من شهر شوال للحديث :" مَنْ صَامَ رَمَضَانَ، وَسِتًّا مِنْ شَوَّالٍ، فَكَأَنَّمَا صَامَ السَّنَةَ كُلَّهَا"[4] .

*صيام التسعة أيام الأولى من شهر ذي الحجة، والتأكيد على صيام يوم عرفة لغير الحاج، لقول الرسول ﷺ:" مَا مِنْ أَيَّامٍ الْعَمَلُ الصَّالِحُ فِيهَا ، أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ ﷻ، مِنْ هَذِهِ الْأَيَّامِ؛ يَعْنِي أَيَّامَ الْعَشْرِ، قَالَ: قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَلَا الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ؟ قَالَ: وَلَا الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، إِلَّا رَجُلًا خَرَجَ بِنَفْسِهِ، وَمَالِهِ، ثُمَّ لَمْ يَرْجِعْ مِنْ ذَلِكَ بِشَيْءٍ "[5].

* وأفضل صيام التطوع هو صيام داود عليه السلام ؛ كان يصوم يوماً ويفطر يوماً،لحديث رسول الله ﷺ لمن استزاده في صيام التطوع فقال له:" أَحَبُّ الصِّيَامِ إِلَى اللَّهِ، صِيَامُ دَاوُدَ، فَإِنَّهُ كَانَ يَصُومُ يَوْمًا، وَيُفْطِرُ يَوْمًا" [6].

ولا زيادة تطلب على هذا الصيام، الذي لا يطيقه إلا الأنبياء، وأصحاب الهمم العالية من العبّاد والصالحين .

---

[1] سنن النسائي،كتاب الصيام، باب ذكر الاختلاف على سفيان الثوري فيه

[2] سنن الترمذي، كتاب الصوم عن رسول الله، باب ما جاء في صوم يوم الاثنين والخميس

[3] مسند أحمد،مسند المكثرين من الصحابة،مسند عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه

[4] مسند أحمد،باقي مسند المكثرين،مسند جابر بن عبد الله رضي الله عنه

[5] مسند أحمد،ومن مسند بني هاشم،بداية مسند عبد الله بن العباس

[6] سنن ابن ماجه،كتاب الصيام،باب ما جاء في صيام داود عليه السلام

وللعلماء مذاهب في أسباب كثرة صيام النبي ﷺ في شعبان، منها:

* إنه كان يشتغل عن صوم ثلاثة أيام، من كل شهر لسفر أو غيره، فتجتمع عليه فيقضيها، في شعبان، ومن هدي النبي ﷺ وطبعه الكريم، أنه كان إذا عمل بنافلة، التزمها، وإن فاتته قضاها.

* وقيل إن نساءه ﷺ كن يقضين ما عليهن من رمضان في شعبان، فكان يصوم لذلك.

* وقيل إنه شهر يغفل الناس عنه للحديث:" **ذَلكَ شَهْرٌ يَغْفَلُ النَّاسُ عَنْهُ، بيْنَ رجبٍ ورمَضَانَ، وَهُوَ شَهْرٌ تُرْفَعُ فِيهِ الْأَعْمَالُ إلى رَبِّ الْعَالَمِينَ، فَأُحِبُّ أَنْ يُرفَعَ عَمَلِي، وَأَنَا صَائِمٌ** "[1].

قال ابن رجب رحمه الله: صيام شعبان أفضل من صيام الأشهر الحرم ، وأفضل التطوع ما كان قريب من رمضان قبله وبعده ، وتكون منزلته من الصيام بمنزلة السنن الرواتب مع الفرائض قبلها وبعدها، وهي تكملة لنقص الفرائض ، وكذلك صيام ما قبل رمضان وبعده ، فكما أن السنن الرواتب أفضل من التطوع المطلق بالصلاة، فكذلك يكون صيام ما قبل رمضان وبعده أفضل من صيام ما بَعُد عنه.

أما التطوع بالصيام في آخر شعبان فقد نهى عنه النبيﷺ بقوله:" **لَا تَقَدَّمُوا رَمَضَانَ بِصَوْمِ يَوْمٍ، وَلَا يَوْمَيْنِ، إِلَّا رَجُلٌ كَانَ يَصُومُ صَوْمًا، فَلْيَصُمْهُ**"[2].

ومعلوم أن النبي ﷺ أمر بإحصاء عدة شعبان لرمضان كي يدخل المسلم في عبادة الصوم متيقناً أنه وافق بداية شهر رمضان، وللعلماء آراء وأقوال في صيام آخر شعبان، لعل من أهمها:

- أن يصوم ذلك بنية صوم رمضان احتياطاً لرمضان ، وهذا ممنوع.
- أن يصوم ذلك بنية نذر أو كفارة أو قضاء عن رمضان ، فهذا جوزه جمهور العلماء.
- كراهية التطوع قبل رمضان بيوم أو يومين، لمن ليس له عادة صيام.

فهذا هو شهر شعبان، موسم من مواسم الطاعة لمن أراد أن يغتنم هذه الفرصة بصيام نافلة في هذا الشهر، تأسياً برسولنا الأسوة ﷺ الذي تصفه عائشة أم المؤمنين ـ رضي الله عنها ـ بكثرة

---

[1] سنن النسائي،الصيام،صوم النبي ﷺ بأبي هو وأمي وذكر

[2] صحيح مسلم، كتاب الصيام، باب لا تقدموا رمضان بصوم يوم ولا يومين

الصيام قائلة :" **يَصُومُ حَتَّى نَقُولَ لَا يُفْطِرُ، وَيُفْطِرُ حَتَّى نَقُولَ لَا يَصُومُ، وَمَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّـهِ ﷺ اسْتَكْمَلَ صِيَامَ شَهْرٍ قَطُّ، إِلَّا رَمَضَانَ، وَمَا رَأَيْتُهُ فِي شَهْرٍ أَكْثَرَ مِنْهُ صِيَامًا فِي شَعْبَانَ** "[1] .

وهو ﷺ القائل:" **خُذُوا مِنَ الْأَعْمَالِ مَا تُطِيقُونَ، فَإِنَّ اللَّهَ لَنْ يَمَلَّ حَتَّى تَمَلُّوا**"[2] . وقوله ﷺ: " **أَحَبُّ الْعَمَلِ إِلَى اللَّهِ، مَا دَاوَمَ عَلَيْهِ صَاحِبُهُ، وَإِنْ قَلَّ** "[3] .

فالله نسأل أن يجعلنا ممن يقتدي ويهتدي بهدي النبي ﷺ، وأن يعيننا على المحافظة على ما التزمنا به من نوافل الصيام، والصلاة، وسائر العبادات، إنه نعم المولى ونعم النصير، وهو المستعان في كل حال.

وصلى الله وسلم وبارك على رسولنا، الأسوة، وعلى آله الطاهرين، وصحابته الغر الميامين، ومن تبعهم، واستن سنتهم، إلى يوم الدين.

> قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " **لَا تَقَدَّمُوا رَمَضَانَ بِصَوْمِ يَوْمٍ، وَلَا يَوْمَيْنِ، إِلَّا رَجُلٌ كَانَ يَصُومُ صَوْمًا، فَلْيَصُمْهُ**"

[1] صحيح مسلم، كتاب الصيام، باب صيام النبي ﷺ في غير رمضان

[2] صحيح مسلم، كتاب الصيام، باب صيام النبي ﷺ في غير رمضان

[3] صحيح مسلم،كتاب الصيام، باب صيام النبي ﷺ

يحدد ميقات الصيام

يخبرنا الرسول الأكرم ﷺ عن ميقات واضح لبدء الصيام وانتهائه، بقوله ﷺ: " **صُومُوا لِرُؤْيَتِهِ، وَأَفْطِرُوا لِرُؤْيَتِهِ، فَإِنْ غُمِّيَ عَلَيْكُم الشَّهْرُ، فَعُدُّوا ثَلَاثِينَ** " [1].

لما كان الصيام ركناً من أركان الإسلام؛ فقد أولى الشارع الحكيم هذه العبادة عناية فائقة، فبين فرضيتها وميقاتها وما يتعلق بها من أحكام، فالله تعالى يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [2].

وبين سبحانه وتعالى أن المريض والمسافر لهما أن يفطرا، ويقضيا إذا صح المريض وأقام المسافر، فقال تعالى: ﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ [3]، ومن لا يستطيع الصيام لهرم أو لمرض مزمن، فقد نقله الله تعالى إلى عبادة الإطعام بدلاً من الصيام، فقال جلت حكمته: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ﴾ [4].

وهذه العبادة العظيمة نصب الله لها ميقاتاً واضحاً يعم الجميع، ويستطيع الوصول إليه العالم والجاهل على حد سواء، فجعل رؤية الهلال، أو إكمال عدة شعبان ثلاثين يوماً، إمارة منضبطة لبدء الصيام، فإن رؤي الهلال وجب الصوم، وإن لم يُرَ الهلال أكملت عدة شعبان ثلاثين يوماً، قال تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِيَ أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ [5]. وشهود الشهر هو رؤية هلاله من قِبل عدل واحد من المسلمين، فإذا شهد عدل بالرؤية عند ولي الأمر، بعد أن تقوم فيه شروط تحمل الشهادة، ويصح بمثل وصفه ضبط الرؤية وإمكانها وحكم ولي الأمر بثبوت رؤية الهلال، وجب على المسلمين الدخول في عبادة

---

[1] صحيح مسلم، كتاب الصيام ، باب وجوب صوم رمضان لرؤية الهلال والفطر لرؤية الهلال

[2] البقرة:183

[3] البقرة:184

[4] البقرة:184

[5] البقرة:185

الصيام، وخطاب الله تعالى، وخطاب النبي ﷺ، موجه لكل المسلمين، فإذا رأى الهلال بعض المسلمين وجب على بقية المسلمين الالتزام بالصيام، لأن رؤية كل واحد من المسلمين للهلال متعذرة لسبب أو لآخر، والله تعالى لم يكلفنا فوق الطاقة، بل كلفنا ضمن طاقتنا، وما في وسعنا القيام به: ﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾[1].

وخطاب الرسول ﷺ موجه لعامة المسلمين " **صُومُوا لِرُؤْيَتِهِ** " فإذا حصلت الرؤية وشهد عدل بذلك صام المسلمون، وفي هذا الأمر يُسرٌ على الأمة بما يتلاءم ومقاصد هذه الشريعة الغراء التي دعت إلى التيسير ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ ﴾[2]. ورفع الحرج عن الأمة ﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾[3]، فلا حرج أو عسر يلحق بالأمة إذا كان الخطاب الخاص بالرؤية موجهاً لعموم الأمة، فإذا رأى بعض أفرادها أو بالأحرى فرد منها الهلال، وهو أهل لتحمل الشهادة وأدائها، ثبت الصيام ووجب على الجميع الدخول في هذه العبادة لعموم الأدلة وقوتها، إذ لم يرد التخصيص للعام "**صُومُوا لِرُؤْيَتِهِ**"، وحديث" **لَا تَصُومُوا حَتَّى تَرَوْا الْهِلَالَ، وَلَا تُفْطِرُوا حَتَّى تَرَوْا الْهِلَالَ** "[4] لا يعارض هذا الخطاب العام بل يعززه ويؤكده، فالمطلوب الرؤية أو إكمال عدة الشهر حين تعذرها.

وفي هذا المسلك توافق كامل مع ميقات الصيام الذي بينه رسول الله ﷺ وهو المبلغ عن ربه والمبين أحكام كتابه، فالرؤية شرط للدخول في عبادة الصيام، وإلا أكملت عدة شعبان ثلاثين.

---

[1] البقرة:286

[2] البقرة:185

[3] الحج:78

[4] مسند أحمد،باقي مسند المكثرين

إذ الأشهر القمرية إما أن تكون عدتها تسعة وعشرين يوماً أو ثلاثين يوماً، فإن رؤي الهلال مساء يوم التاسع والعشرين من شعبان دخل الناس في عبادة الصيام، وإن لم يُرَ الهلال أكملوا عدة شعبان ثلاثين يوماً ثم يبدأون الصيام.

ولا بد في هذا المقام من الإشارة إلى التقدم العلمي الدقيق في حسابات الفلك، وتحديد مواقيت تولد الأهلة بالساعة والدقيقة والثانية،وكذلك تحديد الزوايا في الأفق الغربي الذي يظهر فيه الهلال، ومدى قربه أو بعده من الشمس، وكذلك مدة ظهوره في السماء بعد المغيب، زد على ذلك التقدم التكنولوجي في تطوير المناظير والمقاربات التي يستعان بها في رؤية الهلال إذا أشارت الحسابات الفلكية إلى إمكانية رؤيته في الأفق.

فهل بعد هذا التقدم العلمي في علوم الفلك وحساباته والمراصد ووسائل الرؤية، يبقى عذر للمسلمين للخلاف حول الميقات الشرعي لبداية عبادة الصيام، التي تتم بإحدى أمارتين لا ثالث لهما، وهي الرؤية أو إكمال عدة شعبان ثلاثين.

فالقول بتوحيد الرؤية واختيار ما عليه جمهور الفقهاء بوجوب الصيام على المسلمين الذين تشترك أقطارهم في ليل واحد، هو الأقرب لموافقة الأدلة الشرعية، التي خاطبت مجموع الأمة بوجوب الصيام، إذا ثبتت رؤية الهلال أو إكمال العدة إذا لم تثبت الرؤية، وهذا يتفق مع أحكام الشرع وأوضاع الكون، كما يقود إلى مقاصد الشريعة التي دعت إلى وحدة المسلمين واجتماعهم في أداء عباداتهم وشعائرهم الدينية، خاصة في هذا الزمان الذي أصبح العالم فيه ـ بفضل تقدم وسائل الإعلام والاتصالات ـ قرية صغيرة تنتشر فيها الأخبار بسرعة هائلة .

إننا نسأل الله تعالى أن يكون شهر رمضان شهر خير وبركة وعز ونصر وجمع كلمة المسلمين على الحق والخير، كما هو شأن شهر رمضان على امتداد تاريخ المسلمين الزاهر،فهو شهر العزة والنصر والفتح والخير.

كما نسأله تعالى أن يمن على أبناء شعبنا الصابر المرابط بوحدة الكلمة وجمع الشمل، وأن يهديهم إلى ما فيه خير البلاد والعباد، ليحافظوا على مقدسات تتهددها الأخطار، وأرض ينهشها

الاستيطان، وحقوق شعب تتلاشى يوماً بعد يوم في المحافل الدولية وفي معرض المصالح الإقليمية، أما آن الأوان لوقفة مع الذات لمراجعة الحساب قبل فوات الأوان ولات ساعة مندم؟!.

اللهم أَهِلَّ علينا هلال رمضان بالخير والعفو والرضوان، واجعلنا ممن يستمعون القول، فيتبعون أحسنه، وممن يهتدون بهدي رسولك الأسوة، صلى الله عليه، وعلى آله الطاهرين، وصحابته الغر الميامين، ومن سار على نهجهم، إلى يوم الدين.

قال صلى الله عليه وسلم : " **صُومُوا لِرُؤْيَتِهِ، وَأَفْطِرُوا لِرُؤْيَتِهِ، فَإِنْ غُمِّيَ عَلَيْكُمُ الشَّهْرُ، فَعُدُّوا ثَلَاثِينَ** "

لقد احتفى رسول الله ﷺ بشهر رمضان ما لم يحتفِ بشهر غيره، فكان ﷺ إذا دخل شهر رجب دعا الله تعالى أن يبلغه شهر رمضان، فيقول : " **اللهم بارك لنا في رجب وشعبان، وبلغنا رمضان ، وكان يقول : ليلة الجمعة ليلة غراء ، ويوم الجمعة يوم أزهر** "[1].

وهذا من منطلق حبه ﷺ لشهر رمضان، ومن هديه ﷺ أن يستقبل كل شهر إذا رأى الهلال بالدعاء والتوجه إلى الله، روى طلحة بن عبيد الله عن أبيه عن جده، عن رسول الله ﷺ، أنه كان إذا رأى الهلال يقول:" **اللهم أهله علينا بالأمن، والإيمان، والإسلام ، ربي وربك الله**"[2].

ومن دعائه كذلك ﷺ إذا رأى الهلال، قال:" **هِلَالُ خَيْرٍ وَرُشْدٍ، آمَنْتُ بِالَّذِي خَلَقَكَ، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، ثُمَّ يَقُولُ: الْحَمْدُ لِلَّهِ، الَّذِي ذَهَبَ بِشَهْرِ كَذَا، وَجَاءَ بِشَهْرِ كَذَا** "[3] وعن أبي هريرة ﷺ قال: " **إِذَا جَاءَ رَمَضَانُ، فُتِّحَتْ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ، وَغُلِّقَتْ أَبْوَابُ النَّارِ، وَصُفِّدَتْ الشَّيَاطِينُ** "[4]

وفي الحديث الذي يرويه سلمان ﷺ قال:" **خطبنا رسول الله ﷺ في آخر يوم من شعبان، فقال : يا أيها الناس ! قد أظلكم شهر عظيم ، شهر مبارك ، شهر فيه ليلة خير من ألف شهر ، جعل الله صيامه فريضة ، وقيام ليله تطوعا ، من تقرب فيه بخصلة من الخير ؛ كان كمن أدى فريضة فيما سواه ، ومن أدى فريضة فيه ؛ كان كمن أدى سبعين فريضة فيما سواه ، وهو شهر الصبر، والصبر ثوابه الجنة، وشهر المواساة ، وشهر يزاد فيه رزق المؤمن ، من فطر فيه صائما؛ كان له مغفرة لذنوبه ، وعتق رقبته من النار ، وكان له مثل أجره من غير أن ينتقص من أجره شيء ، قلنا : يا رسول الله ! ليس كلنا نجد ما نفطر به الصائم ؟ ! فقال رسول الله ﷺ: يعطي الله هذا الثواب من فطر صائما على مذقة لبن ، أو تمرة ، أو شربة من ماء ، ومن أشبع صائما ؛**

---

[1] سنن البيهقي، في شعب الإيمان

[2] أخرجه الذهبي في ميزان الاعتدال

[3] سنن أبي داود،كتاب الأدب ، باب ما يقول الرجل إذا رأى الهلال

[4] صحيح مسلم ،كتاب الصيام ، باب فضل شهر رمضان

سقاه الله من حوضي شربة لا يظمأ حتى يدخل الجنة ؛ وهو شهر أوله رحمة ، وأوسطه مغفرة ، وآخره عتق من النار ، ومن خفف عن مملوكه فيه ؛ غفر الله له وأعتقه من النار "[1].

إن شهر رمضان هو شهر الخير والاقبال على الله تعالى، وهو شهر الجد والاجتهاد وإعلان التوبة لرب العباد، فالله ﷻ يقول: ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[2] .

فهذا الوافد الكريم الذي يحل على المسلمين بالخير في كل عام، فيبدؤون في أيامه بعبادة الصيام، ويحيون لياليه بالصلاة والذكر والدعاء طمعاً في ثواب الله تعالى الذي أعده للصائمين، فقد ورد عن رسول الله ﷺ أنه قال: " مَنْ صَامَ رَمَضَانَ، إِيمَانًا، وَاحْتِسَابًا، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ "[3].

فشهر الصيام هو موسم الهمم العالية والنفوس المؤمنة التي تشمر عن ساعد الجد والاجتهاد بمزيد من الطاعة وعمل الخير، وهي تستظل ببركات هذا الشهر مستعينة بعزيمة الإيمان لأداء هذه العبادة العظيمة عبادة الصيام.

لقد غدا شهر رمضان سجلاً حافلاً بأمجاد سلفنا الصالح وأمتنا الكريمة، فما أحرانا أن ننظر في صفحات هذا السجل لنقف على سر عظمة هذه الأمة وكرامة هذا الشهر ، لنأخذ العبرة والعظة للنهوض بالأمة وفق هذا الهدي وعلى غرار هذه السيرة الحميدة، التي أخرجت سلفنا من الظلمات إلى النور، ومن الهوان إلى القوة، ومن الفرقة إلى الوحدة، ومن الهزيمة إلى النصر، ومن مؤخرة ركب الأمم إلى ريادتها وقيادة العالم على أسس الإيمان والتقوى والرحمة العامة لجميع البشر، فالله يقول: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾[4].

إن هذا الشهر الفضيل يزهو على سائر الشهور بفضائله وخصائصه،فهو شهر الصبر والمصابرة، والجهاد والمجاهدة، يحرق الذنوب فلا يبقي لها أثراً، وفيه تكتحل أعين العابدين بالسهر لنيل ثواب الله، والفوز بجزيل ثواب صيامه وقيامه، فأبواب الرحمة فيه مفتوحة، وأبواب الشر مغلقة،

---

[1] أخرجه الألباني، مشكاة المصابيح

[2] النور:31

[3] صحيح البخاري، كتاب الإيمان ، باب صوم رمضان احتسابا من الإيمان

[4] الأنبياء:107

والشياطين مصفدة، فالسعيد من فاز بثوابه، والشقي من حرم فضله وثوابه، فانسلخ رمضان ولم يغفر له.

فلنقبل أيها المسلمون على هذا الموسم للطاعة نتزود من مدرسته الكبرى بالتقوى وشحن النفوس بالإيمان، وصقلها بالقرآن، فشهر رمضان محطة النفوس الكريمة ومرفأ الهمم العظيمة، وهو مكفر للذنوب ، فالرسول ﷺ يقول:" **الصَّلَوَاتُ الْخَمسُ، وَالْجُمُعَةُ إِلَى الْجُمُعَةِ، وَرَمَضَانُ إِلَى رَمَضَانَ، مُكَفِّرَاتٌ مَا بَيْنَهُنَّ، إِذَا اجْتَنَبَ الْكَبَائِرَ** "[1] .

ويكفي الصيام فخراً وقدراً أن الله اختاره لنفسه من بين عبادات العبد، وتكفل بالجزاء فقال ﷻ في الحديث القدسي:" **كل عمل ابن آدم له، إلا الصوم، فإنه لي، وأنا أجزي به** "[2].

اللهم اجعل هذا الشهر المبارك، شهر خير، وعز، ونصر للمسلمين، ووحد كلمتهم، وارفع رايتهم، واجمع شملهم، واقضِ على ما بينهم من الشحناء والبغضاء، وسفك الدماء، ومنّ على أهل هذه الديار؛ ديار الإسراء والمعراج، بالهدى والتقى، ووحد صفنا، واجمع كلمتنا على الخير، واقض على ما بيننا من الخلاف والفرقة، واجعلنا خير من يقتدي ويتأسى، برسولنا الأسوة محمد، صلى الله عليه، وعلى آله، وأصحابه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان، إلى يوم الدين.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " **مَنْ صَامَ رَمَضَانَ، إِيمَانًا، وَاحْتِسَابًا، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ** "

(1) صحيح مسلم، كتاب الطهارة ، باب الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة ورمضان إلى رمضان

(2) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى

يحدثنا أبو هريرة رضي الله عنه، فيقول : قال رسول الله ﷺ:" أُعطِيَتْ أُمَّتي خمس خِصالٍ في رمَضَانَ، لَم تُعْطَها أُمّةٌ قَبْلَهُمْ؛ خُلوفُ فَمِ الصَّائِم، أَطْيَبُ عِنْدَ اللهِ من ريحِ المِسْك، وَتَسْتَغْفِرُ لهُمُ المَلاَئِكَةُ حتَّى يُفْطِروا، وَيُزَيِّنُ اللَّهُ عزَّ وجلَّ كُلَّ يومٍ جَنَّتَهُ، ثُمَّ يَقُولُ: يُوشِكُ عِبادي الصَّالِحُونَ، أَنْ يُلْقُوا عَنْهُمُ المَؤُونَةَ، والأَذَى، وَيَصيرُوا إِلَيْكِ، وَيُصَفَّدُ فيه مَرَدَةُ الشَّيَاطِينِ، فَلا يَخْلُصُوا إلى ما كَانُوا يَخْلُصُونَ إِلَيْهِ في غَيْرِه، وَيُغْفَرُ لَهُمْ في آخِرِ لَيْلَةٍ، قِيلَ: يا رَسُولَ اللَّهِ، أَهِيَ لَيْلَةُ القَدْرِ؟ قَالَ: لا، وَلَكِنَّ العَامِلَ إِنَّمَا يُوَفَّى أَجْرَهُ، إِذَا قَضَى عَمَلَهُ "[1] .

إنه هدي كريم يبين ما لهذه الأمة الكريمة؛ أمة الإسلام، خاتمة الأمم، وحاملة الرسالة للعالمين جميعاً، من كرامة وتكريم عند الله تعالى، في شهر رمضان المبارك ، شهر الخير والبر ، شهر الصيام ، وشهر القرآن ، شهر الصبر والجود والإحسان ، شهر التراويح والتسابيح والذكر والأذكار وتلاوة القرآن، شهر يُزاد فيه ثواب العاملين، ويكافئ الله فيه الصائمين .

شهر يفيض الله فيه من بركاته وغفرانه ورحماته على الأمة، ما لا يحصيه عدد، أو يحيط به أحد، إنه الفضل الإلهي ﴿ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴾[2] .

ومن خصال تكريم الله تعالى للصائمين من هذه الأمة أن خلوف أفواههم أطيب عند الله من ريح المسك، ومعلوم أن رائحة فم الصائم تتغير جراء أبخرة المعدة لقلة الطعام، فيشعر الصائم بالضيق من هذه الرائحة .

ولكن هذه الرائحة عند الله الذي صامت له الجوارح إيماناً واحتساباً ، والتزمت أوامره أطيب من رائحة المسك، ومعلوم كذلك أن المسك من أطيب ما يتعطر به الإنسان، فهو من أنفس العطور رائحة وثمناً .

فما دام العبد في طاعة الله فإن كل ما يصدر عنه محبوب إلى الله ومقرب منه، فلا يبالي الصائم برائحة فمه ما دامت تقع موقع المسك عند الله تعالى، وحسب الصائم تكريماً أن الملائكة، وهم عباد الله المكرمين، الذين جبلوا على الطاعة، يستغفرون للصائم حتى يفطر، قال تعالى بحق الملائكة : ﴿ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ

[1] مسند أحمد ، باقي مسند المكثرين، مسند أبي هريرة رضي الله عنه

[2] النساء:113

﴿وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾[1] وقال تعالى: ﴿لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ﴾[2] إنها لفضيلة عظيمة ينالها الصائمون ، وهي من تكريم الله لهذه الأمة في هذا الشهر الفضيل .

والكرامة الثالثة لهذه الأمة في شهر الصيام أن الله عز وجل يأمر جنته كل يوم بالتزين لاستقبال الصائمين تكريماً لهم على صيامهم لله تعالى .

فقد حرموا أنفسهم الطعام والشراب، وسائر اللذات، ومنعوا جوارحهم عن المعاصي والآفات ، احتساباً للثواب عند الله ، تلبية لأمره، وقياماً بفرضه، فكان جزاؤهم الجنة، فقد أوشكوا أن يستريحوا من تعب الدنيا وأذاها إلى دار رضوان الله تعالى التي شمروا عن ساعد الجد بالأعمال الصالحة لبلوغها والفوز بها .

إنها الجنة أعدت للمتقين ﴿وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ * هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ * مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ وَجَاء بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ * ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ﴾[3] .

فالحمد لله الذي فرض علينا الصيام، ووعدنا جنته دار الرضوان، بفضله وكرمه وبره وإحسانه، على قليل أعمالنا، وكثير ذنوبنا، إنه هو البر الرحيم .

والكرامة الرابعة لهذه الأمة؛ أن الله تعالى يصفد الشياطين في هذا الشهر فيحول بينهم وبين عباده الصائمين ، وقد ورد في الحديث الشريف:" **إِذَا جَاءَ رَمَضَانُ، فُتِّحَتْ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ، وَغُلِّقَتْ أَبْوَابُ النَّارِ، وَصُفِّدَتْ الشَّيَاطِينُ** "[4] .

وهذا تكريم للأمة كذلك ، بأن يبعد عنهم وسوسة الشياطين وإفسادهم خلال شهر رمضان، عوناً لعباده الصائمين على أداء هذه العبادة الكريمة، التي اختصها من بين أعمال العبد لنفسه، فجاء في الحديث القدسي، قال رسول الله ﷺ:" **يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: كُلُّ عمل ابْنِ آدَمَ لَهُ، فَالْحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا، إِلَى سَبْعِ مِائَةِ ضِعْفٍ، إِلَّا الصِّيَامَ، هُوَ لِي، وَأَنَا أَجْزِي بِهِ، إِنَّهُ يَتْرُكُ الطَّعَامَ، وَشَهْوَتَهُ مِنْ أَجْلِي، وَيَتْرُكُ الشَّرَابَ، وَشَهْوَتَهُ مِنْ أَجْلِي، فَهُوَ لِي، وَأَنَا أَجْزِي بِهِ** "[5].

---

(1) التحريم:6

(2) الأنبياء:27

(3) ق:31-34

(4) صحيح مسلم ،كتاب الصيام ، باب فضل شهر رمضان

(5) سنن الدارمي، كتاب الصوم، باب فضل الصيام

وأما الخصلة الخامسة من تكريم هذه الأمة في شهر رمضان الفضيل، أن الله تعالى يمن عليها بالمغفرة في نهاية شهر رمضان، في آخر ليلة منه ، فتبادر إلى ذهن الصحابة رضوان الله عليهم أن المغفرة لهذه الأمة تكون في ليلة القدر، هذه الليلة المباركة التي أخبرنا الله عن فضلها، في سورة القدر بقوله : ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ * لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ * تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ * سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ﴾[1] .

ومعلوم أن لله تعالى عتقاء من النار، في كل ليلة من ليالي رمضان، ومنها ليلة القدر، التي يضاعف الله ثواب العاملين والقائمين فيها .

ومن فضل الله تعالى علينا أمة الإسلام أن الله جل وعلا، يغفر لنا في آخر ليلة من شهر رمضان، حيث يوفى العامل أجره، إذا قضى عمله، فلنقبل جميعاً إخوة الإيمان على مائدة الرحمن، في شهر الصيام، كي نفوز بتكريم الله لنا، بهذه الخصال التي اختص بها أمتنا، وأعطاها إياها تكريماً منه وفضلا .

فنفوز بغفران الذنوب، وستر العيوب، والفوز بالجنة التي أعدها الله لعباده المتقين، وأمرها بالتزين للصائمين، والله نسأل أن نكون من عباده الصالحين، الذين تشملهم رحمة الله، ومغفرته، للفوز في الدنيا، والآخرة، برضوان الله تعالى، وذلك هو الفوز العظيم .

وصلى الله وسلم وبارك، على رسولنا الأسوة، خير من صلى، وصام، وقام، ورضي الله عن آله، وصحابته الكرام، ومن تبعهم بإحسان، إلى يوم الدين.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (إِذَا جَاءَ رَمَضَانُ، فُتِّحَتْ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ، وَغُلِّقَتْ أَبْوَابُ النَّارِ، وَصُفِّدَتْ الشَّيَاطِينُ)

[1] القدر: 1-5

كان جواداً وأجود ما يكون في رمضان

نتعرف على جوده ﷺ في شهر رمضان، من خلال ما رواه عبد الله بن جابر - رضي الله عنهما- " كَانَ النَّبِيُّ ﷺ أجْوَدَ النَّاسِ بِالْخَيْرِ، وَكَانَ أجْوَدُ مَا يَكُونُ فِي رَمَضَانَ، حِينَ يَلْقَاهُ جِبْرِيلُ، وَكَانَ جِبْرِيلُ عليه السلام يَلْقَاهُ كُلَّ لَيْلَةٍ فِي رَمَضَانَ، حَتَّى يَنْسَلِخَ، يَعْرِضُ عَلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ الْقُرْآنَ، فَإِذَا لَقِيَهُ جِبْرِيلُ عليه السلام، كَانَ أجْوَدَ بِالْخَيْرِ مِنَ الرِّيحِ الْمُرْسَلَةِ "[1] .

إنه هدي كريم، في شهر مبارك كريم، من رسول كريم، عليه أفضل الصلاة، وأتم التسليم، فمن صفات رسول الله ﷺ الجود والكرم، وكل صفات رسول الله ﷺ حميدة أصيلة، وتظهر بأسمى معانيها في شخصه ﷺ، الذي حاز الكمال البشري، والخلق السوي، فسبحان من خصه بهذه المزايا والمكارم، حتى كان كما وصفه مولاه ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[2] .

فلا غرابة أن يكون ﷺ أجود الناس، ويزداد هذا الجود والعطاء في شهر رمضان، شهر الخير والبر والإحسان، شهر الصيام والقرآن والعبادة والذكر، ورسول الله ﷺ كان دائماً يحوز قصب السبق في كل خير، وفي المقدمة في كل مكرمة، وكالبحر إذا فاض أسقى كل ظمي، ينفق ﷺ، ولا يخشى من ذي العرش إقلالاً، ويعطي، ولا يمن في العطاء.

فهو أجود الناس، وأجود ما يكون في رمضان، فإحسانه لا يحيط به الوصف، وصدقاته لا يحصرها العادون، إنه الرسول الكريم الذي ملأ اليقين قلبه، بأن خزائن فضل الله لا تنفذ، فكان يعطي، ولا يخشى فاقة أو فقراً، ويحث أزواجه وآل بيته وصحابته الكرام على البذل والعطاء، وقد ربى فيهم خصال الخير والبر والمعروف، فكانوا خير من تخرج من مدرسة الرسالة المحمدية، فاستحقوا صحبته وجواره ، ونالوا وسام السبق بجدارة، أولئك الذين شرح الله صدورهم للإيمان ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾[3].

---

(1) صحيح البخاري، كتاب الصوم، باب أجود ما كان النبي ﷺ يكون في رمضان

(2) القلم:4

(3) الأنعام:90

ومن خصائص هذا الشهر الفضيل في حياة الرسول الكريم ﷺ ، أنه كان شهر مدارسة القرآن العزيز مع جبريل أمين الوحي عليه السلام.

فأعظم بكتاب هو كلام الله تعالى، وأكرم برسول، يتلقاه وحياً من أمين السماء جبريل عليه السلام، وأنعم بشهر، هو موسم مدارسة هذا الكتاب العزيز، من قبل النبي ﷺ ، وجبريل أمين الوحي عليه السلام.

وفي هذا الكتاب الكريم ما يصلح عليه أمر الدنيا والآخرة، ويقود إلى سبيل النجاة والفوز والفلاح ﴿لَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾[1] ، إنه فضل الله ورحمته ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾[2] .

إنه الكتاب الذي انتظمت آياته أحكام الحياة والأحياء، والسعادة والشقاء، وقص علينا أخبار الأمم السابقة، والممالك الغابرة، عبرة لمن يعتبر، وزجراً لمن عن الشر ينزجر، وهدى وبصيرة لمن يعتبر ﴿فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ﴾[3].

ومادام شهر رمضان شهر مدارسة القرآن بين جبريل والنبي عليهما الصلاة والسلام، فجدير بنا يا أحباب النبيﷺ وأتباعه، أن نجعل من شهرنا هذا شهراً لتلاوة القرآن، وتدبر أحكامه، والوقوف على مقاصده وأسراره، لنجعله دستور حياتنا، وحاكم أعمالنا، وشاهداً على تصرفاتنا، لأنه القرآن الكريم، وحبل الله المتين، وعروته الوثقى التي لا انفصام لها، من أخذ به فاز وغنم، ومن أعرض عنه خاب وخسر، وما تركه من جبار إلا قصمه الله.

فلنجعل من شهر رمضان شهر مدارسة القرآن، الذي يذكر بكل فضيلة، وينهى عن كل رذيلة، ويعين على الجود، فقد كان رسولنا الأكرم ﷺ حين يلقاه جبريل ويدارسه القرآن أجود من الريح المرسلة، وما أعظم خير الريح المرسلة حين تنهل على الأرض المقفرة، فتحولها إلى حدائق مزهرة، وإلى جنات مثمرة ﴿تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا﴾[4] .

---

(1) الأنبياء:10

(2) يونس:58

(3) الحشر:2

(4) إبراهيم:25

إنه شهر رمضان الذي جعل الله صيامه فريضة، وسن رسوله الأكرم ﷺ قيام ليله تطوعاً، الشهر الذي أشغله النبي الأسوة ﷺ بأعمال الخير، من صدقة وإحسان، وتلاوة للقرآن ومدارسته له، والصلاة والذكر والدعاء.

إنه شهر اعتكاف النبي ﷺ، فقد ورد أن النبي ﷺ كان إذا كانت العشر الأواخر شد المئزر، وأحيا ليله، وأيقظ أهله، واعتكف في مسجده.

ووصل أمر حرصه ﷺ على إشغال أوقات هذا الشهر أن يواصل الصيام، ليتفرغ للعبادة في نهاره ولياليه.

فهلا اقتدينا إخوة الإيمان برسولنا الأسوة ﷺ، فأقبلنا على شهرنا هذا ، شهر رمضان، وقد دخل في ثلثه الأوسط؛ ثلث المغفرة، بأعمال الطاعات من ذكر وتلاوة للقرآن، وإحياء لياليه بصلاة التراويح والإحسان لعباد الله المحتاجين، مع الحرص على تجنيب صيامنا آفات اليد واللسان من الإيذاء، والغيبة والنميمة، وشهادة الزور وقوله، فقد ورد عن نبينا ﷺ " **مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ وَالْعَمَلَ بِهِ، وَالْجَهلَ، فَلَيْسَ لِلَّهِ حَاجَةٌ، أَنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ** "[1] .

فهنيئاً لمن صام رمضان إيماناً واحتساباً، وقرأ القرآن فهماً وتدبراً، وعمل بأحكامه، وجاد في رمضان تأسياً بقدوتنا وأسوتنا أجود الناس، وكان أجود ما يكون في رمضان.

وصلى الله وسلم وبارك، على حبيبنا محمد، وعلى آله، وأحبابه، وأصحابه، وتابعيهم بإحسان، إلى يوم الدين.

> (**كَانَ النَّبِيُّ ﷺ أَجْوَدَ النَّاسِ بِالْخَيْرِ، وَكَانَ أَجْوَدُ مَا يَكُونُ فِي رَمَضَانَ، حِينَ يَلْقَاهُ جِبْرِيلُ، وَكَانَ جِبْرِيلُ عليه السلام يَلْقَاهُ كُلَّ لَيْلَةٍ فِي رَمَضَانَ، حَتَّى يَنْسَلِخَ، يَعْرِضُ عَلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ الْقُرْآنَ، فَإِذَا لَقِيَهُ جِبْرِيلُ عليه السلام، كَانَ أَجْوَدَ بِالْخَيْرِ مِنَ الرِّيحِ الْمُرْسَلَةِ**)

[1] صحيح البخاري،كتاب الأدب،باب قول الله تعالى واجتنبوا قول الزور

تذكر كتب السيرة النبوية الشريفة، أنه بعد صلح الحديبية دخلت قبيلة خزاعة في عهد الرسول ﷺ، بينما دخلت قبيلة بكر في عهد قريش، وكان بين القبيلتين بكر وخزاعة عداوات في الجاهلية.

فاستغلت بكر تحالفها مع قريش التي أمدتها بالرجال والسلاح خلسة، فهاجمت قبيلة خزاعة وأصابت منها الكثير، فلجأت خزاعة إلى النبي ﷺ تخبره بما جرى من بكر وقريش، وتطلب نصرته، وكان على رأس رسل خزاعة؛ عمرو بن سالم الخزاعي الكعبي، الذي أنشد الرسول ﷺ ما جرى قائلاً:

إن قريشا أخلفوك الموعدا ... ونقضوا ميثاقك المؤكدا
وزعموا أن لست أدعو أحدا ... وهم أذل وأقل عددا
هم بيتونا بالوتير هجدا ... وقتلونا ركعا وسجدا
فانصر هداك الله نصراً اعتدا ... وادعوا عباد الله يأتوا مددا

فأجابه النبي ﷺ "**نصرت يا عمرو بن سالم** "[1].

وأخذ النبي ﷺ يعد العدة لفتح مكة، ونصرة حلفائه قبيلة خزاعة، إلا أنه ﷺ لم يعلم أصحابه بوجهته، وطلب من عائشة – رضي الله عنها ـ أن تجهزه، ولا تخبر أحداً، وراح الصحابة - رضوان الله عليهم - يتجهزون، وهم لا يعلمون وجهة النبي ﷺ ، وقد أراد النبي ﷺ تعمية الأخبار عن قريش، حتى لا يتجهزوا، لحرصه ﷺ على دخول مكة سلماً، لأنها بلد البيت الحرام، ولا يريد النبي ﷺ أن تنتهك الحرمات، أو يحصل سفك الدماء.

[1] زاد المعاد، الجزء الثالث، خروج عمرو الخزاعي لطلب النصرة منه ﷺ

وكان ﷺ في هذه الأثناء، يوجه بعض السرايا إلى طرق أخرى، لا تقود إلى مكة لتمويه وجهته الحقيقية نحو فتح مكة.

كما أرسل ﷺ رسله إلى أهل البوادي، مثل قبائل أسلم، وغفار، ومزينة، وجهينة، وأشجع، وبني سليم، وبني كعب، يطلب منهم أن يحضروا رمضان في المدينة، وفي أثناء تجهيز رسول الله ﷺ أصحابه للتوجه إلى مكة، يكتب الصحابي حاطب بن أبي بلتعة إلى قريش رسالة، يخبرهم فيها بعزم الرسول ﷺ، على غزوهم، وأعطى رسالته إلى امرأة من مزينة، التي جعلتها في ضفائرها، مقابل أجر دفعه حاطب للمرأة.

ولكن عناية الله التي تحف رسوله ﷺ، تأتي مع الوحي، الذي أخبر النبي ﷺ بأمر المرأة .

فأرسل الرسول ﷺ علياً والزبير، فأدركا المرأة، وهدداها بالتفتيش الدقيق لبدنها، إن لم تخرج الرسالة، فأخرجت الرسالة من ضفائرها، وسلمتها علياً والزبير، اللذين أحضراها للنبي ﷺ.

واستجوب النبي ﷺ حاطباً، الذي أكد بدوره قوة إيمانه بالله، واتباعه لرسوله، إلا أن النفس الإنسانية تضعف أحياناً، وأراد أن تكون له يد عند قريش، لحماية أهله، وولده، الذين يعيشون بين أظهرهم.

إن هذه الفعلة التي يراها الإنسان العادي خيانة عظمى بحق الأمة والقيادة، يراها النبي الرسول ﷺ على حقيقتها في ساعة ضعف النفس الإنسانية، مع الإيمان واليقين، الذي يعمر هذه النفس، خاصة من صحابي شهد بدراً.

ولذلك لما ثار عمر بن الخطاب رضي الله عنه وطلب من النبي ﷺ أن يضرب عنق حاطب لأنه نافق حسب فهم عمر لخطورة فعلته، يقول الرسول ﷺ وقوله الفصل:" **وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ اللَّهَ قَدْ اطَّلَعَ إِلَى أَهْلِ بَدْرٍ فَقَالَ: اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ** "[1] . إنه صحابي شهد بدراً، وهي أول واقعة بين المسلمين والمشركين، وكان لأهل بدر سابقة الجهاد بعد الإسلام، والهجرة، ولهم عند الله وعند رسوله حظوة كبيرة.

---

[1] مسند أحمد،مسند المكثرين من الصحابة،باقي المسند السابق

ولذلك كان هذا التصرف من بدري وفق رغائب النفس وضعفها، أمام حاجاتها، لا لضعف في إيمانه، أو شك في عقيدته.

مع أن هذه القضية تفيد دروساً وعبراً كثيرة منها: أهمية كتمان السر، وعدم إفشائه للأعداء، والتزام الجندي أو الفرد المسلم بتنفيذ أوامر الإيمان، وتقديمها على رغباته ونزعاته.

كما أن هذه القصة تشير إلى منزلة أهل بدر عند الله تعالى، وما أعده لهم من الثواب العظيم.

وبعد كل هذا الإعداد والتجهيز لجيش الفتح الأكبر، تدخل جيوش الإسلام مكة، وهي تحمل رايات العزة، وألوية النصر، إلى مكة، بعد أن قسم رسول الله ﷺ الجيش، وجعل على رأس كل قسم منه أميراً من كبار الصحابة، رضوان الله عليهم، بعد أن أمرهم بعدم التعرض للناس، أو سفك الدماء في مكة، وأرسل من ينادي في مكة :" **مَنْ دَخَلَ دَارَ أَبِي سُفْيَانَ، فَهُوَ آمِنٌ، وَمَنْ أَغْلَقَ عَلَيْهِ دَارَهُ، فَهُوَ آمِنٌ، وَمَنْ دَخَلَ الْمَسْجِدَ، فَهُوَ آمِنٌ** "[1] .

ففزع الناس في مكة، وفاجأهم دخول الجيش، فلا مجال أمامهم إلا الاستسلام ، وهذا ما كان يسعى إليه النبي ﷺ، كي لا تنتهك حرمات البلد الحرام.

ويصلي ﷺ داخل الكعبة المشرفة، ويؤذن بلال ؓ من فوق الكعبة، إيذاناً بدخول مكة في حوزة الإسلام والمسلمين.

وتحطم الأصنام، وتخر على وجوهها، والرسول ﷺ يشير إليها بالقضيب الذي في يده، وهو يقرأ قوله تعالى: ﴿ وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾[2] ويعيد الرسول ﷺ مفاتيح الكعبة لعثمان بن طلحة قائلاً " **خذوها خالدة تالدة، لا ينزعها منكم إلا ظالم** "[3].

وحجابة البيت في أيدي نسله إلى اليوم، وإلى قيام الساعة، وقد نزل في حقه : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا ﴾[4].

---

[1] سنن أبي داود، كتاب الخراج والإمارة والفيء، باب ما جاء في خبر مكة

[2] الإسراء:81

[3] زاد المعاد، الجزء الثالث، إبقاء مفتاح الكعبة في آل عثمان بن طلحة

[4] النساء:58

وأما موقف الرسول ﷺ ممن آذوه وأخرجوه ورموه بصفات الجنون والسحر والشعر، فماذا قال لهم؟! قال كلمته المشهورة: " **معشر قريش ، ما ترون أني فاعل بكم ؟ قالوا : خيرا ، أخ كريم وابن أخ كريم ! ! قال : فإني أقول لكم ما قال يوسف لإخوته . : لا تثريب عليكم اليوم ، اذهبوا فأنتم الطلقاء** " [1].

فما أحوج المسلمين اليوم إلى دروس الفتح الأكبر، الذي تم في العشرين من رمضان المبارك، في العام الثامن للهجرة النبوية الشريفة، في إعدادهم، ووحدتهم، ومخططاتهم.

إنه الفتح الأعظم الذي يرسم طريق عودة المهاجرين إلى وطنهم، على أسس العقيدة والإيمان، والتضحية والإعداد، في ظل راية لا إله إلا الله محمد رسول الله.

وصلى الله وسلم وبارك على رسولنا الأسوة، يوم مولده، ويوم بعثته، ويوم هجرته، ويوم عاد فاتحاً لمكة، ويوم يقوم الناس لرب العالمين، صلاة وسلاما دائمين متلازمين إلى يوم الدين، ورضي الله عن آله الطاهرين، وصحابته الغر الميامين، ومن تبعهم بإحسان، إلى يوم الدين.

قال تعالى ﴿ وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾

---

(1) أخرجه الألباني في فقه السيرة

أخرج الشيخان عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال : " تَحَرَّوْا لَيْلَةَ الْقَدْرِ فِي الْوِتْرِ مِنْ الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ مِنْ رَمَضَانَ " [1]، هذا هدي شريف، وتوجيه كريم من النبي ﷺ ، للأمة الإسلامية في تحري ليلة القدر، هذه الليلة المباركة التي ابتدأ نزول القرآن الكريم فيها، وهي ليلة ذات قدر عظيم، وشرف كبير عند الله تعالى، ففي قدرها قال جل شأنه : ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ * لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ * تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ * سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ ﴾[2] وقال تعالى بحقها ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ * فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴾[3] .

والعبادة فيها خير من ألف شهر، أو خير من العبادة في ألف شهر، لا توجد فيها ليلة القدر.

وهذه الليلة العظيمة ذات القدر والشرف الكبير من خصائص هذه الأمة، فقد ورد في الآثار كأن النبي ﷺ تقاصر أعمار أمته، إذ غالبية أعمار هذه الأمة ما بين الستين والسبعين، كما ورد عن رسول الله ﷺ:" أَعْمَارُ أُمَّتِي مَا بَيْنَ السِّتِّينَ إِلَى السَّبْعِينَ، وَأَقَلُّهُمْ مَنْ يَجُوزُ ذَلِكَ "[4]، بينما كانت أعمار الأمم السابقة طويلة وممتدة إلى مئات السنين. ومن طال عمره كثر عمله، ومن قل عمره قل عمله.

فقد خص الله هذه الأمة الكريمة، التي هي خير أمة أخرجت للناس، بأن جعل في مراحل عمرها القصير، أياما وليالي ضاعف الله فيها ثواب الأعمال، بما يعوض عن قصر العمر، ومن هذه الليالي؛ ليلة القدر، التي يوازي عمل العاملين فيها ألف شهر، وهي ثلاث وثمانون سنة وأربعة أشهر، فإذا ما

---

[1] صحيح البخاري،كتاب صحيح البخاري، باب تحري ليلة القدر في الوتر من العشر الأواخر
[2] القدر:1-5
[3] الدخان:3-4
[4] سنن ابن ماجه،كتاب الزهد، باب الأمل والأجل

أضيف هذا الثواب، للعاملين في ليلة القدر إلى أعمارهم، كان عملهم كثيرا، رغم قصر العمر، وفي هذه الليلة المباركة، تنزل الملائكة بقيادة جبريل عليه السلام، يطوفون على الناس، ويطرحون عليهم السلام، ويعودون بأخبار العباد إلى رب العباد، ويخبرونه وهو العليم بعباده، بما يفعل العباد من طاعات، وهم يدعون الله تعالى متذللين، خاضعين، راجين رحمته، ودفع عذابه ﴿تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ﴾[1]، حيث ورد أن الله تعالى يقضي في هذه الليلة ما هو كائن لنهاية العام ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾[2].

كما أنها سلام وأمان، حتى مطلع الفجر ﴿سَلَامٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ﴾[3] فهي ليلة خالية من الشر والأذى، ففيها تكثر أعمال الخير والطاعة والبر، وتكثر فيها السلامة من العذاب، حيث لا يخلص الشيطان فيها إلى ما كان يخلص إليه في غيرها، فهي سلام كلها، كما أخبر الله تعالى ﴿سَلَامٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ﴾[4] .

وقد ورد في فضل إحياء ليلة القدر، لمن قامها إيمانا واحتسابا، قوله ﷺ: "**مَنْ قَامَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ، وَمَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ**" [5] .

وما دمنا في العشر الأواخر من رمضان، وفي هذا اليوم الفضيل من أيام هذا الشهر، وهو يوم الجمعة الذي هو سيد الأيام، وفيه ساعة ما وافقها عبد مؤمن يدعو الله تعالى بحاجته، الا استجاب الله له، وهو اليوم السادس والعشرون من شهر رمضان المبارك، وليلته من الليالي الوتر، التي حثنا رسول الله ﷺ أن نتحرى ليلة القدر فيها، فعلينا معاشر المسلمين أن ندعو الله تعالى، أن يبلغنا هذه الليلة، عسى أن تكون هي ليلة القدر المباركة، فنوافقها ونحن في عبادة وطاعة، لنفوز بثواب

---

[1] القدر:4

[2] الدخان:4

[3] القدر: 5

[4] القدر:5

[5] صحيح البخاري، كتاب الصوم ، باب من صام رمضان إيمانا واحتسابا ونية

إحيائها، عسى أن تشملنا رحمة من الله تعالى، أو نفحة من نفحات خيره، وكرمه، فنكون من الفائزين بثوابه، وجزيل عطائه، ونحن نلتمس ليلة القدر في هذه الليلة المباركة، من ليالي رمضان.

ولعل الحكمة في إخفاء هذه الليلة، ليحصل الاجتهاد في التماسها، وليكون المؤمن على أهبة الاستعداد، والطاعة والعبادة، إذ لو عينت هذه الليلة، لاقتصر الناس على إحيائها، وغفلوا عن غيرها، من قيام ليالي رمضان، فإن النفس عادة تميل إلى الراحة، ولا تريد أن يتعبها صاحبها، في الطاعة .

وما دامت ليلة القدر تحظى بهذا الشرف الكبير، من الثواب والخير، فقد حرصت أم المؤمنين عائشة ـ رضي الله عنها ـ أن تسأل رسول الله ﷺ عن الدعاء، في هذه الليلة المباركة " **قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَرَأَيْتَ لَوْ أَنِّي عَلِمْتُ لَيْلَةَ الْقَدْرِ مَا كُنْتُ أَدْعُو بِهِ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ؟ أَوْ مَا كُنْتُ أَسْأَلُهُ؟ قَالَ: قُولِي: اللَّهُمَّ إِنَّكَ عَفُوٌّ تُحِبُّ الْعَفْوَ، فَاعْفُ عَنِّي** " [1] .

ما أعظم هذا الدعاء وأشمله، يرشدنا إليه رسول الله ﷺ، وهو يوجهنا إلى طلب العفو من الله تعالى، لأنه وحده الذي يغفر الذنوب، ويعفو عن السيئات ﴿ . . وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ . . ﴾ [2] ﴿ وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ . . . ﴾ [3] ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ . . . ﴾ [4] ﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ [5] .

إنه دعاء يطلب فيه المؤمن غاية السعادة في الآخرة، فمن عفا الله عنه، ضمن الفوز في الآخرة، ونجا من عذاب النار، وأدخل الجنة دار السعادة بأمان، فهيا يا عباد الله نهيئ أنفسنا، ونوجهها بعزم على إحياء هذه الليلة المباركة، ونتحراها في الوتر، مما تبقى من ليالي شهر رمضان الفضيل، عسى أن نوافقها، ونحن قائمين، أو راكعين، أو ساجدين بين يدي الله تعالى، أو رافعين أكف الضراعة إلى

---

[1] مسند أحمد، باقي مسند الأنصار، باقي المسند السابق

[2] آل عمران:135

[3] الشورى :25

[4] التحريم :8

[5] الزمر:53

الله، ندعوه بدعاء ليلة القدر " **اللَّهُمَّ إِنَّكَ عَفُوٌّ، تُحِبُّ العَفْوَ، فَاعفُ عَنِّي** " اللهم إنك عفو، تحب العفو، فاعف عنا، يا كريم، يا عظيم، يا ذا الفضل والاحسان، يا ذا الجلال والإكرام .

نسألك من خير ما سألك به سيدنا وأسوتنا وحبيبنا ﷺ، في ليلة القدر، وفي سواها من الليالي والأيام، اللهم بلغنا رمضان سنين عديدة، وأعواما مديدة، وصلى الله وسلم وبارك، على رسولنا الأسوة، وعلى آله الطاهرين، وصحابته الغُرّ الميامين، ومن تبعهم بإحسان، إلى يوم الدين.

قال صلى الله عليه وسلم " **مَنْ قَامَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ، وَمَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ** "

يصوم ستاً من شوال

نتعرف على صيام التطوع والنافلة من هدي الرسول ﷺ، فقد روى أبو أيوب رضي الله عنه " أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: مَنْ صَامَ رَمَضَانَ، ثُمَّ أَتْبَعَهُ سِتًّا مِنْ شَوَّالٍ، كَانَ كَصِيَامِ الدَّهْرِ "[1] .

فهذه الأيام الستة من الصيام المسنون الذي شرعه رسول الله ﷺ لأمته، كصيام يومي الاثنين والخميس من كل أسبوع، أو كصيام ثلاثة أيام من كل شهر أو صيام الأيام البيض من كل شهر، وكالصيام في شهر المحرم، وشهر شعبان، أو الأيام التسعة من شهر ذي الحجة، ويوم عرفة لغير الحاج. وقد حث على صيام هذه الأيام، لما لها من جزيل الثواب عند الله تعالى، يكفي في ذلك قول الرسول ﷺ" مَنْ صَامَ يَوْمًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ، بَاعَدَ اللَّهُ وَجْهَهُ مِنْ جَهَنَّمَ، مَسِيرَةَ سَبْعِينَ عَامًا "[2] .

والمقصود بهذا الصيام هو صيام التطوع أو النافلة، ويتحقق ذلك بصيام أي نوع من الصيامات المذكورة، ومنها صيام ست من شوال موضوع هذه الحلقة.

وقد ذهب جمهور الفقهاء رضوان الله عليهم أن صيام ستة أيام من شوال بعد صوم رمضان سنّة، وقالوا باستحباب صيام هذه الأيام عند أهل العلم، لما ورد في الحديث الشريف الذي بين فضل هذه الأيام، فقد فسر رسول الله ﷺ معنى صيام الدهر الوارد في الحديث بقوله " مَنْ صَامَ سِتَّةَ أَيَّامٍ بَعْدَ الْفِطْرِ كَانَ تَمَامَ السَّنَةِ " مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا "[3] وفي رواية " مَنْ صَامَ رَمَضَانَ؛ فَشَهْرٌ بِعَشَرَةِ أَشْهُرٍ، وَصِيَامُ سِتَّةِ أَيَّامٍ بَعْدَ الْفِطْرِ، فَذَلِكَ تَمَامُ صِيَامِ السَّنَةِ " [4]. وهذا على مبدأ الحسنة بعشر أمثالها، والله تعالى يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم.

ولعل من حكم وثمرات صيام هذه الأيام الستة من شوال، أن صيامها بعد شهر رمضان يستكمل أجر صيام الدهر الذي أشار إليه الحديث الشريف.

---

[1] صحيح مسلم، كتاب الصيام ، باب استحباب صوم ستة أيام من شوال إتباعا لرمضان

[2] مسند أحمد، باقي مسند المكثرين، مسند أبي سعيد الخدري رضي الله عنه

[3] سنن ابن ماجه، كتاب الصيام، باب صيام ستة أيام من شوال

[4] مسند أحمد،باقي مسند الأنصار،ومن حديث ثوبان رضي الله عنه

كما أن صيام النافلة هذه مثله كمثل نوافل الصلاة يجبر ويكمل ما حصل من نقص في الفريضة، فصيام الأيام الستة يجبر ما يحصل من نقص في صيام الفريضة، وهو صيام شهر رمضان.

كما أن معاودة الصيام بعد أداء الفريضة، هو شكر لله تعالى على التوفيق لأداء الفريضة، والله تعالى يقول: ﴿ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾[1]، وكما قيل : بالشكر تدوم النعم.

وأي منا يقوم بواجب الشكر، كما فعل النبي ﷺ الذي قام حتى تورمت قدماه " **فَقَالَتْ عَائِشَةُ: لِمَ تَصْنَعُ هَذَا يا رَسُولَ اللَّهِ، وَقَدْ غَفَرَ اللهُ لَكَ، ما تَقَدَّمَ من ذَنْبِكَ، ومَا تَأَخَّرَ، قَالَ: أَفَلَا أُحِبُّ أن أَكُونَ عَبْدًا شَكُورًا، فَلَمَّا كَثُرَ لَحْمُهُ، صَلَّى جَالِسًا، فَإِذَا أَرَادَ أن يَرْكَعَ، قَامَ، فَقَرَأَ، ثُمَّ رَكَعَ** "[2] .

وهل منا من يدرك حقيقة الشكر إلا باعترافه بالعجز عن الشكر؟!.

وأما متى يؤدي المسلم صيام هذه الأيام الستة؟!

فهناك عدة آراء، منها :

1ـ يستحب أن يبدأ بها بعد العيد مباشرة، لأن في هذا مسارعة إلى الخير الذي دعانا الله إليه، بقوله تعالى: ﴿ وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾[3]

وقوله: ﴿ سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾[4] .

2ـ يجوز تفريقها في شهر شوال كاملاً، ولا يلزم التتابع، لأن الرسول ﷺ أطلق صيامها، ولم يذكر تتابعاً ولا تفريقاً، فقال:" **مَنْ صَامَ رَمَضَانَ، ثُمَّ أَتْبَعَهُ سِتًّا مِنْ شَوَّالٍ، فَذَلِكَ صِيَامُ الدَّهْرِ** "[5]، فالمسلم مخير بين التتابع، وبين التفريق، والمهم فقط صيامها خلال شهر شوال؛ إذ لو كان صيامها بعد شهر شوال، لما عين النبي ﷺ صيامها في شوال.

---

[1] إبراهيم:7

[2] صحيح البخاري،كتاب تفسير القرآن، باب ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ويتم نعمته

[3] آل عمران:133

[4] الحديد:21

[5] مسند أحمد،باقي مسند الأنصار،حديث أبي أيوب الأنصاري ﷺ

3ـ من تطوع بهذه النافلة، فيستحب له أن يحافظ عليها في كل عام، لقول النبي ﷺ:" أَحَبُّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى أَدْوَمُهَا، وَإِنْ قَلَّ "[1] .

وما دمنا نتحدث عن صيام ستة أيام من شوال، فلا بد من الإشارة إلى أن من كان عليه قضاء من رمضان أن يبدأ بالقضاء، لأن القضاء واجب، بينما صيام ستة أيام من شوال سنّة، والواجب مقدم على السنة، هذا من وجه، ومن وجه آخر، فإن من كان عليه قضاء من رمضان، فإنه لم يكمل صيام رمضان الذي رتب عليه الرسول ﷺ صيام ست من شوال.

فالأولى أن يكمل صيام رمضان بالقضاء، ثم يشرع بصيام الستة أيام، ليقع رمضان كاملاً، تتبعه الستة أيام، لتحصيل ثواب صيام الدهر، الذي أشار إليه النبي ﷺ.

وهذا ما عليه جمهور أهل العلم من الفقهاء والمفتين ، وهو الأقرب لفهم حديث الرسول ﷺ:" مَنْ صَامَ رَمَضَانَ، ثُمَّ أَتْبَعَهُ سِتًّا مِنْ شَوَّالٍ، فَذَلِكَ صِيَامُ الدَّهْرِ "[2].

كما أن البدء بإبراء الذمة بصيام الفرض أولى من الاشتغال بالتطوع، وما دمنا أيها الإخوة المسلمون نعيش في شهر شوال؛ فلنبادر إلى إحياء هذه السنة الشريفة، بصيام ستة أيام من هذا الشهر، لعلنا نحصل على ثواب الله تعالى بصيام الدهر، بعد أن وفقنا الله إلى صيام شهر رمضان الفضيل، لنجمع بين الفضيلتين، ونحصل على الثوابين، فالله تعالى يقول:﴿ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴾[3] .

نسأله تعالى أن يتقبل منا صيام رمضان، وصيام ست من شوال، وأن يقبلنا مع عباده الصائمين، الذاكرين، الشاكرين، إنه بعباده رؤوف رحيم.

وصلى الله وسلم وبارك، على رسولنا الأسوة ، وعلى آله الطاهرين، وصحابته الغر الميامين، ومن تبع سنتهم، ونهج نهجهم، إلى يوم الدين.

---

[1] صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضيلة العمل الدائم من قيام الليل وغيره

[2] مسند أحمد، باقي مسند الأنصار،حديث أبي أيوب الأنصاري ﷺ

[3] الكهف:30

يحذر الرسول الأكرم ﷺ من أكل الربا، والتعامل به، في هديه الشريف، بل يعده في عداد الذنوب المهلكة لأصحابها التي تقودهم إلى الخسران في الدنيا والآخرة، وذلك هو الخسران المبين، فيقول ﷺ: "اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُوبِقَاتِ، قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا هُنَّ؟ قَالَ: الشِّرْكُ بِاللَّهِ، وَالسِّحْرُ، وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ، إِلَّا بِالْحَقِّ، وَأَكْلُ مَالِ الْيَتِيمِ، وَأَكْلُ الرِّبَا، وَالتَّوَلِّي يَوْمَ الزَّحْفِ، وَقَذْفُ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ"[1].

فقد قرن رسول الله ﷺ أكل الربا مع الذنوب العظيمة الكبيرة الموبقة لأصحابها، وعلى رأس هذه الذنوب الإشراك بالله تعالى، وتعلم السحر، والعمل به، وقتل النفس التي حرم الله قتلها إلا بالحق، وأكل مال اليتيم، والهروب من ميدان الجهاد في سبيل الله، واتهام المؤمنات العفيفات بالزنى والفاحشة، وكلها ذنوب ومعاصي لها علاقة مباشرة بالمس بالعقيدة؛ كالشرك بالله، والسحر، أو المس بالضرورات، التي لا تقوم الحياة، ولا تصلح إلا بالمحافظة عليها، كحماية النفس من العدوان، والقتل، وحماية المال من السرقة، أو التعامل الحرام، وأكله بالباطل، ولا تتم حماية العقيدة، والنفس، والمال، إلا بالدفاع عن هذه الضرورات، في ساحات الجهاد، أو ميادين البيان والثقافة والفكر، كما لا تصان الأعراض، وتحفظ الحرمات، إلا بتحصين الأخلاق، وفرض العقوبة على من يحاول خرق حجاب الفضيلة، كذلك لا غرابة في تنفيذ حد القذف، بحق من يتهم المؤمنات، الغافلات، بالفاحشة.

لذلك كانت هذه الموبقات من الذنوب الكبيرة التي حرمها الله تعالى ورسوله ﷺ، وأمر الأمة باجتنابها واجتثاثها من بين شعوبها ومجتمعاتها، لما لها من آثار مدمرة على حياة الأمة أفراداً وشعوباً وجماعات.

فلا يخفى على ذي بصر وبصيرة ما يفعله الربا والتعامل به، في تقطيع أواصر المودة والرحمة، بين أفراد المجتمع، وما يجلبه من شر وفساد على الإنسانية جميعها، يظهر ذلك جلياً في الآتي:

[1] صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان الكبائر وأكبرها

* المتعامل بالربا عاص لله ورسوله، فهو بتعامله بالربا يقترف جريمة بشعة، عليه أن يسارع إلى التوبة منها والتخلص من أموال الربا، أما إذا استحل التعامل بالربا، فهو كافر مرتد عن دينه، يقتل ردةً وكفراً.

* يقود الربا صاحبه إلى التجرد من إنسانيته، فيقسو قلبه ويجفو طبعه، فلا يعرف مواقف البر والرحمة، بل يلهث وراء المزيد من الربا وأمواله الزائلة، كالمسعور الذي لا يقر له قرار.

* يحطم النظام الربوي نظام التكافل الاجتماعي بين المسلمين، وينشر الحقد والكراهية، ويقطع العلاقات الاجتماعية ، ويساعد على انتشار مشاريع اللهو والفساد والاستغلال، مما يعرقل نمو المشاريع الاقتصادية التي من شأنها أن ترفع مستويات الحياة إلى الأفضل والأحسن لشعوب الأمة، بل للإنسانية جميعها.

ولا أدل على ضرر الربا في وقتنا الحاضر من هذه الأزمة المالية التي اجتاحت مصارف ومراكز المال في أكبر اقتصاد في عالمنا المعاصر؛ اقتصاد الولايات المتحدة الأمريكية، سيدة النظام الرأسمالي الذي يقوم على دعامتين، حرمهما الله، وهما الربا والاحتكار، مما أدى إلى اختلال واضح في هذا النظام، كلف الدولة مليارات الدولارات، في محاولة لإنقاذ مصارفها واقتصادها من الانهيار الآني، وسيقع هذا الانهيار في المستقبل القريب إن لم تغير هذه الدولة وكل الدول التي يقوم اقتصادها على نظام الربا، من أصول نظامها الاقتصادي، وتعدل كل المعاملات الملحقة به كالرهن العقاري، وسندات الاستثمار، وبيع الديون ورهنها.

فكل أنواع الربا حرام شرعاً؛ سواء أكان ذلك ربا ديون، أو ربا بيع، أو ربا قروض استهلاكية، أو قروض إنتاجية.

ولا يزين إطلاق اسم الفائدة على الربح الربوي كل المعاملات الربوية التي ترتبط بهذه الفائدة، فهو حرام وملعون، كما أخبر النبي ﷺ بقوله:" **لَعَنَ اللَّهُ آكِلَ الرِّبَا، وَمُوكِلَهُ، وَشَاهِدَهُ، وَكَاتِبَهُ**"[1].

وإن وصف الله تعالى آكل الربا، كمن يتخبطه الشيطان من المس، لهو الفيصل القاطع لمن كان له قلب يعقل، أو عقل يتدبر، فلم يحرم الله أمراً فيه خير للإنسان والإنسانية.

---

[1] مسند أحمد، مسند المكثرين من الصحابة ، مسند عبد الله بن مسعود رضي الله عنه

فالله تعالى يقول: ﴿ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لاَ يَقُومُونَ إِلاَّ كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ * يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لاَ يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴾[1].

كما لم يعلن الله حرباً على ذنب، بصورة الحرب التي أعلنها في كتابه العزيز على آكل الربا، فقال جل شأنه: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ * فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لاَ تَظْلِمُونَ وَلاَ تُظْلَمُونَ ﴾[2]

هذا هو الربا، وهذا هو مصير المتعامل به؛ خسران في الدنيا، وهلاك في الآخرة، فهلا راجع المتعاملون بالربا مواقفهم، وسارعوا إلى إنقاذ أنفسهم من مس الربا وسعاره، وتابوا إلى الله توبة نصوحاً، عسى الله أن يرحمهم، ويقبل توبتهم، ولهم في المعاملات المشروعة وكسب الحلال ما يغني عن الربا والتعامل به، فاستغلال المال في كسب الحلال في شركات المضاربة، أو التجارات والاستثمارات الحلال، هو أطيب لصاحب المال وماله، وأبعد من الشبهات والحرام، فمن أراد أن يتقي الشبهات، ويسلم من الربا وغباره، فليعمد إلى الحلال البين، وليتجنب الشبهات، وما يوقع فيها، والله تعالى يجعل للمتقين مخرجاً وفرجاً، أليس هو القائل: ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لاَ يَحْتَسِبُ ﴾[3]

فبادروا أيها المسلمون إلى الخلاص من كل معاملة يشوبها الربا أو شبهته، استبراءً لدينكم وتحصيناً لأموالكم، وإتباعا لأمر ربكم، واقتداء بسنة رسولنا، وحبيبنا، وأسوتنا، صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله الطاهرين، وصحابته الغر الميامين، ومن تبعهم، وسار على منهجهم، إلى يوم الدين.

---

[1] البقرة:275- 276

[2] البقرة: 278- 279

[3] الطلاق:2- 3

ذكر الرسول ﷺ المال وصاحبه، فقال: " **نِعْمَ الْمَالُ الصَّالِحُ، لِلْمَرْءِ الصَّالِحِ**"[1] .

وبينت كتب الفقه الإسلامي ومنها كتاب "الملكية في الشريعة الإسلامية" للدكتور عبد السلام العبادي معنى المال في اللغة، فهو يطلق على كل ما يقتنيه الإنسان ويحوزه بالفعل، من كل شيء، سواء أكان عيناً أم منفعة. وهو في الاصطلاح الشرعي: "ما كان له قيمة مادية بين الناس، وجاز شرعاً الانتفاع به، في حال السعة والاختيار".

ويقسم المال إلى أنواع حسب اعتبارات مختلفة؛ ومن أقسامه حسب مالكه، المال الخاص، والمال العام. والمال الخاص؛ هو الذي يملكه شخص أو مجموعة أشخاص على سبيل الاشتراك، كالذهب والنقود والعقارات والشركات التي تعود لشخص أو أشخاص معينين. أما المال العام؛ فهو الذي يكون صاحبه مجموع الأمة أو جماعات منها، دون النظر لأشخاص وأفراد على التعيين، بحيث يكون الانتفاع به لهم جميعاً، دون اختصاص أحد بذلك. فإذا تعلقت حاجة الجماعة في الانتفاع بأشياء معينة، فإنه لا يجوز أن تقع تحت التملك الفردي، وإنما تحجز أعيانها عن التداول، وتباح منافعها. وينفق المال العام للصالح العام، فمنه تجهز الجيوش، وتشق الشوارع، وتبنى المؤسسات، وتوفر المياه والكهرباء لعموم الناس، وتقام دور العلم والعبادة.

وقد أرسى الرسول ﷺ مبادئ للمال بأنواعه المختلفة ، وشرع له أحكاماً ، ومن ذلك منعه ﷺ التملك الفردي لبعض أصناف الأموال، فيقول ﷺ: " **الْمُسْلِمُونَ شُرَكَاءُ فِي ثَلَاثٍ؛ الْمَاءِ وَالْكَلَأ وَالنَّارِ**"[2]. وهذه الأنواع التي تندرج في إطار الملكية العامة دون الخاصة، يُلحق بها المعادن غير المنقطعة، فعن أبيض بن حمال أَنه اسْتَقْطَعَ الْمِلْحَ، الذي يُقَالُ له مِلْحُ سُدِّ مَأْرِبٍ، فَأَقْطَعَهُ له، ثُمَّ إِنَّ الأقرع بن حابس التميمي أَتى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ، **فقال: يا رسول اللَّهِ إني قد وَرَدْتُ الْمِلْحَ في**

[1] مسند أحمد،مسند الشاميين،حديث عمرو بن العاص عن النبي ﷺ

[2] مسند أحمد، باقي مسند الأنصار ، أحاديث رجال من أصحاب النبي ﷺ

الْجَاهِلِيَّةِ، وهو بِأَرْضٍ لَيس بها مَاءٌ، ومَنْ وَرَدَه أَخَذَهُ، وهو مِثْلُ الْمَاءِ الْعِدِّ، فَاسْتَقَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ أَبْيَضَ بن حمال في قَطِيعَتِه في الْمِلْحِ، فقال: قد أَقَلْتُكَ منْه، على أَنْ تَجْعَلَه مِنِّي صدقَةً، فقال رَسُولُ اللَّه ﷺ: هو مِنك صدَقَةٌ، وهو مِثْلُ الْمَاءِ الْعِدِّ، مَنْ وَرَدَه أَخَذَهُ"[1].

ووجه ﷺ ولاته وعماله على البلدان إلى مراعاة العدل والإنصاف والنزاهة عند جباية الأموال لبيت المال، فنهى عن أخذ كرائم أموال الناس، فلما بعث معاذا إلى اليَمن أوصاه أن يأخذ الزكاة من أغنيائهم ويردها على فقرائهم، وقال له:" خُذْ مِنهُم، وَتَوَقَّ كرائمَ أَموَالِهم"[2].

وشدد الرسول ﷺ على ضرورة حفظ المال العام، ومنع إهداره أو اختلاسه، فحث على حماية المياه من الاستنزاف والهدر، فعن عبد اللّه بن عمرو أن رسول اللّه ﷺ مر بسعد وهو يتوضّأ فقال: ما هذا السَّرَفُ؟ فقال: أَفِي الْوُضُوءِ إِسْرَافٌ؟ قال: نَعَمْ، وإِنْ كُنْتَ على نَهَرٍ جَارٍ"[3]

ومنع تلويث المياه، كما ورد في الحديث الصحيح عنه ﷺ: " أَنَّه نَهى أَنْ يُبَالَ في الْمَاءِ الرَّاكِدِ"[4]

ونهى الرسول ﷺ عن الهلع في طلب المال العام، فعن سعيد بن المسيب وعروة بن الزبير أن حكيم بن حزام رضي الله عنه قال: "سَأَلْتُ رسُولَ اللَّه ﷺ فَأَعْطَانِي، ثُمَّ سأَلْتُهُ فَأَعْطَانِي، ثُمَّ قال لي: يا حَكِيمُ؛ إِنَّ هذا المَالَ خَضِرٌ حُلْوٌ، فمَنْ أَخَذَهُ بِسخَاوَة نَفْسٍ بُورِكَ له فيه، ومَنْ أَخَذَهُ بِإِشْرَافِ نَفْسٍ لم يُبَارَكْ له فيه، وكَانَ كالَّذِي يَأْكُلُ ولا يَشْبَعُ، والْيَدُ الْعُلْيا خَيرٌ من الْيَدِ السُّفْلَى. قال حَكِيمٌ: فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّه؛ والَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لا أَرْزَأُ أَحَدًا بعدَكَ شَيْئًا حتى أُفَارِقَ الدُّنْيَا ..."[5]

وحذر الرسول الأسوة ﷺ من اختلاس الأموال العامة، فعن خولة الأنصارية رضي اللّه عنها قالت: "سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يقُولُ: إِنَّ رِجالًا يَتَخَوَّضُونَ في مالِ اللّه، بِغَيْرِ حَقٍ، فَلَهُمْ النَّارُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ"[6]، فهذا تحذير واضح لكل من تسول له نفسه التَّصَرُّفُ فِي مَالِ الْمُسلِمِينَ بِالْبَاطِلِ،

---

[1] سنن ابن ماجة، كتاب الأحكام، باب إقطاع الأنهار والعيون

[2] صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام

[3] سنن ابن ماجة، كتاب الطهارة وسننها، باب ما جاء في القصد في الوضوء وكراهة التعدي فيه

[4] صحيح مسلم، كتاب الطهارة، باب النهي عن البول في الماء الراكد

[5] صحيح البخاري، كتاب فرض الخمس، باب ما كان النبي ﷺ يعطي المؤلفة قلوبهم

[6] صحيح البخاري، كتاب فرض الخمس، باب قول الله تعالى فأن لله خمسه وللرسول

كيف لا؟! وإسلامنا الحنيف عُني بضبط موارد المال، وتنظيم إنفاقه، ليتماشى ذلك كله مع أحكام الشرع الحنيف، فيقول أسوتنا ﷺ:" لا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ عُمُرِهِ فِيمَا أَفْنَاهُ، وَعَنْ عِلْمِهِ فِيمَ فَعَلَ، وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ، وَفِيمَ أَنْفَقَهُ، وَعَنْ جِسْمِهِ فِيمَ أَبْلَاهُ"[1].

والله تعالى نفى صفة الغلول عن الرسول ﷺ وصحبه الأنبياء عليهم السلام، فقال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾[2] حيث نزلت هذه الآية الكريمة لتنفي عنه ﷺ الخيانة في الغنيمة، وذلك أنه لما فقدت قطيفة حمراء يوم أحد، قال بعض الناس: لعل النبي أخذها، فنزلت الآية الكريمة تدحض افتراءهم.

ولما حدد الرسول ﷺ دور المسؤول عن أموال الأمة ، جعل من نفسه قدوة لهم في ذلك ليتأسوا به، فقال ﷺ: "... وإِنَّما أنا قَاسِمٌ ويُعْطِي اللَّهُ..."[3].

ويحذر النبي ﷺ من التعدي على المال العام بالخيانة أو الاختلاس أو الاحتيال أو غير ذلك من الوسائل والأساليب، وورد هذا التحذير النبوي في أكثر من مناسبة وحادثة، من أشهرها حادثة ابن اللتبية، فعن أبي حميد الساعدي قَالَ: "اسْتَعْمَلَ رسولُ اللَّهِ ﷺ رَجُلًا مِنَ الْأَسْدِ، يُقَالُ لَهُ ابْنُ اللُّتْبِيَّةِ - قال عَمْرٌو وابنُ أبي عُمر على الصَّدَقَةِ - فلمَّا قَدِمَ، قال: هذا لَكُمْ، وهذا لي، أُهْدِيَ لي، قال: فَقامَ رسُولُ اللّهِ ﷺ على المِنْبَرِ، فحمدَ اللّهَ، وأثنى عليه، وقال: ما بَالُ عامِلٍ أَبْعَثُهُ، فيقولُ: هذا لكم، وهذا أُهْدِيَ لي، أفلا قَعَدَ في بَيْتِ أبيه، أو في بَيْتِ أُمِّه، حتَّى يَنْظُرَ أَيُهْدَى إِلَيْه أم لا، والذي نَفْسُ مُحمَّدٍ بيده، لا ينالُ أحدٌ منْكُم منْهَا شَيئًا، إلا جاء به يومَ القيامة يَحْمِلُهُ على عُنُقه، بعيرٌ له رُغَاءٌ ، أو بَقَرَةٌ لها خُوَارٌ ، أو شَاةٌ تَيْعَرُ ، ثُمَّ رَفَعَ يَدَيْهِ، حتَّى رأَيْنَا عُفْرَتَيْ إِبْطَيْه، ثُمَّ قال: اللَّهُمَّ هل بَلَّغْتُ، مرَّتين"[4].

وأكد الرسول ﷺ على حرمة الأموال العامة، وتوعد من يعتدي عليها، فقال: "مَنْ استعملناه منكُم على عمَلٍ، فكتمَنا مخيطًا فما فوقهُ، كان غُلولًا، يأتي به يومَ القيامة، قَالَ: فَقَامَ إِلَيْهِ

---

[1] سنن الترمذي، كتاب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله، باب ما جاء في شأن الحساب والقصاص

[2] آل عمران:161

[3] صحيح البخاري، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب قول النبي ﷺ، لا تزال طائفة من أمتي

[4] صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب تحريم هدايا العمال

رَجُلٌ أَسْوَدُ مِنَ الْأَنْصَارِ كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَيْهِ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، اقْبَلْ عَنِّي عَمَلَكَ، قَالَ: وَمَا لَكَ، قَالَ: سَمِعْتُكَ تَقُولُ كَذَا وَكَذَا، قَالَ: وَأَنَا أَقُولُهُ الْآنَ؛ مَنِ اسْتَعْمَلْنَاهُ مِنْكُمْ عَلَى عَمَلٍ، فَلْيَجِئْ بِقَلِيلِهِ وَكَثِيرِهِ؛ فَمَا أُوتِيَ مِنْهُ أَخَذَ، وَمَا نُهِيَ عَنْهُ انْتَهَى"[1].

وبين رسول الله ﷺ أن الخائن من أصحاب النار فقال ذات يوم في خطبته ... وأهل النار خمسة ذكر منهم: .... وَالْخَائِنُ الَّذِي لَا يَخْفَى لَهُ طَمَعٌ، وَإِنْ دَقَّ إِلَّا خَانَهُ..."[2].

وعن عمر بن الخطاب، أنه لما كان يوم خيبر أقبل نفر من صحابة النبي ﷺ " فَقَالُوا: فُلَانٌ شَهِيدٌ، فُلَانٌ شَهِيدٌ،حَتَّى مروا على رجل،فقالوا: فُلَانٌ شَهِيدٌ، فقال رسول الله ﷺ:كَلَّا إِنِّي رَأَيْتُهُ فِي النَّارِ فِي بُرْدَةٍ غَلَّهَا ، أَوْ عَبَاءَةٍ..."[3].

واعتبر الرسول ﷺ الخيانة من علامات النفاق الرئيسة، فقال ﷺ:" آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ؛ إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ"[4].

وعلى نهج الرسول الأسوة ﷺ سار الصالحون من الخلفاء والأمراء والأفراد والجماعات من أبناء المسلمين، عبر الزمان والمكان، فلما جاءوا بتاج كسرى وسواره للفاروق عمر ﵁، أخذ يقلبه بين يديه، ويقول: والله إن الذي جاء إلينا بهذا لأمين.فقال رجل : يا أمير المؤمنين، أنت أمين الله، يؤدون إليك ما أديت إلى الله، فإذا رتعت رتعوا. قال : صدقت.

وهذا أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز ﵁كان إذا انشغل في ليلة من أمور المسلمين أضاء قنديلاً من بيت مال المسلمين، فإذا انصرف إلى شؤونه الخاصة أطفأه، وأضاء قنديلاً من ماله الخاص، رغبة منه في الحرص على مال رعيته.

ويقتضينا التأسي بالرسول ﷺ أن نخطو خطاه، وأن نجتهد في تقفي سيرة ولاته الأخيار، فنحفظ المال العام سواء وقع تحت مسؤوليتنا، أم تعرض لتصرفنا تحت أي ظرف وحال، فنترفع عن التفريط فيه، أو إهداره، أو الاختلاس منه، سواء علم بنا الناس أم لم يعلموا، فإن لم يعلموا فرب الناس يعلم

---

[1] صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب تحريم هدايا العمال

[2] صحيح مسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار

[3] صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب غلظ تحريم الغلول وأنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون

[4] صحيح البخاري، كتاب الوصايا، باب قول الله تعالى من بعد وصية يوصي بها أو دين

خائنة الأعين وما تخفي الصدور، وإن علموا فتلك فضيحة بين الخلق، تضاف لخزي الآخرة، والعياذ بالله، وصلى الله وسلم وبارك على رسولنا الأسوة، وعلى آله الطاهرين، وصحابته الغر الميامين، ومن تبع سنتهم، ونهج نهجهم، إلى يوم الدين.

قال صلى الله عليه وسلم : "مَنْ استعملناه منْكُم على عمَلٍ، فكتمَنَا مخْيَطًا فما فوْقَهُ، كان غُلُولًا، يَأْتي به يومَ الْقيامَة، قَالَ: فقَامَ إِليْه رجلٌ أَسودُ من الْأَنْصَار، كأني أَنْظُرُ إِلَيْه، فقال: يا رَسُول اللَّه، اقْبَلْ عني عملك، قال: ومَا لَكَ، قال: سَمعْتُك تَقُولُ كذا وكذا، قال: وأنا أقُولُهُ الآن؛ مَنْ اسْتَعْمَلناه منكُم على عَمَلٍ، فَلْيَجِئ بقَليله وكَثيره؛ فَمَا أُوتيَ منْهُ أَخَذَ، ومَا نُهيَ عنْهُ انْتَهَى"

لم يغفل النبي ﷺ المحافظة على كرامة الأموات، كما هو الحال في المحافظة على كرامة الأحياء؛ انطلاقاً من تكريم الله لبني الإنسان، فالله تعالى يقول: ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً ﴾[1] .

ومن تكريم الإنسان المحافظة على كرامته حياً وميتاً، فلا يجوز امتهان قبره، أو القبور التي تحوي رفات الأموات، لأن هذه القبور أصبحت مأوى لأصحابها، ومقراً لسكناهم، سبقوا إليها، فأصبحت وقفاً عليهم، وحرزاً لأجسادهم ورفاتهم.

ولقد بين العلماء ـ رضوان الله عليهم ـ أخذاً من هدي المصطفى ﷺ وجوب تغسيل الميت، وتكفينه، والصلاة عليه، وتشييعه، ودفنه في قبر، ضمن مقبرة المسلمين، يحفر لهذه الغاية، ويحسن، لقول النبي ﷺ: " **احفروا، وأوسعوا، وأحسنوا** "[2] .

وبين الله تعالى وجوب دفن جثة الإنسان، وذلك عند أول جريمة كان ضحيتها الإنسان على يد أخيه الإنسان، فقال تعالى بحق ابني آدم: ﴿ فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْأَةَ أَخِيهِ قَالَ يَا وَيْلَتَا أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْأَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ ﴾[3] .

وقد بينت السنة العملية فعل النبي ﷺ باتخاذ مقبرة للمسلمين لدفن موتاهم، فكان ﷺ يدفن أموات الصحابة – رضوان الله عليهم – في مقبرة البقيع القريبة من المسجد النبوي الشريف، وهي معروفة ومشهورة، فيها قبور أعيان الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ كعائشة وعثمان يزورها حجاج المسلمين وعمارهم تأسياً بسنة النبي ﷺ.

---

[1] الإسراء:70

[2] سنن ابن ماجه،كتاب ما جاء في الجنائز،باب ما جاء في حفر القبر

[3] المائدة:31

وفيها يدفن أموات أهل المدينة المنورة، ومن توفاهم الله في المدينة، ممن قصدها زائراً لمسجدها الشريف.

وقد بينت السنة النبوية الشريفة وجوب المحافظة على حرمة المقابر، فلا يجوز الجلوس على القبور أو المرور من فوقها إلا لضرورة، لقوله ﷺ: " **لَأَنْ يَجْلِسَ أَحَدُكُمْ عَلَى جَمْرَةٍ، فَتُحْرِقَ ثِيَابَهُ، فَتَخْلُصَ إِلَى جِلْدِهِ، خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَجْلِسَ عَلَى قَبْرٍ** "[1]، وقوله ﷺ: " **لَا تَجْلِسُوا عَلَى الْقُبُورِ، وَلَا تُصَلُّوا إِلَيْهَا** "[2]، فإذا كان الجلوس على القبور أو المرور من فوقها منهي عنه إلى درجة الحرمة أو الكراهة التحريمية، فكيف بنبش القبور، وكسر عظام سكانها، وبعثرة رفاتهم، وانتهاك حرماتهم وكرامتهم؟!

إنها أشد حرمة وإثماً، ولا يقوم بهذا العمل إلا ظالم مكابر، منتهك لأخص حقوق الإنسان، في المحافظة على كرامته حياً وميتاً.

وقد ورد في الحديث الشريف: " **كَسْرُ عَظْمِ الْمَيِّتِ، كَكَسْرِهِ حَيًّا** "[3].

وقد أباح النبي ﷺ زيارة القبور لما فيها من العبرة فقال ﷺ: " **كُنْتُ نَهَيْتُكُمْ عَنْ زِيَارَةِ الْقُبُورِ، فَزُورُوهَا، فَإِنَّهَا تُزَهِّدُ فِي الدُّنْيَا، وَتُذَكِّرُ الْآخِرَةَ** "[4].

من هنا يجب على المسلمين أن يعتنوا بمقابرهم، فيقيموا حولها الأسوار، ليمنعوا الاعتداء على القبور، أو الاعتداء على أرض المقبرة ،كما ينبغي أن يحافظوا على نظافتها، فيقوم كل أصحاب قبر بالعناية بنظافته، لكي تسهل زيارته، كما يتعاونوا مع دوائر الأوقاف ولجان المقابر المعنية برعاية المقابر للمحافظة على كرامة الأموات، ورعاية المقابر، على الوجه المشروع، الذي نطبق فيه سنة المصطفى ﷺ، فنقطع بهذا طمع الطامعين في طمس معالم مقابرنا، الشاهدة على وجودنا

(1) صحيح مسلم،كتاب الجنائز، باب النهي عن الجلوس على القبر والصلاة عليه

(2) صحيح مسلم،كتاب الجنائز، باب النهي عن الجلوس على القبر والصلاة عليه

(3) سنن أبي داود،كتاب الجنائز، باب في الحفار يجد العظم هل يتنكب ذلك المكان

(4) سنن ابن ماجه،كتاب ما جاء في الجنائز، باب ما جاء في زيارة القبور

في هذه الديار، باحتوائها على رفات الصحابة الفاتحين، والمحررين، والمجاهدين، على امتداد تاريخنا الإسلامي، في هذه الديار المباركة.

وبصدد الهجمة الشرسة على مقابرنا في هذه الديار ، وبخاصة مقبرة مأمن الله، تم إصدار الفتوى الشرعية الآتية التي تؤكد على حرمة نبش القبور وتجريم من يقوم بذلك أو يعين عليه، فنقول وبالله التوفيق؛

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الأمين، وعلى آله و أصحابه أجمعين، وبعد؛ ففي ظل الهجمة الشرسة التي طالت حرمة أحياء المسلمين وأمواتهم، والتي كان آخرها الاعتداء على مقبرة مأمن الله في القدس الشريف، نود التأكيد أولا على أن إسلامنا الحنيف أوجب احترام كرامة الإنسان حياً وميتاً، فمثلما منع الاعتداء على أعراض الناس وحياتهم وممتلكاتهم، منع كذلك تكسير عظام الموتى أو التعرض لجثثهم بالتمثيل والتشويه، فكسر عظم الميت ككسره حيا، فعَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ "**كَسْرُ عَظْمِ الْمَيِّتِ كَكَسْرِ عَظْمِ الْحَيِّ فِي الْإِثْمِ** "[1] ، ومنع الإسلام الجلوس على المقابر، فقال ﷺ:" **لَا تَجْلِسُوا عَلَى الْقُبُورِ وَلَا تُصَلُّوا إِلَيْهَا** "[2].

فإذا كان المشي على القبر أو الجلوس عليه يقع بين الحرمة والكراهة التحريمية، فكيف بنبشها واقتلاعها وطمرها وتحويلها لمعالم أخرى ؟! فذلك أشد حرمة وإثما، وقد اتفق علماء المسلمين على أن المواضع التي يدفن فيها الموتى تصير وقفا على المدفونين فيها يحرم المس بها بأية صورة من صور الطمر أو الاقتلاع أو النبش أو غير ذلك. وفي ظل الهجمة العدوانية على مقابر المسلمين في بلادنا المقدسة، يقتضينا الواجب الديني والأخلاقي، أن نؤكد على حرمة نبش القبور، ونبين أنه يترتب على المسلمين، وكل غيور على كرامة الإنسان، أفرادا وحكومات ومؤسسات، القيام بواجب التصدي لكل جهة تحاول التعدي على مأوى موتانا، مهما تطلب

---

[1] سنن ابن ماجة، كتاب ما جاء في الجنائز ، باب في النهي عن كسر عظام الميت

[2] صحيح مسلم،كتاب الجنائز، باب النهي عن الجلوس على القبر والصلاة عليه

ذلك من جهد وثمن، أما الذين يتواطأون مع الجهات المعتدية على قبور المسلمين فهم شركاء في الجريمة والإثم ، وهم ظلمة مثلهم، والله تعالى توعدهم فقال ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾[1] ، وإن كل آت قريب.

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد، وآله الطاهرين، وصحابته الغر الميامين، ومن سار على نهجهم، إلى يوم الدين.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لَأَنْ يَجلِسَ أَحَدُكُمْ عَلَى جَمْرَةٍ، فَتُحْرِقَ ثِيَابَهُ، فَتَخْلُصَ إِلَى جِلْدِهِ، خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَجلِسَ عَلَى قَبْرٍ)

[1] الشعراء:227

في هذا الشهر الفضيل من أشهر الحج، شهر ذي القعدة، يتوجه حجاج فلسطين ؛ أرض الرباط وديار الإسراء والمعراج إلى الديار الحجازية، حيث المسجد الحرام، لأداء مناسك الحج وشعائر هذه العبادة العظيمة، التي تشكل ركناً من أركان الإسلام، لقول الله تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً ﴾[1] .

وقد حث رسولنا الأكرم ﷺ المسلمين على أداء هذا الركن، مبيناً جزاءه الكبير، وثوابه الجزيل في قوله ﷺ: " **حَجَّةٌ مَبْرُورَةٌ، لَيْسَ لَهَا ثَوَابٌ إِلَّا الْجَنَّةُ، وَعُمْرَتَانِ، تُكَفِّرَانِ مَا بَيْنَهُمَا مِنَ الذُّنُوبِ**"[2] .

وفي حديث آخر سئل النبي ﷺ: " **أَيُّ الْأَعْمَالِ أَفْضَلُ؟ وَأَيُّ الْأَعْمَالِ خَيْرٌ؟ قَالَ: إِيمَانٌ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ، قَالَ: ثُمَّ أَيٌّ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، سَنَامُ الْعَمَلِ، قَالَ: ثُمَّ أَيٌّ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: حَجٌّ مَبْرُورٌ** "[3].

والحج المبرور : هو الذي لم تخالطه معصية، بل تكون كل أعماله خالصة لله تعالى، نقية عن كل أذى أو ذنب ينقص ثواب الحج أو يفسده.

لذلك حرص النبي ﷺ وهو يبين للمسلمين مناسك الحج، ويأمرهم بأن يأخذوا مناسكهم عنه أن يحرصوا على أداء حج مبرور، خال من الرفث والمعاصي، حتى ينال المسلم ثواب الله تعالى، ويحوز الرضوان، بمغفرة ذنوبه، لقول الله تعالى: ﴿ الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلا رَفَثَ وَلا فُسُوقَ

---

[1] آل عمران:97

[2] سنن الدارمي، كتاب المناسك، باب في فضل الحج والعمرة

[3] مسند أحمد، باقي مسند المكثرين، مسند أبي هريرة رضي الله عنه

﴿وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ﴾[1].

وقول الرسول ﷺ " **من حجَّ هذا البيتَ، فلم يرفُثْ، ولم يفسُق، رجع كما ولدَتْه أُمُّه** "[2].

فالحج يمحو الذنوب، ويغسل صاحبها منها، ويطهره من الآثام، وهذا غاية القاصدين، ورجاء التائبين، وأمل الأوابين، ونهاية سير السائرين إلى رحاب القرب، وحضرة الأنس، في مقعد صدق عند مليك مقتدر.

وحتى يكون الحج مبروراً لا بد من مراعاة الآداب، والنية، وأداء المناسك على الوجه الذي بينه الرسول ﷺ، بعيداً عن أية شائبة من الذنوب أو الخطايا، أو ارتكاب شيء من محظورات الإحرام.

فحري بمن عقد العزم على أداء فريضة الحج أن ينوي الحج خالياً من الرياء والسمعة، فالرياء هو الشرك الأصغر، وهو محبط للعمل، لأن الله تعالى أغنى الأغنياء عن الشرك، ولا يقبل من الأعمال إلا ما كان خالصاً له.

كما يعلن التوبة إلى الله تعالى، ويرد المظالم إلى أهلها، ويقلع عن جميع المعاصي والآثام، ويتزود من زاد حلال، معِداً لهذا الأمر عدته، بخالص النية، وخير الزاد، وهو زاد التقوى ، فالله يقول: ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى﴾[3].

كما يجب على المسلم الذي وفقه الله لأداء فريضة الحج، أن يتوجه بالحمد والشكر لله الذي بلغه وصول بيت الله الحرام، وأدخله حرماً آمناً، فيتذكر عظمة الله وحرمة بيته، فلا يتهاون بحرمة البيت، بل يخشع، ويتضرع، طالباً العفو والمغفرة، وهو يطوف بالبيت أو ينظر إليه، لأن الطواف بالبيت بمنزلة الصلاة، غير أنه يجوز الكلام خلال الطواف.

كما يجب أن يستشعر المسلم وهو يتعلق بأستار الكعبة، ويدعو عند الملتزم أنه يتعلق بأهداب رحمة الله، مقراً بذنوبه، نادماً على سيئاته، يتضرع إلى الله أن يقبل توبته، وينجيه من عذابه.

---

(1) البقرة:197

(2) صحيح البخاري، كتاب الحج، باب قول الله تعالى فلا رفث

(3) البقرة:197

وهناك في صعيد عرفات الله حيث اختلاف الألوان، واختلاط اللغات، وارتفاع الأصوات، بطلب العفو والمغفرة، ما يذكر بيوم الحشر والزحام، وعرض الأمم مع أنبيائها للحساب.

وقد ورد أن الله يتجاوز عن كبائر الذنوب في هذا اليوم " **مَا رُئِيَ الشَّيْطَانُ يَوْمًا هُوَ فِيهِ أَصْغَرُ، وَلَا أَدْحَرُ، وَلَا أَحْقَرُ، وَلَا أَغْيَظُ مِنْهُ، فِي يَوْمِ عَرَفَةَ، وَمَا ذَاكَ إِلَّا لِمَا رَأَى مِنْ تَنَزُّلِ الرَّحْمَةِ، وَتَجَاوُزِ اللَّهِ عَنِ الذُّنُوبِ الْعِظَامِ، إِلَّا مَا أُرِيَ يَوْمَ بَدْرٍ، قِيلَ: وَمَا رَأَى يَوْمَ بَدْرٍ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: أَمَا إِنَّهُ قَدْ رَأَى جِبْرِيلَ يَزَعُ الْمَلَائِكَةَ** "[1].

فاحرص أخي الحاج أن يبقى قلبك خاضعاً خاشعاً متوجهاً إلى الله، في هذا الموقف عسى أن تنال المغفرة والقبول عند الله تعالى، وتعود وقد قبل الله وفادتك، وغفر ذنبك، لتكون من الفائزين يوم العرض الأكبر بدار كرامة الله، فسارع إلى ذلك: ﴿ وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾[2].

ولا يفوتنك أيها الحاج زيارة المسجد النبوي الشريف، الذي تشد إليه الرحال، وكذلك السلام على رسول الله ﷺ، فإن زيارة المسجد النبوي الشريف، والسلام على النبي ﷺ من السنن الكريمة، والقرب العظيمة.

ولا يفوتنك أخي الحاج أن تكون عضواً فاعلاً وعاملاً، في هذا المؤتمر الإيماني الكبير، الذي يجمع المسلمين من شتى بقاع الدنيا، ليلتقوا هناك في صعيد عرفات الطاهر، في وقت محدد، وهو يوم التاسع من شهر ذي الحجة، وهو ما يعرف بوقفة عرفة، حيث الموقف العظيم، والجمع المهيب، وهم ضارعون إلى الله تعالى أن يقبل حجهم، ويغفر ذنبهم، ويلم شمل المسلمين على كلمة الحق والدين.

هذا المؤتمر الذي يذكر المسلمين جميعاً بحجة الوداع، التي أداها النبي ﷺ ومعه الصحابة الكرام، وخطب النبي فيهم خطبته المتواترة، التي بين فيها كثيراً من أحكام الدين، وأشهد الله تعالى على هذا البلاغ، ومما ورد فيها: " **لَا تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّارًا، يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ** "[3] و" **كُلُّ الْمُسْلِمِ**

---

[1] موطأ مالك، الحج، جامع الحج

[2] آل عمران:133

[3] صحيح البخاري، الفتن، قول النبي ﷺ لا ترجعوا بعدي كفارا

عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ؛ دَمُهُ، وَمَالُهُ، وَعِرْضُهُ "[1]. كما وضع فيها دماء الجاهلية، وأموال الربا، وأكد على حرمة هذا كله، وذكر الرجال بحقوق النساء، كما حث النساء على طاعة الأزواج، فكانت خطبة جامعة، تعد من أصول هذا الدين العظيم، ومن جوامع كلم الرسول الكريم ﷺ.

فاحرص أخي الحاج أن يكون حجك مبروراً، حتى تنال رضوان الله ومغفرته، وتعود من حجك نقياً طاهراً، خالياً من جميع الذنوب، كيوم ولدتك أمك، حائزاً على جميع أسرار الحج ومنافعه وفوائده، حيث الحجيج كلهم في لباس واحد، لا فرق بين فقيرهم وغنيهم، وسيدهم ومسودهم، ولعل هذا من أعظم حكم هذه العبادة، في المساواة بين الناس في المظاهر المادية ، ولا فضل لأحد على آخر إلا بالتقوى ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ . . . ﴾[2].

نسأل الله تعالى لحجاج ديار الإسراء والمعراج، ولجميع حجاج المسلمين، قبولاً حسناً عند الله تعالى، وعودة سالمة غانمة إلى ديارهم وأهليهم، إنه سميع قريب مجيب.

وصلى الله وسلم وبارك، على سيدنا محمد، وآله، وأصحابه أجمعين، ومن سار على نهجهم، واقتفى أثرهم، إلى يوم الدين.

مَا رُئِيَ الشَّيْطَانُ يَوْمًا هُوَ فِيهِ أَصْغَرُ، وَلَا أَدْحَرُ، وَلَا أَحْقَرُ، وَلَا أَغْيَظُ مِنْهُ، فِي يَوْمِ عَرَفَةَ، وَمَا ذَاكَ إِلَّا لِمَا رَأَى مِنْ تَنَزُّلِ الرَّحْمَةِ، وَتَجَاوُزِ اللَّهِ عَنِ الذُّنُوبِ الْعِظَامِ، إِلَّا مَا أُرِيَ يَوْمَ بَدْرٍ، قِيلَ: وَمَا رَأَى يَوْمَ بَدْرٍ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: أَمَا إِنَّهُ قَدْ رَأَى جِبْرِيلَ يَزَعُ الْمَلَائِكَةَ

[1] صحيح مسلم،البر والصلة والآداب، تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره ودمه وعرضه وماله

[2] الحجرات:13

في العام العاشر من الهجرة النبوية الشريفة، أعلن رسول الله ﷺ أنه يريد الحج في هذا العام، فاجتمع إليه الناس، كل منهم يرغب أن يؤدي فريضة الحج بصحبة النبي ﷺ.

فقد روى جابر رضي الله عنه **أن رسول الله ﷺ مَكَثَ تِسْعَ سِنِينَ، لَمْ يَحُجَّ، ثُمَّ أَذَّنَ فِي النَّاسِ فِي الْعَاشِرَةِ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ حَاجٌّ، فَقَدِمَ الْمَدِينَةَ بَشَرٌ كَثِيرٌ، كُلُّهُمْ يَلْتَمِسُ أَنْ يَأْتَمَّ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَيَعْمَلَ مِثْلَ عَمَلِهِ**[1]، وفي جبل عرفات، وهو يوم الموقف العظيم، وأداء الركن الأهم من أركان الحج، بالوقوف بعرفة بعد زوال شمس اليوم التاسع من ذي الحجة.

في هذا الموقف خطب رسول الله ﷺ مبلغاً الناس أحكاماً مهمة، تتعلق بحفظ دمائهم وأموالهم، وتؤكد على حرمة الربا والتعامل به، ثم حثهم على معاملة النساء بالحسنى، مبيناً ما عليهن من واجبات، وما لهن من حقوق، ثم أشار ﷺ إلى وجوب الاعتصام بكتاب الله تعالى، بقوله :" **وَقَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُ، إِنِ اعْتَصَمْتُمْ بِهِ؛ كِتَابُ اللَّهِ** "[2].

ومما جاء في خطبته ﷺ يوم عرفة:" **إِنَّ دِمَاءَكُمْ، وَأَمْوَالَكُمْ، حَرَامٌ عَلَيْكُمْ، كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا، أَلَا كُلُّ شَيْءٍ مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ تَحْتَ قَدَمَيَّ مَوْضُوعٌ، وَدِمَاءُ الْجَاهِلِيَّةِ مَوْضُوعَةٌ، وَإِنَّ أَوَّلَ دَمٍ أَضَعُ مِنْ دِمَائِنَا، دَمُ ابْنِ رَبِيعَةَ بْنِ الْحَارِثِ، كَانَ مُسْتَرْضِعًا فِي بَنِي سَعْدٍ، فَقَتَلَتْهُ هُذَيْلٌ، وَرِبَا الْجَاهِلِيَّةِ مَوْضُوعٌ، وَأَوَّلُ رِبًا أَضَعُ رِبَانَا، رِبَا عَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، فَإِنَّهُ مَوْضُوعٌ كُلُّهُ، فَاتَّقُوا اللَّهَ فِي النِّسَاءِ، فَإِنَّكُمْ أَخَذْتُمُوهُنَّ، بِأَمَانِ اللَّهِ، وَاسْتَحْلَلْتُمْ فُرُوجَهُنَّ بِكَلِمَةِ اللَّهِ، وَلَكُمْ عَلَيْهِنَّ أَنْ لَا يُوطِئْنَ فُرُشَكُمْ أَحَدًا تَكْرَهُونَهُ، فَإِنْ فَعَلْنَ ذَلِكَ، فَاضْرِبُوهُنَّ ضَرْبًا غَيْرَ مُبَرِّحٍ، وَلَهُنَّ عَلَيْكُمْ رِزْقُهُنَّ، وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ، وَقَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُ إِنِ اعْتَصَمْتُمْ بِهِ، كِتَابُ اللَّهِ، وَأَنْتُمْ تُسْأَلُونَ عَنِّي، فَمَا أَنْتُمْ قَائِلُونَ؟ قَالُوا: نَشْهَدُ**

---

[1] صحيح مسلم،كتاب الحج، باب حجة النبي ﷺ

[2] صحيح مسلم، كتاب الحج، باب حجة النبيﷺ

أنك قد بلغت، وأديت، ونصحت، فقال بإصبعه السبابة يرفعها إلى السماء، وينكتها إلى الناس: اللهم اشهد، اللهم اشهد، ثلاث مرات"[1].

لقد اشتملت هذه الخطبة الشريفة على كثير من الأحكام المهمة في حياة المسلمين، خاصة أحكام الدماء والأموال، فبينت أن دماء المسلمين حرام بينهم، وكذلك أموالهم، وقرن ﷺ حرمة الدماء والأموال بحرمة اليوم ؛ وهو يوم عرفة، وحرمة الشهر؛ وهو شهر ذي الحجة، أحد الأشهر الأربعة الحرم، وحرمة البلد، وهي مكة المكرمة.

ومعلوم أن الله تعالى حرم قتل المسلم بغير حق، في قوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَأً ﴾[2] وبين عقوبة القاتل للمسلم عمداً، بقوله ﴿ وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا ﴾[3].

والرسول ﷺ يقول:" لا يحل دم امرئ مسلم، يشهد أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله، إلا بإحدى ثلاث: الثيب الزاني، والنفس بالنفس، والتارك لدينه، المفارق للجماعة "[4]، كما حرم الإسلام إخافة المسلمين بالسلاح وغيره، ونهى عن إشاعة الفاحشة بينهم، أو التعرض إلى أعراضهم؛ فقال تعالى﴿ وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا ﴾[5] وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾[6]، كما أن أموال المسلم معصومة، لا يجوز الاعتداء عليها بالسرقة، أو قطع الطريق، أو أكلها بالباطل، لقوله تعالى:﴿ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ ﴾[7].

[1] صحيح مسلم، كتاب الحج، باب حجة النبي ﷺ
[2] النساء:92
[3] النساء:93
[4] صحيح مسلم، كتاب القسامة والمحاربين والقصاص والديات،باب ما يباح به دم المسلم
[5] النساء:112
[6] النور:19
[7] البقرة:188

كما وضع رسول الله ﷺ أمور الجاهلية كلها تحت قدمه ، وهو كناية عن إبطالها، ووقف العمل بها؛ من ذلك تحريم الربا وإنهاء التعامل به، وكذلك وضع ثارات الجاهلية من دماء وربا، وبدأ رسول الله ﷺ بدماء أهله، وربا أهله، وهذا غاية العدل والإنصاف من الإمام والحاكم الذي يطبق شرع الله بين الناس.

وغني عن البيان حرمة الربا، فقد قطع الله بحرمته، فقال تعالى فيه : ﴿ وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا ﴾[1].

ثم حث الرسول ﷺ على معاملة النساء بالرفق، وأداء حقوقهن، مذكراً المسلمين بتقوى الله في معاملتهن، وذلك بالإنفاق عليهن بالمعروف ؛ بإعداد بيت الزوجية الصالح، ومعلوم أن نفقة الزوجة وكسوتها واجبة على الزوج، قال تعالى: ﴿ لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ ﴾[2] ، وقال تعالى: ﴿ أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِنْ وُجْدِكُمْ ﴾[3] ، وكذلك قوله تعالى: ﴿ وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ ﴾[4].

كما يجب على الزوجة طاعة زوجها، والمحافظة على بيته وماله ، وأن لا تدخل إلى بيته من يكره.

ويختم الرسول ﷺ خطبته، مذكراً المسلمين جميعاً، بأنه ترك لهم أماناً وعصمة، إن أخذوا بها لن يضلوا أبداً؛ وهو كتاب الله تعالى، الذي اشتمل على سعادة الدنيا والآخرة، وفيه الأحكام المتعلقة بالعقائد، والعبادات، والمعاملات، والأخلاق، وبناء الدولة، وأسس الحكم.

وهو الكتاب الخالد على مر الزمان، تكفل الله بحفظه عن التزييف أو التزوير، فقال تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾[5] ، كما كانت السنة النبوية الشريفة التي أمر الله باتباعها في قوله

---

(1) البقرة:275

(2) الطلاق:7

(3) الطلاق:6

(4) البقرة:228

(5) الحجر:9

تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾[1] مصدراً من مصادر التشريع، وبياناً لأحكام القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾[2].

وقوله تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾[3]، ثم يخاطب رسول الله ﷺ الناس بقوله: " **وَأَنْتُمْ تُسْأَلُونَ عَنِّي، فَمَا أَنْتُمْ قَائِلُونَ؟ قَالُوا: نَشْهَدُ أَنَّكَ قَدْ بَلَّغْتَ، وَأَدَّيْتَ، وَنَصَحْتَ**"[4].

ونحن نشهد أن رسول الله ﷺ قد بلغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح للأمة، وتركنا على المحجة البيضاء، ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها إلا هالك.

ونصلي ونسلم، على الرسول الأسوة ﷺ، يوم حجه، ويوم بعثته، وفي كل لمحة ونفس، عدد ما وسعه علم الله تعالى، إلى أن نلقاه على حوضه الشريف ، ونشرب من يده الشريفة، شربة لا نظمأ بعدها أبداً، والصلاة والسلام على آله الطاهرين، وصحابته الغر الميامين، ومن سار على نهجهم، واقتفى أثرهم، إلى يوم الدين.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لَا يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ، يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ، إِلَّا بِإِحْدَى ثَلَاثٍ؛ الثَّيِّبُ الزَّانِي، وَالنَّفْسُ بِالنَّفْسِ، وَالتَّارِكُ لِدِينِهِ، الْمُفَارِقُ لِلْجَمَاعَةِ)

[1] النساء:59

[2] الحشر:7

[3] النحل:44

[4] صحيح مسلم،كتاب الحج،باب حجة النبي ﷺ

لما كانت الساعات والأيام والسنون وعاء " للعمل الصالح" في حياة الإنسان، بيّن رسول الله ﷺ لأمته وللناس جميعاً فضل العمل في هذه الساعات والأيام، حاثاً إياهم على اغتنامها، وعدم تفويتها، لما لها من نفع يعود على العامل فيها بالخير والثواب، والجزاء الوفير.

فقد ورد في فضل العمل في الأيام العشر الأولى من ذي الحجة فيما رواه ابن عباس رضي الله عنهما قال:" مَا مِنْ أَيَّامٍ الْعَمَلُ الصَّالِحُ فِيهَا ، أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، مِنْ هَذِهِ الْأَيَّامِ؛ يَعْنِي أَيَّامَ الْعَشْرِ، قَالَ: قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَلَا الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ؟ قَالَ: وَلَا الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، إِلَّا رَجُلًا خَرَجَ بِنَفْسِهِ، وَمَالِهِ، ثُمَّ لَمْ يَرْجِعْ مِنْ ذَلِكَ بِشَيْءٍ"[1] .

ما أعظم هذا البيان النبوي لفضيلة العمل في الأيام العشرة من شهر ذي الحجة، وهي أيام تتكرر كل عام، فحري بالحريص على تحصيل ثواب العمل فيها أن يتحراها، ويقبل على الله تعالى بتوبة نصوح، وبنفس وثابة إلى عمل الخير، مستعدة للطاعة، متحفزة لكل فضيلة، راغبة فيما أعده الله تعالى من ثواب وفضل، لعباده الطائعين.

ولا أدل على فضل هذه الأيام ولياليها من قسم الله تعالى بها في قوله تعالى: ﴿ وَالْفَجْرِ* وَلَيَالٍ عَشْرٍ* وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ* وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ* هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرٍ ﴾[2] .

وإذا أقسم الله تعالى بشيء كان لهذا الشيء شأن عظيم في حياة الناس، بل في نظام هذا الكون البديع.

وقد ذهب كثير من علماء التفسير أن المقصود بالليالي العشر، هي ليالي الأيام العشر الأولى من ذي الحجة، والوتر هو يوم عرفة، لأنه اليوم التاسع، والشفع هو يوم النحر، وهو اليوم العاشر.

ويوم عرفة هو أفضل أيام السنة، والعمل فيه له أجر عظيم.

---

[1] مسند أحمد ، من مسند بني هاشم، بداية مسند عبد الله بن العباس

[2] الفجر: 1- 5

فالوقوف بعرفة في هذا اليوم هو ركن من أركان فريضة الحج، من فاته الوقوف فاته الحج، كما أن صوم هذا اليوم – أي يوم عرفة – له ثواب كبير ، فقد سئل رسول الله ﷺ عن صيام يوم عرفة، فقال : " **يُكَفِّرُ السَّنَةَ الْمَاضِيَةَ وَالْبَاقِيَةَ** "[1] .

فهنيئاً لمسلم أقبل على الله تعالى في هذا اليوم، فنوى صيامه خالصاً لله تعالى، لينال الثواب العظيم، والأجر الجزيل، بتكفير ذنوبه، والتجاوز عن سيئاته، فكيف بمن صام هذه الأيام جميعها، وعمل فيها من الخيرات ما يؤهله لرضوان الله تعالى.

كما أن يوم عرفة هو يوم الحج الأكبر، يجتمع فيه حجيج المسلمين في صعيد عرفات الطاهر، خاشعين ضارعين إلى الله تعالى، أن يتقبل حجهم، ويغفر ذنوبهم.

وهو جمع شبيه بيوم الحشر الأعظم، حيث لا رجاء إلا من الله تعالى، ولا شفاعة إلا لمن أذن له الرحمن وقال صواباً.

وقد ورد في فضل هذا الموقف العظيم، والمشهد المهيب قول رسول الله ﷺ:" **ما من أيام أفضل عند الله من أيام عشر ذي الحجة، قال: فقال رجل: يا رسول الله، هن أفضل، أم عدتهن، جهاد في سبيل الله، قال: هن أفضل من عدتهن، جهاد في سبيل الله، إلا عفيرا يعفر وجهه في التراب، وما من يوم أفضل عند الله من يوم عرفة، ينزل الله إلى السماء الدنيا، فيباهي بأهل الأرض، أهل السماء، فيقول انظروا إلى عبادي شعثا، غبرا، صاحين، جاؤوا من كل فج عميق، ولم يروا رحمتي، ولم يروا عذابي، فلم أر يوما، أكثر عتيقا من النار، من يوم عرفة** "[2] .

وفي حديث آخر " **مَا رُئِيَ الشَّيْطَانُ يَوْمًا هُوَ فِيهِ أَصْغَرُ، وَلَا أَدْحَرُ، وَلَا أَحْقَرُ، وَلَا أَغْيَظُ مِنْهُ فِي يَوْمِ عَرَفَةَ، وَمَا ذَاكَ إِلَّا لِمَا رَأَى مِنْ تَنَزُّلِ الرَّحْمَةِ، وَتَجَاوُزِ اللَّهِ عَنِ الذُّنُوبِ الْعِظَامِ، إِلَّا مَا أُرِيَ يَوْمَ بَدْرٍ**"[3].

فهذه الأيام المباركة ولياليها هي أحد مواسم الخير والفضل، التي ينبغي على كل عاقل أن يفيد منها بعمل الخير والطاعات، ويبادر إلى التوبة والأوبة إلى الله تعالى، عسى أن يغفر ذنبه، ويجبر كسره، ويدخله في

---

[1] صحيح مسلم،كتاب الصيام، باب استحباب صيام ثلاثة أيام من كل شهر وصوم يوم عرفة

[2] أخرجه الهيثمي، مجمع الزوائد،برواية جابر الأنصاري

[3] صحيح مسلم، كتاب الحج ، باب في فضل الحج والعمرة ويوم عرفة

رحمته الواسعة. فإنه لا يغفر الذنوب إلا الله، وهو يقبل التوبة عن عباده، ويعفو عن السيئات، إنه هو الغفور الرحيم ﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴾[1].

فحري بنا معاشر المسلمين أن نعطي هذه الأيام المباركة حقها، فنجتهد في الطاعات من صلاة وصيام وقيام، ونفارق المعاصي والآثام ، ونتقرب إلى الله تعالى بما أمرنا به، ونجتنب ما نهانا عنه، ونقبل بقلب خاشع ونفس منكسرة، رجاءً أن يقبل الله تعالى منا صالح الأعمال، ويتجاوز عن خطايانا والآثام.

وعلى المسلمين كافة أن يستقبلوا هذه الأيام بتوبة نصوح إلى الله تعالى، تتحقق فيها شروط التوبة؛ بالندم على ما فرط في جنب الله، والعزم على عدم العودة إلى الذنب، والإقبال على الطاعة، والتحلل من حقوق العباد. فالله تعالى يدعونا قائلاً : ﴿ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعاً أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾[2] وقوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحاً ﴾[3].

فما أحوجنا إلى توبة نصوح – وقد قيدتنا الذنوب – لكي نفوز برحمة الله ورضوانه، ونكون من المقبولين عنده في هذه الأيام المباركة، التي جعل الله فيها ثواب العمل الصالح أعظم من الجهاد في سبيل الله ، بنص حديث رسول الله الأسوة ﷺ.

نسأل الله تعالى أن يجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأن يمن علينا في هذه الأيام المباركة بتوبة نصوح ، ومغفرة سابغة، يتجاوز الله فيها عن سائر ذنوبنا، إنه هو التواب الرحيم .

وصلى الله وسلم وبارك على رسولنا الأسوة، وعلى آله الطاهرين، وصحابته الغر الميامين، ومن سار على نهجهم، واتبع سنتهم، إلى يوم الدين.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لَا يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ، يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ، إِلَّا بِإِحْدَى ثَلَاثٍ؛ الثَّيِّبُ الزَّانِي، وَالنَّفْسُ بِالنَّفْسِ، وَالتَّارِكُ لِدِينِهِ، الْمُفَارِقُ لِلْجَمَاعَةِ)

---

[1] الشورى :25

[2] النور:31

[3] التحريم:8

يذبح أضحية العيد

إن الأضحية سنة ماضية لسيدنا إبراهيم الخليل ﵇، الذي رأى في منامه أنه يذبح ولده إسماعيل ﵇ ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاء اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ * فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ * وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ * قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ * إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاء الْمُبِينُ * وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ﴾ [1] .

ففداه الله تعالى بذبح عظيم، وهو كما ذكرت كتب التفسير كبش عظيم، جاء به جبريل ﵇ .

وقد أقر النبي ﷺ سنة الأضحية، فكانت سنة باقية في شريعتنا الإسلامية، ونسكا من مناسك ديننا الحنيف، فقال الله تعالى :﴿قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * لاَ شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَاْ أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [2] .

وقد أخرج البخاري ومسلم عن أنس بن مالك ﵁: "**ضَحَّى النَّبِيُّ ﷺ بِكَبْشَيْنِ، أَمْلَحَيْنِ، أَقْرَنَيْنِ، ذَبَحَهُمَا بِيَدِهِ، وَسَمَّى، وَكَبَّرَ، وَوَضَعَ رِجْلَهُ عَلَى صِفَاحِهِمَا**"[3] .

فقد ثبتت مشروعية الأضحية بالكتاب والسنة الفعلية والقولية، فقد ضحى النبي ﷺ، وضحى أصحابه رضوان الله عليهم، وأخبر النبي ﷺ أن الأضحية هي سنة المسلمين، وأجمع المسلمون على مشروعيتها، والقول عند جمهور أهل العلم أنها سنة مؤكدة، لأن النبي ﷺ واظب عليها ولم يتركها .

ورأى بعض أهل العلم، أنها واجبة على المسلم البالغ العاقل المقيم، وعلى أي حال؛ فالأضحية من سنن الإسلام، وهي من طريق الرسول ﷺ، وطريق أصحابه، وهي من القرب إلى الله تعالى في يوم النحر، فالله يقول:﴿لَن يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِن يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنكُمْ كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَبَشِّرِ

---

[1] الصافات :102-106

[2] الأنعام :162-163

[3] صحيح البخاري ،كتاب الأضاحي، باب التكبير عند الذبح

الْمُحْسِنِينَ ﴾[1] ، ويقول ﴿ وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُم مِّن شَعَائِرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافَّ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ كَذَٰلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾[2] .

وروت عائشة رضي الله عنها:"أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: مَا عَمِلَ آدَمِيٌّ مِنْ عَمَلٍ، يَوْمَ النَّحْرِ، أَحَبَّ إِلَى اللَّهِ مِنْ إِهْرَاقِ الدَّمِ، إِنَّهَا لَتَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، بِقُرُونِهَا، وَأَشْعَارِهَا، وَأَظْلَافِهَا، وَأَنَّ الدَّمَ لَيَقَعُ مِنَ اللَّهِ بِمَكَانٍ، قَبْلَ أَنْ يَقَعَ مِنَ الْأَرْضِ، فَطِيبُوا بِهَا نَفْسًا"[3] .

ووقت ذبح الأضحية يبدأ بعد صلاة عيد الأضحى المبارك، ويستمر إلى اليوم الثالث من أيام النحر، قال الله تعالى: ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ﴾[4] وقال رسول الله ﷺ:" مَنْ ذَبَحَ قَبْلَ الصَّلَاةِ، فَإِنَّمَا ذَبَحَ لِنَفْسِهِ، وَمَنْ ذَبَحَ بَعْدَ الصَّلَاةِ، فَقَدْ تَمَّ نُسُكُهُ، وَأَصَابَ سُنَّةَ الْمُسْلِمِينَ "[5] وفي حديث آخر: "من ذبح قبل الصلاة، فإنما هو شاة لحم"[6] أي لا تجزيء عن الأضحية.

وأما الشروط الواجب توفرها في الأضحية، فهي كما يأتي :

1ـ أن تكون من الأنعام؛ وهي الإبل والبقر والغنم.

2ـ أن تبلغ السن المطلوبة شرعا، بأن تكون جذعه من الضأن، أو ثنية من غيره، لقول النبي ﷺ : " لَا تَذْبَحُوا إِلَّا مُسِنَّةً، إِلَّا أَنْ يَعْسُرَ عَلَيْكُمْ، فَتَذْبَحُوا جَذَعَةً مِنَ الضَّأْنِ"[7].

والمسنة هي الثنية فما فوقها، والجذعة ما دون السنة، فالثني من الإبل ما بلغ خمس سنين، والثني من البقر ما تم له سنتان، ومن الغنم ما أتم سنة، أما الجذع ما تم له نصف سنة، وهو ما إذا اختلط بالمسنات خفي بها، وقد أجاز مجلس الإفتاء الأعلى في فلسطين التضحية بالجذع من الضأن والعجول المسمنة، للتيسير على المضحي، إذ يعسر عليه أن يجد السن المطلوبة، وتتحقق حكمة الأضحية بوفرة اللحم في المسمن.

---

(1) الحج: 37

(2) الحج:36

(3) سنن الترمذي، كتاب الأضاحي عن رسول الله ، باب ما جاء في فضل الأضحية

(4) الكوثر : 2

(5) صحيح البخاري، كتاب الأضاحي ، باب سنة الأضحية

(6) أخرجه ابن تيمية في مجموع الفتاوى

(7) صحيح مسلم، كتاب الأضاحي ، باب سنة الأضحية

3ـ أن تكون الأضحية خالية من العيوب، كالعور البين، والمرض البين، والعرج البين، والهزال، لقول النبي ﷺ حينما سئل، ماذا يتقى من الأضاحي " **قَالَ: الْعَوراءُ الْبَيِّنُ عورُهَا، والعَرْجَاءُ الْبَيِّنُ ظَلْعُهَا، وَالْمَرِيضَةُ الْبَيِّنُ مَرَضُهَا، وَالْعَجْفَاءُ الَّتِي لَا تُنْقِي** " [1].

4ـ أن تكون الأضحية ملكا للمضحي، فلا تجوز الأضحية بالمغصوبة، أو المسروقة.

5ـ أن لا يتعلق بها حق الغير، كالمرهونة.

6ـ أن يضحي بها في الوقت المحدد شرعاً، وهو بعد صلاة العيد إلى اليوم الثالث من أيام النحر، وتصح الأضحية ليلا ونهارا في هذا الوقت، والأفضل من الأضاحي ما كان سمينا كثير اللحم، خاليا من العيوب.

أما بخصوص إجزاء الأضحية، فالأضحية الواحدة من الغنم تجزيء عن الرجل وأهل بيته، وأما الأضحية من الجمل أو البقر، فتجزيء عن سبعة أشخاص، أي سبعة بيوت، وأما توزيع لحم الأضحية، فمن السنة أن يأكل المضحي من أضحيته، ويوزعها أثلاثا؛ لبيته، وللفقراء، وللإهداء والادخار، لقوله تعالى: ﴿وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُم مِّن شَعَائِرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافَّ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ كَذَٰلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [2]، ولقول الرسول ﷺ: " **كُلُوا، وَأَطْعِمُوا، وَادَّخِرُوا** " [3].

نسأل الله تعالى أن يتقبل منا، ومن المسلمين، جميع الطاعات والقربات، وما نتقرب به من الأضاحي، في يوم النحر، امتثالا لأمر الله تعالى، واتباعا لسنة قدوتنا، وأسوتنا، سيدنا محمد الأمين ﷺ، وعلى آله الطاهرين، وصحابته الغر الميامين، ومن سار على نهجه، واتبع سنته، إلى يوم الدين .

ضَحَّى النَّبِيُّ ﷺ بِكَبْشَيْنِ، أَمْلَحَيْنِ، أَقْرَنَيْنِ، ذَبَحَهُمَا بِيَدِهِ، وَسَمَّى، وَكَبَّرَ، وَوَضَعَ رِجْلَهُ عَلَى صِفَاحِهِمَا

[1] سنن الدارمي، كتاب الأضاحي ، باب ما لا يجوز في الأضاحي

[2] الحج:36

[3] صحيح البخاري، كتاب الأضاحي ، باب ما يؤكل من لحوم الأضاحي وما يتزود منها

تحدثنا في حلقة سابقة عن خطبة الرسولﷺ يوم عرفة، وما فيها من الأحكام والبلاغ، وفي هذه الحلقة سنبين بلاغ النبي ﷺ، ووداعه لأمته، في خطبة يوم النحر، في حجة الوداع، فعن أبي بكرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قعد على بعيره، وأخذ إنسان بخطامه، فقال: " أَتَدْرُونَ أَيَّ يومٍ هذا؟ قَالُوا: اللَّهُ ورسُولُهُ أَعْلَم، حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُسَمِّيهِ سوى اسْمِه، فَقَالَ: أَلَيْس بِيوم النَّحْرِ، قُلْنَا: بَلَى يَا رَسُول اللَّه، قَالَ: فَأَيُّ شَهْرٍ هَذَا، قُلْنَا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: أَلَيْس بِذِي الْحِجَّة؟ قُلْنَا: بَلَى يَا رَسُول اللَّه، قَالَ: فَأَيُّ بَلَدٍ هَذَا؟ قُلْنَا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَم، قَالَ: حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُسَمِّيهِ سوى اسْمِه، قَالَ: أَلَيْسَ بِالْبَلْدَةِ؟ قُلْنَا: بَلَى يا رسول اللَّه، قَالَ: فَإِنَّ دماءكم، وَأَمْوَالَكُمْ، وَأَعْرَاضَكُمْ عليكم حَرَامٌ، كَحُرْمَةِ يَوْمِكُم هذا، فِي شَهْرِكُمْ هذا، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا، فَلْيُبَلِّغْ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ، قَالَ: ثُمَّ انْكَفَأَ إِلَى كَبْشَيْنِ أَمْلَحَيْنِ، فَذَبَحَهُمَا، وَإِلَى جُزَيْعَةٍ مِنْ الْغَنَمِ، فَقَسَمَهَا بَيْنَنَا " [1]، قال ابن عباس - رضي الله عنهما ـ : فو الذي نفسي بيده، إنها لوصيته إلى أمته، فليبلغ الشاهد الغائب .

وعن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ قال : " وَقَفَ النَّبِيُّ ﷺ يوم النَّحْرِ، بَيْنَ الْجَمَرَاتِ فِي الْحَجَّةِ الَّتِي حَجَّ بِهَذَا، وَقَالَ: هَذَا يومُ الحَجِّ الْأَكْبَرِ، فَطَفِقَ النَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ: اللَّهُمَّ اشْهَدْ، وَوَدَّعَ النَّاسَ، فَقَالُوا: هَذِهِ حَجَّةُ الْوَدَاعِ " [2] وقد فتح الله تعالى أسماع جميع الحجاج، حتى سمعوا خطبة النبي ﷺ يوم النحر ، وهذا من معجزاته ﷺ خاصة، إذا علمنا أنه قد حج برفقته ﷺ ما يزيد عن مائة ألف، وقيل مائة وثلاثين ألفاً .

يقول عبد الرحمن بن معاذ التيمي رضي الله عنه" خَطَبَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَنَحْنُ بِمِنًى، فَفُتِحَتْ أَسْمَاعُنَا، حَتَّى كُنَّا نَسمعُ مَا يَقُولُ، وَنَحْنُ فِي مَنَازِلِنَا، فَطَفِقَ يُعَلِّمُهُمْ مَنَاسِكَهُمْ، حَتَّى بَلَغَ الْجِمَارَ، فَوَضَعَ

[1] صحيح مسلم ، كتاب القسامة والمحاربين والقصاص والديات ، باب تغليظ تحريم الدماء والأعراض والأموال

[2] صحيح البخاري ، كتاب الحج ، باب الخطبة أيام منى

أُصْبُعَيْهِ السَّبَّابَتَيْنِ، ثُمَّ قَالَ: بِحَصَى الْخَذْفِ، ثُمَّ أَمَرَ الْمُهَاجِرِينَ، فَنَزَلُوا فِي مُقَدَّمِ الْمَسْجِدِ، وَأَمَرَ الْأَنْصَارَ فَنَزَلُوا مِنْ وَرَاءِ الْمَسْجِدِ، ثُمَّ نَزَلَ النَّاسُ بَعْدَ ذَلِكَ " [1]

والناظر في هذه الخطبة الكريمة البليغة الجامعة يجد أن النبي ﷺ قد استرعى أفهام الناس وهو يسألهم عن اليوم والشهر والبلد، ويسكت، ليظنوا أنه قد يسمي هذه الأشياء بغير اسمها، وذلك ليعوا أهمية ما يخبرهم عنه، ويبينه لهم من الأحكام .

فبعد أن أكد أن اليوم هو يوم النحر، والشهر هو شهر ذي الحجة المحرم، والبلد هي مكة المكرمة بلد البيت الحرام، وهي محرمة، لم تحل لأحد قط، إلا ساعة من نهار لرسول الله ﷺ يوم الفتح .

ويؤكد النبي ﷺ على حرمة الدماء والأموال والأعراض والأبشار، بما يشير إلى حرمة الجروح، وفي هذا التأكيد على الحرمة ما يبعد الناس عن الوقوع في الفتن واستحلال الدماء والأموال والأعراض والأبشار، إن هم اتبعوا هدي النبي ﷺ، وفي ذلك حماية لأمن المجتمع من أن تسوده الفوضى النابعة من استحلال الدماء والأموال والأرواح ، لأن الناس إن وقعوا في مثل هذه الذنوب والجرائم، قادتهم إلى الفرقة والخصومة والقتل والاقتتال الذي حرمه الله على المسلمين، وأكد ذلك نبيه الأكرم ﷺ وهو يودع الناس يوم النحر في حجة الوداع .

وقد أخبر النبي ﷺ الأمة بيوم الحساب، وأنهم سيسألون عن أعمالهم " **وستلقون ربكم، فيسألكم عن أعمالكم** "، وفي هذا تذكير واضح بالحشر والمعاد والحساب، كما أنه حث للناس على أن لا يقعوا في هذه الجرائم التي تسود الوجوه بسببها يوم القيامة ، فالمؤمن يسعى لطاعة الله في هذه الحياة، ويرجو أن يفوز برضوان الله ورحمته يوم القيامة، يوم العرض على الله تعالى ﴿ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴾[2] ﴿ يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ ﴾[3].

---

(1) سنن أبي داود ، أول كتاب المناسك ، باب ما يذكر الإمام في خطبته بمنى

(2) آل عمران :30

(3) الحاقة:18

﴿ وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَآئِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا * اقْرَأْ كَتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴾[1]

ويحث الرسول ﷺ الأمة على الثبات على التوحيد ودين الإسلام ، ويحذرهم من الردة والنكوص على الأعقاب، فيقول :" **لَا تَرْجِعوا بَعْدي كُفَّارًا يَضْرِب بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ** "[2]، والكفر هنا إما حقيقة، كما حصل لمن ارتد عن الدين بعد وفاة النبي ﷺ وحارب المسلمين .

وإما بالدخول في أعمال الكفر باستحلال الدماء والأموال والأعراض، لأنها أمور خطيرة، إن لم تهلك الإنسان فعلا، فإن مقارفها على خطر عظيم ، وهلاك محقق .

فهل أدرك الكثير ممن ينتسبون إلى الإسلام في أيامنا هذه، وصايا الرسول ﷺ، وهو يودع الأمة في حجة الوداع، ويوم عرفة، ويوم النحر ، ويبين بشكل قاطع حرمة دماء المسلمين، وأموالهم، وأعراضهم، وأبشارهم، ليكفوا عن تكفير المسلمين، وعن إعمال السيف في رقابهم .

وقد أشهد الرسول ﷺ على هذا البلاغ رب العالمين، مالك الدنيا، ومالك يوم الدين، الذي لا يغيب عن علمه شيء، ولا تخفى عليه خافية، كما أمر المسلمين أن يبلغ شاهدهم غائبهم، فرب مبلغ أوعى من سامع .

وقد أفاض العلماء ـ رضوان الله عليهم ـ في بيان أحكام هذه الخطب النبوية الشريفة، وبلغوا الأمة خير بلاغ، وبينوا لها أوضح بيان، فغدا المبَلَّغ واعياً لا عذر له بعد هذا البيان، وفي جميع الأحوال فالكل راجع إلى الله ، فبائع نفسه، فمعتقها، أو موبقها : ﴿ وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾[3] وقد ضحى رسول الله ﷺ يوم النحر بكبشين أملحين، ذبحهما بيده .

كما تعاهد رسول الله ﷺ الحجيج بهديه وإرشاده ، ومما جاء في خطبته في اليوم الثاني من أيام التشريق" **يَا أَيُّهَا النَّاسُ؛ أَلَا إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ، وَإِنَّ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ، أَلَا لَا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى أَعْجَمِيٍّ،**

---

(1) الإسراء: 13-14

(2) صحيح البخاري، الفتن، قول النبي ﷺ لا ترجعوا بعدي كفارا

(3) البقرة: 281

وَلَا لِعَجَمِيٍّ عَلَى عَرَبِيٍّ، وَلَا لِأَحْمَرَ عَلَى أَسْوَدَ، وَلَا أَسْوَدَ عَلَى أَحْمَرَ، إِلَّا بِالتَّقْوَى "[1]، وفي هذا بيان عام وواضح لحقوق الإنسان وكرامته، وأن التفاضل بين الناس في التقوى والعمل الصالح .

كما حث رسول الله ﷺ الناس على الطاعة والمحافظة على أركان الإسلام ، فقال :" اتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ، وَصَلُّوا خَمْسَكُمْ، وَصُومُوا شَهْرَكُمْ، وَأَدُّوا زَكَاةَ أَمْوَالِكُمْ، وَأَطِيعُوا ذَا أَمْرِكُمْ، تَدْخُلُوا جَنَّةَ رَبِّكُمْ"[2].

نسأل الله تعالى أن نكون من الذين يستمعون القول، فيتبعون أحسنه ، وممن وعى عن رسول الله ﷺ بلاغه، فعمل بموجبه حتى نلقى الله تعالى وهو راضٍ عنا .

وصلى الله وسلم وبارك على رسولنا الأسوة، وعلى آله الطاهرين ، وصحابته الغر الميامين، ومن سار على نهجهم، إلى يوم الدين.

" وَقَفَ النَّبِيُّ ﷺ يَوْمَ النَّحْرِ بَيْنَ الْجَمَرَاتِ فِي الْحَجَّةِ الَّتِي حَجَّ بِهَذَا، وَقَالَ: هَذَا يَوْمُ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ، فَطَفِقَ النَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ: اللَّهُمَّ اشْهَدْ، وَوَدَّعَ النَّاسَ، فَقَالُوا: هَذِهِ حَجَّةُ الْوَدَاعِ "

[1] مسند أحمد ، باقي مسند الأنصار، حديث رجل من أصحاب النبيﷺ

[2] سنن الترمذي ، كتاب الجمعة عن رسول الله

ينهى عن سب الصحابة

21/ذو الحجة/1429هـ وفق 2008/12/19م

يستشرف النبي ﷺ آفاق الزمان والمكان ليوجه نهياً واضحاً يحذر فيه عن الخوض في سب الصحابة، أو التعرض بالأذى لأي واحد منهم.

في حديثه الشريف الذي رواه أبو سعيد الخدري رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ " لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي، فَلَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا، مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ، وَلَا نَصِيفَهُ" [1].

إنه الفضل الكبير، والمقام العظيم، الذي حظي به أصحاب رسول الله ﷺ عند الله، وعند رسوله، ولذلك جاء التحذير من سب الصحابة، أو أحدهم، على لسان رسول الله ﷺ، بشكل واضح وقاطع، ودون استثناء لأحد منهم، وهذا بيّنه في قوله ﷺ:" أحداً من أصحابي"؛ أي ولا واحدا منهم، ويأتي النهي عن سب الصحابة، ممن عرف قدر هؤلاء القوم، وهو سيدهم ورسول الله ﷺ، الذي خبر معادن أصحابه، ووقف على تضحياتهم، وإخلاصهم، وصدق نواياهم، ومواقفهم. إنه الحكم في هذا الأمر، يرجع إلى قوله بعد قول الله تعالى، بحق الصحابة، ومن تبعهم بإحسان ﴿ وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ [2] .

قال الإمام ابن كثير ـ رحمه الله ـ عن تفسير هذه الآية: " اخبر الله تعالى في هذه الآية، أنه قد رضي عن السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار، والذين اتبعوهم بإحسان، فيا ويل من أبغضهم، أو سبهم، أو أبغض، أو سب بعضهم.

فإن الطائفة المعزولة من الرافضة، يعادون أفضل الصحابة، ويبغضونهم، ويسبونهم، وهذا يدل على أن أهل تلك الطائفة المعزولة، عقولهم معكوسة، وقلوبهم منكوسة.

---

[1] صحيح البخاري، كتاب المناقب ، باب قول النبي ﷺ لو كنت متخذا خليلا

[2] التوبة : 100

وهذا وصف ينطبق على كل من يتعرض بأذى، أو شتم، أو سب، لأي واحد من أصحاب رسول الله ﷺ، فالمسلم الذي يتبع هدي رسول الله ﷺ، ويتبع أصحابه بإحسان، هو البعيد عن الوقوع في أذى الصحابة، أو سب أحدهم.

فكيف بمن يسب سادة الصحابة وكبراءهم، كأبي بكر وعمر وعائشة، رضي الله عنهم جميعاً، الذي نزل القرآن بالثناء عليهم، والرضى عنهم من رب العالمين.

إنه الفسق والزندقة اللذان يقودان إلى الخروج عن الملة، والعياذ بالله، برد الآيات الكريمة والأحاديث الصحيحة، التي تحدثت عن فضل هؤلاء الصحابة، ومكانة أصحاب رسول الله ﷺ جميعاً.

فلا يغتر مسلم من أهل الإيمان، بأولئك الذين يرفعون شعار الإسلام، وينادون بإقامة دولته، وجمع أمته، وهم يناصبون كبار الصحابة العداوة، والبغضاء، ويشتمونهم، بل يكرهون من يتسمى باسمهم، حتى يصل الأمر بهم، إلى قتله لا لذنب إلا لاسمه.

نعوذ بالله من الضلالة والغواية ونسأله الثبات والهداية، لنا ولإخواننا المسلمين، على طريق الحق والهدى والنور، طريق الذين أنعم الله عليهم من أصحاب رسول الله ﷺ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وقد يسأل سائل، لماذا كل هذا التكريم والتبجيل لأصحاب رسول الله ﷺ؟

وللجواب على ذلك نقول:

أولاً: إن أصحاب رسول الله ﷺ، هم الذين آمنوا بهذا الدين، واتبعوا الرسول ﷺ، وقدموا أنفسهم وأموالهم في سبيل نصرة هذا الدين، وحماية الرسالة والرسول، وهم الذين حملوا هذا الدين وتعاليمه، لمن تبعهم من المسلمين، فبلغوا كما أمر رسول الله ﷺ" أَلَا لِيُبَلِّغْ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ "[1]

فكانوا نِعم المبلغ، ونِعم المعلم.

---

[1] سنن ابن ماجه، المقدمة، من بلغ علما

ثانياً: لقد أثنى الله تعالى عليهم، ووصفهم في كتابه الكريم ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحاً قَرِيباً﴾[1] رضي الله عنهم ورضوا عنه ﴿لِلْفُقَرَاء الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَاناً وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾[2].

كما وصفهم رسول الله ﷺ بقوله: " **النُّجُومُ أَمَنَةٌ لِلسَّمَاءِ، فَإِذَا ذَهَبَتْ النُّجُومُ، أَتَى السَّمَاءَ مَا تُوعَدُ، وَأَنَا أَمَنَةٌ لِأَصْحَابِي، فَإِذَا ذَهَبْتُ، أَتَى أَصْحَابِي مَا يُوعَدُونَ، وَأَصْحَابِي أَمَنَةٌ لِأُمَّتِي، فَإِذَا ذَهَبَ أَصْحَابِي، أَتَى أُمَّتِي مَا يُوعَدُونَ** "[3] .

ومن كان أمانا للأمة كان له الشرف العظيم، والفضل الكبير في الناس، وعند الله تعالى، فانظر رعاك الله إلى أحوال الأمة، بعد أصحاب رسول الله ﷺ وتابعيهم، إذ لا صلاح للأمة إلا بما صلح عليه أولها، وهو نهج أصحاب رسول الله ﷺ، الذين ضحوا بكل متاع الدنيا في سبيل إعزاز هذا الدين، ونصرته، وتبليغه للناس أجمعين.

ثالثاً: النهي القاطع من رسول الله ﷺ بعدم التعرض لأصحابه بالأذى. يقول ﷺ " **اللَّهَ، اللَّهَ، فِي أَصْحَابِي، اللَّهَ، اللَّهَ، فِي أَصْحَابِي، لَا تَتَّخِذُوهُمْ غَرَضًا بَعْدِي، فَمَنْ أَحَبَّهُمْ، فَبِحُبِّي أَحَبَّهُمْ، وَمَنْ أَبْغَضَهُمْ، فَبِبُغْضِي أَبْغَضَهُمْ، وَمَنْ آذَاهُمْ، فَقَدْ آذَانِي، وَمَنْ آذَانِي، فَقَدْ آذَى اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وَمَنْ آذَى اللَّهَ، فَيُوشِكُ أَنْ يَأْخُذَهُ** "[4].

وفي حديث آخر "**إِذَا رَأَيْتُمُ الَّذِينَ يَسُبُّونَ أَصْحَابِي، فَقُولُوا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى شَرِّكُمْ**"[5] .

رابعاً: إن أصحاب الرسول ﷺ هم الذين حفظوا القرآن الكريم، وقراءاته عن الرسول ﷺ، فتلقوه كما أُنزل على النبي ﷺ، وفي هذا شرف عظيم لهم، حيث كانوا الوسيلة لحفظ هذا القرآن الذي

---

[1] الفتح:18
[2] الحشر : 8
[3] صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة ، باب أمان لأصحابه
[4] مسند أحمد أول مسند البصريين حديث عبد الله بن مغفل المزني رضي الله عنه
[5] سنن الترمذي، كتاب المناقب عن رسول الله، باب فيمن سب أصحاب النبي ﷺ

تكفل الله بحفظه في قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾[1] .

كما حفظوا ونقلوا لنا سنة النبي ﷺ وأحكام هذا الدين، كما سمعوها، وشاهدوها، من أقوال رسول الله ﷺ، وأفعاله، وتقريره، وبينوا أحكام الدين، حسب فهمهم لكلام الله، وهم أهل اللغة والبيان، وأقرب الناس إلى أسباب النزول، فبهم حفظ هذا الدين، ونقل إلى من تبعهم بإحسان، حتى وصل إلينا، وسيبقى إلى أن يرث الله الأرض وما عليها.

فرضي الله عن صحابة رسول الله أجمعين، وجزاهم عنا وعن المسلمين، خير ما جزى سلفاً عن خلف، وجعلنا ممن أحب رسول الله ﷺ، وأحب أصحابه بحبه، عسى أن نكون من الفائزين، وبمن شملهم قول الله تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾[2]، وصلى الله وسلم وبارك على رسولنا الأسوة، وعلى آله الطاهرين، وصحابته الغر الميامين، ومن سار على نهجهم، إلى يوم الدين.

قال رسول الله ﷺ " لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي، فَلَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا، مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ، وَلَا نَصِيفَهُ "

---

(1) الحجر : 9

(2) التوبة : 100

يرى دار هجرته

28/ذو الحجة/1429هـ وفق 2008/12/26م

كان الرسولﷺ قبل النبوة معروفاً لدى قومه بالصدق، والأمانة، والأخلاق الكريمة، حتى لقبوه بالأمين، ولما اختلفت قريش على من يضع الحجر الأسود في مكانه، حينما أعادوا بناء الكعبة المشرفة، نزلوا على رأي أول داخل إلى البيت، فكان رسول الله ﷺ، فقالوا: جاء الأمين ، وتهللوا فرحاً، وقد حكم ﷺ بينهم، بما أرضى الجميع، بأن جعل الحجر الأسود في رداء، تحمل كل قبيلة بطرف منه، ثم أخذه ﷺ، ووضعه في مكانه، وهكذا انفض نزاع بين القبائل القرشية، كاد يثير حروباً ونزاعات، تربو على حرب داحس والغبراء.

إلا أن هذه المكانة العظيمة للنبي ﷺ، بين أهل مكة، لم تمنعهم من مناصبته العداء، حينما دعاهم إلى توحيد الله، وإفراده بالربوبية، وترك ما هم عليه من الغواية والضلال، وإتباع هذا الدين الحق الذي أخرج الناس جميعاً من الظلمات إلى النور، وكان آخر عهد هذه الدنيا بنور السماء، الآتي مع أمين الوحي جبريل عليه السلام.

إنها سنة الله في رسله وأنبيائه ـ عليهم أفضل الصلاة والسلام ـ أن يجدوا صداً وتعنتاً من زعماء أقوامهم، لأن الصراع بين الحق والباطل، هو الذي يكشف معادن المؤمنين، ويبين صبر أتباع الحق وتضحياتهم، وتحملهم أعباء حمل الدعوة، وحماية الداعية.

وقد أخبر ورقة بن نوفل رسول الله ﷺ ، حينما قص عليه خبر الوحي، بأن قومه سيخرجونه من مكة[1] .

لأن قوى الباطل لا تقبل الحق ، وأن زعماء المكاسب والمناصب والامتيازات لا يفرطون بها، إلا من رحم ربي، وأراد له الهداية في الدنيا، والنجاة في الآخرة.

وقد ناصب زعماء مكة الدعوة الإسلامية العداوة والبغضاء، والحقد والأذى بمن آمن بالله واتبع رسوله ﷺ، خاصة أولئك المستضعفين من المسلمين الأوائل، حتى استشهد بعضهم كياسر وزوجه

---

[1] سيرة ابن هشام، العهد المكي، بعثة النبي وبدء الوحي، رسول الله ﷺ يقص على خديجة ما كان من أمر جبريل معه

سمية، رضي الله عنهما، وقد كان الرسول ﷺ يمر عليهم وهم يعذّبون، فيقول لهم:" **صبرا آل ياسر، فإن موعدكم الجنة** "[1] .

وقد اشتد الأذى على المسلمين في مكة حتى أذن لهم النبي ﷺ بالهجرة إلى الحبشة، لأن فيها ملكاً لا يظلم عنده أحد.

إلا أن إرادة الله تعالى وتقديره اقتضيا أن يهاجر النبي ﷺ إلى يثرب، وقد رأى ﷺ دار هجرته في منامه، وما يراه الأنبياء في منامهم فهو من الحق والوحي:" **قَدْ أُرِيتُ دَارَ هِجْرَتِكُمْ، رَأَيْتُ سَبْخَةً ذَاتَ نَخْلٍ، بَيْنَ لَابَتَيْنِ، وَهُمَا الْحَرَّتَانِ** "[2] . وهذا الوصف ينطبق على المدينة المنورة، على ساكنها أفضل الصلاة، وأتم التسليم.

ولما أذن الرسول ﷺ بالهجرة إلى المدينة المنورة أخذ الصحابة ، رضوان الله عليهم ، يتقاطرون على المدينة، وكان الأنصار الذين تبوؤوا الدار والإيمان في استقبال إخوانهم المهاجرين؛ ينصرونهم، ويؤوونهم، ويقاسمونهم بيوتهم وأموالهم، إنها أخوة الإيمان التي تسمو على كل الأواصر والعلائق، وإنها تضحية السابقين الأولين من أبناء هذه الأمة الإسلامية الكريمة.

ويبقى النبي ﷺفي مكة ـ وقد اطمأن على أصحابه المهاجرين ـ ينتظر أمر الله وإذنه له بالهجرة، ليخرج من مكة، يصاحبه الصديق رضي الله عنه، تحرسهما عناية الله، وقد أخذ بكل الأسباب والاحتياطات لنجاح هجرته، حتى وصوله إلى دار الهجرة طيبة الطيبة، التي احتضنت المهاجرين الذين شكلوا مع الأنصار المجتمع الإيماني الأول، وكانوا عماد دولة الإسلام الأولى، التي يقودها رسول الله ﷺ، وتحميها سواعد المؤمنين من أمة الإسلام العظيمة، التي اجتمعت في دار الهجرة، تنصر الله ورسوله، وتحمل هذا النور المبين، الذي أضاء مشارق الأرض ومغاربها، وجعل من الأعراب المتقاتلين على سبق فرس أو بعير ﴿ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾[3]. إنها الهجرة الشريفة، أكبر حدث في تاريخ الإسلام بعد مولد النبي ﷺ وبعثته، ولذلك اختار الفاروق عمر بن الخطاب ومعه الصحابة الكرام ،رضوان الله عليهم، أن تكون الهجرة الشريفة مبدأ للتأريخ الإسلامي لأمة المسلمين.

---

[1] أخرجه الألباني عن الصحابي جابر بن عبد الله في فقه السيرة

[2] صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب هجرة النبي ﷺ وأصحابه إلى المدينة

[3] الأنفال:46

فقد انتقل المسلمون بالهجرة، من وطن تسوده أحكام الكفر، وتسيطر عليه قوى الشر، والبغي، والشرك، ويستضعف فيه المسلمون، ويضطهدون، ويمنعون من إظهار دينهم، والطواف بالبيت العتيق، الذي تحيط به الأصنام والأوثان.

لقد انتقلوا إلى دار عز ومنعة، بنوا فيها المسجد النبوي، وأقاموا مجتمع الإيمان، في ظل أخوة إيمانية لم يشهد التاريخ مثيلاً لها. وأسسوا دولة الإسلام الأولى، قائدها وحاكمها سيد المرسلين، وخير الأولين والآخرين، الذي بلّغ الرسالة، وأدى الأمانة، وما غادر الدنيا حتى دانت جزيرة العرب بالإسلام، ودخل الناس في دين الله أفواجا.

وعاد المهاجرون بقيادة النبي ﷺ إلى وطنهم مكة بمجموع الأمة الإسلامية، وارتفع نداء التوحيد الخالد من فوق الكعبة المشرفة، إيذاناً بانتهاء عهد الشرك والوثنية، وانطلاق آفاق الإيمان الرحبة، التي وسعت الناس جميعاً على اختلاف ألوانهم وأجناسهم.

إن حدث الهجرة النبوية الشريفة يحمل مشروعاً متكاملاً للأمة، ولشعوبها كافة، في إعادة بعث وحدة الأمة، بتفعيل عوامل القوة فيها، وهي موجودة ومتوفرة، ولا ينقصها سوى النوايا الصادقة التي توفرت في خير سلف لهذه الأمة؛ وهم أصحاب رسول الله ﷺ، وفي مقدمتهم أبو بكر الصديق رضي الله عنه، أول رجل اعتنق الإسلام من المسلمين، وصاحب رسول الله ﷺ في الغار والهجرة ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[1].

فهلا استفدنا نحن أصحاب هذه الديار المباركة، وغيرنا من شعوب المسلمين، من دروس الهجرة النبوية الشريفة، وهلا عملت الأمة بمجموعها على إعادة المهجّرين إلى ديارهم.

إنها الهجرة النبوية، ترسم طريق العزة وخارطة العودة إلى الديار في ظل الإيمان وعزة الإسلام.

فهل أدرك بنو قومي وإخوتي في وطني، فعملوا يداً واحدة، وصفاً متراصاً، وحشدوا كل طاقاتهم مستعينين بإمكانات أمتهم ـ ما وجدوا إلى ذلك سبيلاً ـ لإعادة العزة واللحمة والوحدة لهذا الوطن الجريح النازف، في رحاب المسجد الأقصى، وبيت المقدس، وأكناف بيت المقدس.

---

[1] التوبة: 40

ولتكن ذكرى الهجرة النبوية الشريفة محطة مراجعة لكل مواقفنا، نستلهم منها العمل وفق سنة سيد المهاجرين، رسولنا الأسوة، صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله الطاهرين، وصحابته الغر الميامين، ومن تبعهم بإحسان، إلى يوم الدين.

﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾

في حديث شريف، وتوجيه نبوي كريم، من جوامع كلم رسول الله ﷺ، يبدو لنا معاشر المسلمين حث رسول الله ﷺ، على الوحدة، والاعتصام بحبل الله تعالى، فقد روى أبو هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال:"إِنَّ اللَّهَ يَرْضَى لَكُمْ ثَلَاثًا، وَيَكْرَهُ لَكُمْ ثَلَاثًا، فَيَرْضَى لَكُمْ: أَنْ تَعْبُدُوهُ، وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَأَنْ تَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا، وَلَا تَفَرَّقُوا، وَيَكْرَهُ لَكُمْ: قِيلَ وَقَالَ، وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ، وَإِضَاعَةَ الْمَالِ"[1] .

لما كانت وحدة الأمة حجر الزاوية في بناء المجتمع الإسلامي، بين رسول الله ﷺ أسس هذه الوحدة، والأركان التي تقوم عليها، وهي أركان تقوم على توحيد الله سبحانه وتعالى، والبعد عن الشرك، مهما كان صغيراً أو قليلاً، وإفراد الله تعالى بالعبادة والطاعة.

فمن موجبات الإيمان، ومقتضيات توحيد الله تعالى؛ أن يعبد وحده، ولا يتوجه مؤمن لغيره بعبادة أو قربة، لأن مستحق العبادة بحق هو الله، الذي خلقنا، ورزقنا، وأنعم علينا بنعمة الإيمان، وهدانا إلى سواء السبيل.

وإن رابطة العقيدة هذه ـ التي توجه المسلمين جميعاً إلى عبادة الله بمدلولها الواسع الشامل ـ هي الرابطة الكبرى، التي يرتبط بها المسلمون جميعاً، وهي المظلة الشاملة، التي يستظل بها المؤمنون في ولاية تشملهم جميعاً، لقوله تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾[2].

إن المسلم يتوجه دائماً في عبادته، وفي جميع أعماله، التي تحولها النية إلى عبادة إلى الله تعالى، وهذا سر عظيم، وحبل متين لربط أعمال المسلم جميعها، بغايات رضى الله تعالى، وإفراده بهذه العبادات، والطاعات، والأعمال الخالصة من الشرك، أو الرياء الذي يحبط الأعمال.

وإن هذه الأعمال الخالصة لله تعالى، هي التي يحوز صاحبها على رضوان الله تعالى، ويفوز بثوابه الجزيل، وعطائه العظيم، يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا﴾

[1] صحيح مسلم ، كتاب الأقضية ، باب النهي عن كثرة المسائل من غير حاجة والنهي عن منع

[2] التوبة:71

﴿خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا﴾[1].ولا يغيبن عن ذهن كل مسلم ومؤمن، أن أعظم ذنب يقترفه الإنسان، هو ذنب الشرك، فلا ميزان لكل الأعمال، وإن كانت خيرة، إذا خالطها الشرك، أو تسرب إلى قلب عاملها، فقد قطع الله جل وعلا، على نفسه وعداً، بأنه لا يغفر الشرك، ولا يتجاوز عن صاحبه، في نص محكم من كتابه الكريم، فقال تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾[2].

وهذه قضية حسمها الله تعالى ، فلا رضى عن عقيدة، أو عمل يخالطه شرك، ولذلك نبه رسول الله ﷺ في هديه الشريف "....**وأمرنا أن نعبد الله وحده، لا نشرك به شيئاً**...."[3].

ومن مقتضيات عبادة الله وتوحيده، اتباع ما أمر به، واجتناب ما نهى عنه، وقد أمرنا ورضي لنا، أن نعتصم بحبله المتين، ولا نتفرق، لأن الفرقة تؤدي إلى الضعف والهوان، والوحدة تقود إلى القوة، والعزة، والمنعة، والتمكين.

وقد ذكرنا الله تعالى بذلك من واقع أمتنا في بداية دعوة الإسلام، فقال تعالى:﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾[4].

ولا يخفى على ناظر إلى أحوال الأمة العربية، وما كان يسودها من نزاعات، وخلافات، وفرقة، وحروب، قبل مجيء دعوة الإسلام، التي أنقذتهم من جاهلية جهلاء، إلى نور الهداية والتوحيد والإيمان، فغدوا أمة دون الناس، يسعى بذمتهم أدناهم، لحديث الرسول ﷺ: "**المُسلمُونَ تتكافأُ دماؤُهم، يَسْعَى بِذِمَّتِهِمْ أَدْنَاهُمْ، وَيُجِيرُ عَلَيهِمْ أَقْصَاهُمْ، وَهُمْ يَدٌ عَلَى مَنْ سِوَاهُمْ، يَرُدُّ مُشِدُّهُمْ عَلَى مُضْعِفِهِمْ، وَمُتَسَرِّيهِمْ عَلَى قَاعِدِهِمْ، لَا يُقْتَلُ مُؤْمِنٌ بِكَافِرٍ، وَلَا ذُو عَهْدٍ فِي عَهْدِهِ**"[5].

---

[1] الكهف: 107-108
[2] النساء:48
[3] مسند أحمد،مسند أهل البيت،حديث جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه
[4] آل عمران:103
[5] سنن أبي داود، كتاب الجهاد، باب في السرية ترد على أهل العسكر

وهكذا آتى الاعتصام بحبل الله أكله في سلف هذه الأمة، وهو كذلك في خلفها، إذا عمل بما يرضي الله، فاعتصم بحبل الله، وهو ما أمر به الله تعالى، وبينه رسول الله ﷺ.

وهو الذي يصلح الأمة المتفرقة اليوم؛ إذ إن حال أمتنا الإسلامية اليوم لا يسر صديقاً، ولا يغيظ عدواً، فقد اعتراها من الفرقة والضعف، ما لم تشهده في حقبات ماضية من تاريخها، إذ كانت حينما تضعف، سرعان ما تعود إلى حبل الله المتين، تجتمع حوله، وتتوحد على هديه، فيتحول حالها، ويتغير واقعها.

فما أحوجها اليوم إلى هذا الاعتصام بحبل الله، حتى تزيل فرقتها، وتنهض من ضعفها، وتعود إلى مكانتها التي اختارها الله لها، وتمارس رسالتها في الدعوة إلى الإيمان، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

كما أخبر الله تعالى وبين في كتابه: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾[1] ورضي الله عن الفاروق عمر، حيث قال: "من أحب أن يكون من هذه الأمة فليؤد شرطها".

فالواجب على أهل الإسلام اليوم، وقد اشتدت بهم البلايا، ونزلت بهم الرزايا، أن يقوى تعاضدهم، وتتضافر جهودهم لنصرة دينهم، وحماية بلادهم وشعوبهم، وأن يكونوا صفاً واحداً، متعاونين على البر والتقوى، نابذين العداء والبغضاء والفرقة من صفوفهم، حتى يفوتوا على الطامعين بهم فرصة الاعتداء عليهم، والنيل من شعوبهم، ونهب خيراتهم، فإن الخلاف والنزاع يقودان إلى الفشل وذهاب القوة، ﴿وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾[2] وإن الوحدة ورص الصفوف يقودان إلى النصر والعزة والكرامة، ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَانٌ مَّرْصُوصٌ﴾[3] وإن المواقف القولية بلا عمل، والانشغال بكثرة التساؤلات والتفاصيل، فيما يواجه الأمة من قضايا تبحثها، يؤدي غالباً إلى عدم الاتفاق، أو الوصول، إلى الحد الأدنى من التفاهم والتعاون، ويضيع الوقت والمال هدراً.

---

(1) الأنفال: 46

(2) الممتحنة: 4

(3) آل عمران: 110

ولو كان في الأقوال المجردة، وكثرة الأسئلة خيراً، لما كره الله ذلك، ولما نهى عنه في قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ ﴾ [1].

ولما قال رسول الله ﷺ: " **وَيَكْرَهُ لَكُمْ ثَلَاثًا ؛ قِيلَ وَقَالَ، وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ، وَإِضَاعَةَ الْمَالِ** " [2].

وانظروا إن شئتم إلى المساجلات الإعلامية، التي تقوم في غالبها على القيل والقال، الذي يؤدي إلى بث النزاع، ويعمق الخلاف بين أبناء الشعب الواحد لا بل بين شعوب الأمة ودولها.

فما أحوج الأمة الإسلامية اليوم، إلى مراجعة كتاب الله، وسنة رسوله ﷺ، ومواقف سلفها الصالح ، لتجد الطريق إلى الخروج من هذا الواقع المؤلم، وتتجاوز كل المصائب والنكبات التي حلت بها، وتنهض بمسؤوليتها وواجباتها على الوجه الذي يرضي الله، ويحفظ للأمة كرامتها، وللشعوب حريتها، وللدين عزته.

وهي إن سلكت هذا السبيل، فإنما تسلك سبيل رسولنا الأسوة، وهو خير قدوة ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾ [3].

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد، وعلى آله، وأصحابه أجمعين، ومن سار على نهجهم، إلى يوم الدين.

قال الرسول صلى الله عليه وسلم : (الْمُسْلِمُونَ تَتَكَافَأُ دِمَاؤُهُمْ، يَسْعَى بِذِمَّتِهِمْ أَدْنَاهُمْ، وَيُجِيرُ عَلَيْهِمْ أَقْصَاهُمْ، وَهُمْ يَدٌ عَلَى مَنْ سِوَاهُمْ، يَرُدُّ مُشِدُّهُمْ عَلَى مُضْعِفِهِمْ، وَمُتَسَرِّيهِمْ عَلَى قَاعِدِهِمْ، لَا يُقْتَلُ مُؤْمِنٌ بِكَافِرٍ، وَلَا ذُو عَهْدٍ فِي عَهْدِهِ)

---

[1] المائدة:101

[2] صحيح مسلم ،كتاب الأقضية ،باب النهي عن كثرة المسائل من غير حاجة والنهي عن منع

[3] الأحزاب:21

يحدثنا الصحابي الجليل أنس بن مالك ﷺ" أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ لِأَكْثَمَ بْنِ الْجَوْنِ الْخُزَاعِيِّ: يَا أَكْثَمُ؛ اغْزُ مع غَيْرِ قومك، يَحسُنْ خلقك، وَتَكْرُمْ على رُفَقَائِكَ، يَا أَكْثَمُ؛ خَيْرُ الرُّفَقَاءِ أَرْبَعَةٌ، وَخَيْرُ السَّرَايَا أَرْبَعُ مِائَةٍ، وَخَيْرُ الْجُيُوشِ أَرْبَعَةُ آلَافٍ، وَلَنْ يُغْلَبَ اثْنَا عَشَرَ أَلْفًا مِنْ قِلَّةٍ"[1].

هدي شريف، وتوجيه كريم، من الرسولﷺ لأحد أصحابه، وهو أكثم بن الجون الخزاعي، يعلمه فيه آداب الغزو والجهاد، وهذا الهدي، وإن كان موجهاً لأكثم، إلا أنه شامل لجميع المسلمين، ولا يخفى على أحد من المسلمين ما للغزو، والجهاد في سبيل الله، من أجر، وثواب، وفضل لأصحابه ، فالله تعالى يقول: ﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾[2].

وكثيرة هي الآيات الكريمة التي تحث على الجهاد، منها : ﴿ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾[3]، ﴿ انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾[4]، ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ * تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾[5].

كما بينت الآيات الكريمة، ثواب الشهداء ومنزلتهم عند الله تعالى ، فقال سبحانه وتعالى: ﴿ وَلَا

---

[1] سنن ابن ماجه،كتاب الجهاد، باب السرايا
[2] التوبة: 111
[3] البقرة:190
[4] التوبة:41
[5] الصف:10-11

تقولوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِن لاَّ تَشْعُرُونَ ﴾[1] وقوله تعالى: ﴿ وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاء عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ * فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُواْ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلاَّ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾[2].

فهذه أوسمة ربانية يمنحها الله للشهداء من المجاهدين في سبيل الله، والرسول ﷺ يقول:"**أَرْوَاحُ الشُّهَدَاءِ عِنْدَ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فِي حَوَاصِلِ طَيْرٍ خُضْرٍ، لَهَا قَنَادِيلُ مُعَلَّقَةٌ بِالْعَرْشِ، تَسْرَحُ فِي أَيِّ الْجَنَّةِ شَاؤوا، ثُمَّ تَرْجِعُ إِلَى قَنَادِيلِهَا، فَيُشْرِفُ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ، فَيَقُولُ: أَلَكُمْ حَاجَةٌ؟ تُرِيدُونَ شَيْئًا؟ فَيَقُولُونَ: لَا، إِلَّا أَنْ نَرْجِعَ إِلَى الدُّنْيَا، فَنُقْتَلَ مَرَّةً أُخْرَى**"[3].وفي حديث آخر "**مَا أَحَدٌ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ، يُحِبُّ أَنْ يَرْجِعَ إِلَى الدُّنْيَا، وَلَهُ مَا عَلَى الْأَرْضِ مِنْ شَيْءٍ، إِلَّا الشَّهِيدُ، يَتَمَنَّى أَنْ يَرْجِعَ إِلَى الدُّنْيَا، فَيُقْتَلَ عَشْرَ مَرَّاتٍ، لِمَا يَرَى مِنَ الْكَرَامَةِ**"[4]، ويكفي الشهيد تكريماً أنها تغفر ذنوبه كلها: "**يُغْفَرُ لِلشَّهِيدِ كُلُّ ذَنْبٍ، إِلَّا الدَّيْنَ** "[5].

وقد بين الرسول ﷺ ثواب الجهاد والرباط، في قوله: "**غَدْوَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا، وَمَا فِيهَا، وَرَوْحَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا، وَمَا فِيهَا، وَمَوْضِعُ سَوْطٍ فِي الْجَنَّةِ، خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا، وَمَا فِيهَا**"[6]،"**رِبَاطُ يَوْمٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا، وَمَا عَلَيْهَا**"[7].

والنصوص كثيرة في فضل الجهاد، والرباط، وتجهيز المجاهدين، وخلافتهم في أهلهم وذويهم، والإعداد في سبيل الله، له أجر الجهاد، فالرسول ﷺ يقول:" **مَنْ جَهَّزَ غَازِيًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ، فَقَدْ غَزَا ، وَمَنْ خَلَفَ غَازِيًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِخَيْرٍ، فَقَدْ غَزَا** "[8].

---

[1] البقرة:154

[2] آل عمران:168-169

[3] سنن الدارمي، كتاب الجهاد،باب ما يتمنى الشهيد من الرجعة إلى الدنيا

[4] صحيح البخاري،كتاب الجهاد والسير،باب تمني المجاهد أن يرجع إلى الدنيا

[5] صحيح مسلم،كتاب الإمارة، باب من قتل في سبيل الله كفرت خطاياه إلا الدين

[6] مسند أحمد،مسند المكيين ،من مسند سهل بن سعد الساعدي ﷺ

[7] مسند أحمد،باقي مسند الأنصار،حديث أبي مالك سهل بن سعد الساعدي ﷺ

[8] صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير،باب فضل من جهز غازيا أو خلفه بخير

والرسول ﷺ يبين في حديثه لأكثم، أدبا من آداب الغزو والجهاد، فيوجه الصحابي الجليل إلى الغزو مع غير قومه، لما في ذلك من حسن الخلق، إذ إن الإنسان ـ وفي الغالب ـ يلتزم الحشمة، وحسن الأخلاق، حينما يكون مع غير قومه، الذين اعتاد على مخالطتهم ومباسطتهم، لكنه مع غيرهم يلتزم بالجد، والمثابرة، ويبتعد عما يمكن أن يصدر منه مع قومه.

كما أن غير قومه ينظرون إليه نظرة الاحترام والتقدير، كونهم يرونه وحيداً بينهم، يستحق منهم كل الرعاية والعون، ويتسابقون على إكرامه، وتلبية حاجاته، وهذه أمور يدركها كل من يسافر مع غير قومه ، وخاصة في أداء فريضة الحج، أو العمرة، أو طلب العلم، أو العمل.

ويبين الرسول الأكرم ﷺ أنه لا بد من الرفيق في الجهاد، أو السفر، أو غير ذلك، لأن الإنسان كما قيل مدني بطبعه، فهو يحتاج إلى الأهل، وإلى الأصحاب في حله وترحاله، فكيف إذا تعلق الأمر بالجهاد، أو السفر بعيداً عن الأهل والخلان.

وفي الرفقة والصحبة الخيرة، فوائد كثيرة ومنافع عميمة، يكفي أن الشيطان يكون بعيداً عن الجماعة، إذا تجاوزت الاثنين، لقول الرسول ﷺ:"**الراكب شيطان، والراكبان شيطانان، والثلاثة ركب**"[1] وفي حديث آخر:"**إذا كنتم ثلاثة، فأمروا عليكم واحدا منكم**"[2]. فإذا وصل العدد إلى أربعة أفراد، كانت خير الصحبة، وخير الرفقاء.

ثم يبين الرسول ﷺ في تعبئة عسكرية، وإعداد للجند، أن خير السرايا ما بلغ أربعمائة، وخير الجيوش أربعة آلاف، ولعل في هذا الرقم، ما فهمه عمر بن الخطاب ﷺ، حينما طلب منه عمرو بن العاص، إمدداً بالجند، حينما ذهب لفتح مصر، فأمده بأربعة من الصحابة، رضوان الله عليهم، وقال لعمرو : أرسلت إليك أربعة من الصحابة، كل رجل منهم بألف.

ولذلك قال القائل: **وكم رجل يعد بألف رجل** **وكم ألف تمر بلا عداد**

وفي إشارة الرسول ﷺ، بأنه لا يغلب جيش بلغ عدده اثنا عشر ألفاً من قلة، ما يركز على النوايا

---

[1] الألباني، صحيح الجامع

[2] البيهقي، السنن الكبرى

والإعداد المعنوي والإيماني، وإطاعة الله تعالى ورسوله ﷺ، والالتزام بأمر القائد، والإخلاص في القول والعمل، خاصة وأن الجند في ساحة المعركة، يحتاجون إلى تثبيت الله، وإمدادهم بعونه، وقد أشار الله تعالى إلى ذلك، في قوله تعالى مخاطباً المسلمين في معركة بدر: ﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّن السَّمَاء مَاء لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الأَقْدَامَ﴾[1] وقوله تعالى: ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلآئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُواْ الَّذِينَ آمَنُواْ سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُواْ الرَّعْبَ فَاضْرِبُواْ فَوْقَ الأَعْنَاقِ وَاضْرِبُواْ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾[2].

وإن المتتبع لسيرة النبي ﷺ، وتاريخ المسلمين في جهادهم، يجد في الغالب أن أعداد سرايا المسلمين وجيوشهم ، كانت أقل من أعداد جيوش المشركين.

ففي غزوة بدر الكبرى، وهي أول غزوة يواجه فيها المسلمون أعداءهم، من كفار مكة ومشركيها، كان عدد المسلمين ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً، قاتلوا ألفاً من المشركين، مجهزين بعتاد وعدة، أكثر بكثير من عتاد المسلمين وعدتهم، ومع هذا كان النصر المؤزر للمسلمين.

وفي أُحد كان عدد المسلمين أقل من عدد المشركين، فانتصر المسلمون في بداية المعركة، ولما خالف الرماة المتمركزون على الجبل أمر الرسول ﷺ، ونزلوا عن الجبل، التف عليهم جيش المشركين، ونالوا من المسلمين، حتى خسر المسلمون تلك المعركة، فلم يغلبوا للقلة، ولكنهم غلبوا بسبب مخالفة الأمر.

وفي حنين حينما كان عدد المسلمين كثيراً، وصل إلى اثني عشر ألفاً ، حتى قال بعضهم لا نغلب اليوم من قلة، فاجأهم أهل هوازن وثقيف، فولى كثير من المسلمين هارباً، وقد سطر الله ذلك في كتابه الكريم ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئاً وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ* ثُمَّ أَنَزلَ اللّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾[3]، فكان النصر للقلة الصامدة الصابرة.

---

(1) الأنفال:11

(2) الأنفال:12

(3) التوبة:25-26

فإذا توفر الإعدد الإيماني، والعدة المادية لاثني عشر ألفاً، فإن فيهم كثرة كافية، للتغلب على من يفوقهم عدداً وعدة، وإذا غلبوا، أو تراجعوا، فما عليهم إلا أن يراجعوا نياتهم، ومواقفهم، ودوافعهم للقتال والجهاد، وهذا هو قانون وضابط جهاد المسلمين، فلا بد من الإعداد المادي، والإيماني، وإخلاص النوايا لله تعالى، حتى يكونوا أهلاً لإكرام الله لهم بالنصر، إذ النصر وسام يمنحه الله لمن يستحقه بجدارة، فهو القائل: ﴿وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِندِ اللّهِ إِنَّ اللّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[1]، وهو القائل: ﴿إِن يَنصُرْكُمُ اللّهُ فَلاَ غَالِبَ لَكُمْ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا الَّذِي يَنصُرُكُم مِّن بَعْدِهِ وَعَلَى اللّهِ فَلْيَتَوَكِّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾[2] .

نسأل الله تعالى أن نكون ممن يتأسى بسنة رسولنا، الأسوة ﷺ، حتى ننال نصر الله تعالى، وتوفيقه، إنه نعم المولى، ونعم النصير، وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد، خير من اختار الأصحاب، والسرايا، والجيوش، وجاهد في سبيل الله حق جهاده، حتى أتاه اليقين، وعلى آله الطاهرين، وصحابته الغر الميامين، ومن تبعهم بإحسان، إلى يوم الدين.

قال رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم : (مَنْ جَهَّزَ غَازِيًا فِي سَبِيلِ اللّٰهِ، فَقَدْ غَزَا ، وَمَنْ خَلَفَ غَازِيًا فِي سَبِيلِ اللّٰهِ بِخَيْرٍ، فَقَدْ غَزَا)

---

[1] الأنفال:10

[2] آل عمران:160

من يطالع سيرة النبي ﷺ، ويقف على هديه الشريف، يجد ما يشفي العليل، ويروي الغليل، ويدعو إلى وحدة الأمة، وتكافلها، وتكافئها، بصورة لا تدع مجالاً للتناحر والفرقة، فعن علي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "المُسلِمونَ تَتَكافَأُ دِماؤُهُمْ، يَسْعَى بِذِمَّتِهِم أدْناهُمْ، وَيُجِيرُ عَلَيْهِمْ أقْصاهُمْ، وهُمْ يَدٌ عَلَى مَن سِواهُم، يَرُدُّ مُشِدُّهُم عَلَى مُضْعِفِهِم، ومُتَسَرِّيهِمْ عَلَى قاعِدِهِم، لا يُقْتَلُ مُؤمِنٌ بِكافِرٍ، ولَا ذُو عَهْدٍ في عَهْدِه"[1].

أصل عظيم، وهدي كريم، يجلّي وحدة الأمة وأخوتها، ويفصّل معنى الآية الكريمة ﴿وَإِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ﴾[2].

فهذه الوحدة، وهذه الأخوة، تقتضي تكافؤ الدماء، والحياة، والذمة، والشراكة في المغنم والمغرم.

فدم المسلم الشريف يكافئ دم المسلم الوضيع، ودم الكبير يكافئ دم الصغير، فلا الأنساب، ولا الجاه، ولا الرفعة، تميز دم المسلم هذا، عن دم أخيه المسلم ذاك.

فلو قتل حسيب مسلماً وضيعاً، قتل به ، ولو قتل كبير صغيراً، قتل به، فكلمة الإسلام، وهي الشهادتان، جعلت المسلمين وحدة في الدم، ووحدة في العقيدة، ووحدة في عصمة الروح.

فليتنبه كل مسلم إلى هذا المعنى الكبير، وهذا الشرف العظيم، الذي يحوزه الإنسان، بمجرد إعلانه دخول هذا الدين، بنطق شعاره الخالد؛ وهو التلفظ بالشهادتين، شعار الإسلام، وعلامة عصمة الدم والنفس.

ومن مقتضيات وحدة المسلمين، أن كل مسلم يمكنه أن يعطي عهد الأمان لغير المسلم، إذا دخل إلى أرض المسلمين، ولو كان محارباً، ما دام قد حصل على أمان من أحد المسلمين، لقوله تعالى

---

[1] سنن أبي داود،كتاب الجهاد،باب في السرية ترد على أهل العسكر

[2] المؤمنون:52

﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ﴾[1].

وقد أجارت المرأة المسلمة، وأعطت الذمة، ورد ذلك في قوله ﷺ لأم هانئ:" **قَدْ أَجَرْنَا مَنْ أَجَرْتِ يَا أُمَّ هَانِئٍ**"[2] ولذلك كانت هذه الذمة، بمثابة عهد بالأمان، فلا يقتل صاحب هذا العهد، وهذه الذمة، ما دام قد حصل على الأمن بموجب هذا العهد، الذي منحه إياه أحد المسلمين.

وفي هذه الأيام يعتبر الدخول إلى ديار المسلمين بموجب التأشيرات، بمثابة العهد والذمة لمن حصل على التأشيرة، لأنه يمنح الأمان والذمة بحصوله على التأشيرة.

مع الأخذ بعين الاعتبار، أن الداخل إلى ديار المسلمين بعهد، أو تأشيرة، عليه أن يلتزم بقانون المسلمين، ويراعي الحياة العامة وأحكامها، في أرض المسلمين وديارهم.

إلا أنه في القضايا العامة الكبيرة، كعقد الصلح مع قوم آخرين، فإن الذي يتولى هذا العهد هو الإمام، أو من ينوب عنه، وذلك لمراعاة مصلحة الأمة ومقتضيات أمنها.

وكما تتكافئ دماء المسلمين، ويسعى بذمتهم أي واحد منهم، فإن نصيب المسلمين في الغنيمة يكون بين الجميع، فما يغنمه جيش المسلمين، يقسم على جميع الجيش، لا فرق بين المقاتل في المقدمة، أو المعاون في المؤخرة، لأنهم كلهم سواء، وما حصل النصر والغنيمة إلا بمساعدة الجميع، وهذا معنى قوله ﷺ:" **يَرُدُّ مُشِدُّهُمْ عَلَى مُضْعِفِهِمْ، وَمُتَسَرِّيهِمْ عَلَى قَاعِدِهِمْ** ".

وفي قاعدة عريضة تعبر عن وحدة المسلمين بجلاء، قوله ﷺ:" **وَهُمْ يَدٌ عَلَى مَنْ سِوَاهُمْ** " وهذا من مقتضيات الأخوة الإسلامية، والعقيدة الإيمانية، فالرسول ﷺ يقول: "... **الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ، لَا يَظْلِمُهُ، وَلَا يَخْذُلُهُ، وَلَا يَحْقِرُهُ** ..."[3] ، ويقول ﷺ:" **الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ، يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا**..."[4] . ويقول ﷺ:" **مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ، وَتَرَاحُمِهِمْ، وَتَعَاطُفِهِمْ، مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا**

---

[1] التوبة:6

[2] صحيح البخاري،كتاب الجزية، باب أمان النساء وجوارهن

[3] مسند أحمد، باقي مسند المكثرين،مسند أبي هريرة رضي الله عنه

[4] صحيح البخاري،كتاب الأدب،باب تعاون المؤمنين بعضهم بعضا

اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ، تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ، بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى"[1] والله تعالى يقول: ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ﴾ [2].

كما تجب عليهم بمقتضى وحدة الأمة، نصرة المظلومين منهم، لقوله تعالى: ﴿ وَإِنِ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ ﴾ [3] .

فلا تعفى شعوب الأمة الإسلامية ودولها اليوم، من نصرة أهلنا في فلسطين بحجة القطرية، فالمسلمون يقع عليهم واجب النصرة لإخوانهم المستضعفين.

وهذا ما قرره فقهاء الإسلام، بأنه إذا تعرض شعب، أو جزء من أبناء الأمة، للعدوان أو الاحتلال، وجب على المسلمين أن يدافعوا عنهم، ويعاونوهم، الأقرب فالأقرب، حتى يندفع العدوان، ويرتفع الظلم، ويزول الاحتلال.

وهذا الحكم تمليه وحدة الأمة، ووحدة العقيدة، وأخوة الدين، وهذا ما عمل به المسلمون على امتداد تاريخهم، وأيام عزتهم.

فقد لبى الخليفة المعتصم استغاثة امرأة مسلمة، تعرض لها رومي، وسير جيشاً لمعاقبته، وقد أشار الشاعر لهذا الموقف النبيل:

رب وا معتصماه انطلقت ... ملء أفواه الصبايا اليتم

لامست أسماعهم لكنها ... لم تلامس نخوة المعتصم

فواجب الأمة الإسلامية أن تكون يداً واحدة على العدوان والمعتدين، لدفع العدوان عن إخوتهم المسلمين، حيثما كان المسلمون، وأينما وقع العدوان عليهم.

إن من واجبات الأمة اليوم، شعوباً، ودولاً، وحكاماً، أن يهبوا لنصرة إخوتهم في فلسطين، لدفع العدوان، ورفع الظلم عن شعب فلسطين في غزة، وفي كل فلسطين، وكذلك العمل على نصرة الشعوب المظلومة، من أبناء الأمة الإسلامية، في أي مكان من هذا العالم.

---

[1] صحيح مسلم،البر والصلة والآداب،تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم

[2] التوبة:71

[3] الأنفال:72

وإن الأمة الإسلامية تمتلك من القدرات، والطاقات، والإمكانات، ما يؤهلها للقيام بدور فاعل في حماية شعوب الأمة ومقدراتها، ودفع العدوان والظلم عن أبنائها، إذا استغلت هذه القدرات والطاقات، وسخرتها لخدمة المصلحة العليا للأمة، بعيداً عن المحاور، أو المصالح الضيقة؛ من قطرية وقومية، وغيرها من المعوقات، التي تقف في وجه وحدة الأمة، والعمل من أجل مصالح شعوبها كافة، وذلك من أجل إنقاذ الأمة، من حالة الضعف والتردي، بل لإخراجها من حالة الغثائية التي تعيشها، مصداقاً لقول الرسول ﷺ: "يُوشِكُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمْ الْأُمَمُ مِنْ كُلِّ أُفُقٍ، كَمَا تَدَاعَى الْأَكَلَةُ عَلَى قَصْعَتِهَا، قَالَ: قُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ: أَمِنْ قِلَّةٍ بِنَا يَوْمَئِذٍ؟ قَالَ: أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ، وَلَكِنْ تَكُونُونَ غُثَاءً، كَغُثَاءِ السَّيْلِ، يَنْتَزِعُ الْمَهَابَةَ، مِنْ قُلُوبِ عَدُوِّكُمْ، وَيَجْعَلُ فِي قُلُوبِكُمْ الْوَهْنَ، قَالَ: قُلْنَا: وَمَا الْوَهْنُ؟ قَالَ: حُبُّ الْحَيَاةِ، وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ"[1].

فهلا أدركت الأمة، ما عناه نبينا الأسوة ﷺ، وهو يصف المسلمين بأنهم يد على من سواهم!

نسأل الله تعالى أن ينور أبصار وبصيرة أمتنا؛ حكاماً ومحكومين، لتدرك حقيقة قوتها ووحدتها، " وَهُمْ يَدٌ عَلَى مَنْ سِوَاهُمْ "، لتسير على سنة نبيها ﷺ، وسيرة سلفها الصالح، لتكون بحق وحقيقة من أمة الرسول الأسوة صلى الله، وسلم وبارك عليه، وعلى آله الطاهرين، وصحابته الغر الميامين، ومن سار على نهجهم، إلى يوم الدين.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (الْمُسلمونَ تَتَكَافَأُ دِمَاؤُهُمْ، يَسْعَى بِذِمَّتِهِمْ أَدْنَاهُمْ، وَيُجِيرُ عَلَيْهِمْ أَقْصَاهُمْ، وَهُمْ يَدٌ عَلَى مَنْ سِوَاهُمْ، يَرُدُّ مُشِدُّهُمْ عَلَى مُضْعِفِهِمْ، وَمُتَسَرِّيهِمْ عَلَى قَاعِدِهِمْ، لَا يُقْتَلُ مُؤْمِنٌ بِكَافِرٍ، وَلَا ذُو عَهْدٍ فِي عَهْدِهِ)

[1] مسند أحمد،باقي مسند الأنصار،ومن حديث ثوبان رضي الله عنه

من يقف على هدي النبي ﷺ، يرى مدى حرصه ﷺ، على لزوم الجماعة، والالتزام بوحدة صفها وأهدافها، في جميع شؤون حياة المسلمين؛ في عباداتهم، ومعاملاتهم، وسلمهم، وحربهم، فقد روى أبو الدرداء ﷺ في حديث صحيح، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول :" **مَا مِنْ ثَلَاثَةٍ فِي قَرْيَةٍ، وَلَا بَدْوٍ، لَا تُقَامُ فِيهِمُ الصَّلَاةُ، إِلَّا قَدْ اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ، فَعَلَيْكَ بِالْجَمَاعَةِ، فَإِنَّمَا يَأْكُلُ الذِّئْبُ الْقَاصِيَةَ**"[1].

قاعدة عظيمة، وأساس مكين، لإقامة مجتمع الوحدة على مبادئ العقيدة والعبادة، فأي ثلاثة أو أكثر في قرية، أو في برية، يدعوهم النبي ﷺ، إلى إقامة مجتمع متماسك موحد، وفي هذا حث على لزوم الجماعة، ولعل أداء الصلاة في جماعة، ومنها الصلوات الخمس المفروضة، مدعاة لاجتماع أهل الحي، أو البلدة، أو المدينة، تحت سقف المسجد، أو في المصلى الذي يعينه أهل المكان، وحينما يجتمع الناس في المسجد، أو في أي منتدى من منتدياتهم، فإنهم يتعارفون ويتعاونون ويبحثون فيما يهمهم من أمور حياتهم، وقضايا أمتهم، ولذلك جاءت الآيات الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة، تحث على الاجتماع والجماعة والشورى فيما بين المسلمين، فالله تعالى يخاطب هذه الأمة الكريمة، بقوله: ﴿ إِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ ﴾[2]، ﴿ وَإِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ ﴾[3]، وفي الحث على الوحدة والاعتصام بحبل الله سبحانه، يقول تعالى: ﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾[4]، ويقول تعالى: ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ

---

[1] سنن أبي داود، كتاب الصلاة، باب في التشديد في ترك الجماعة

[2] الأنبياء: 92

[3] المؤمنون: 52

[4] آل عمران: 103

اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ . . . . ﴾[1]، ويقول في معرض ولاية المؤمنين لبعضهم بعضا: ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ . . ﴾[2]،وفي معرض الشورى، يقول: ﴿ . . وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴾[3].

وفي الحث على دعوة المسلمين للجماعة والوحدة، يقول الرسول ﷺ: " **الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ، يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا، وَشَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ** "[4]، وقوله ﷺ: " **الْمُسْلِمُونَ تَتَكَافَأُ دِمَاؤُهُمْ، وَهُمْ يَدٌ عَلَى مَنْ سِوَاهُمْ، يَسْعَى بِذِمَّتِهِمْ أَدْنَاهُمْ، وَيَرُدُّ عَلَى أَقْصَاهُمْ** "[5]، وقوله ﷺ " **الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ، لَا يَظْلِمُهُ، وَلَا يَخْذُلُهُ، وَلَا يَحْقِرُهُ .... بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ، أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ** "[6].

وقد فهم سلفنا الصالح، رضوان الله عليهم، هذه النصوص، وعملوا على تطبيقها، اقتداء بهدي النبي ﷺ، فكانت دولتهم راشدة، وخلافتهم عادلة، ومجتمعهم موحد ومتماسك، يأمر بالمعروف، وينهى عن المنكر، ويدعو إلى الله على بصيرة، فعز سلطانهم، وارتفع شأنهم، وحافظوا على البلاد والعباد، تحت ظلال العزة الإسلامية، والأخوة الإيمانية .

فإسلامنا العظيم في مصادره الأصلية، يدعو إلى الوحدة والتضامن، ويحذر من الفرقة والتنازع، ويدعو إلى الشعور بآلام الآخرين، والعمل على تخفيفها، ورؤية مصائب الناس، والعمل على تخفيفها، فالأمة الإسلامية كالجسد الواحد، إذا اشتكى منه عضو، تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر؛ " **مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ، وَتَرَاحُمِهِمْ، وَتَعَاطُفِهِمْ، مَثَلُ الْجَسَدِ، إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ، تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى** "[7] ، واعتبر الإسلام رابطة العقيدة بمنزلة رابطة الأخوة ، قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾[8] وحتى لا يكون

---

[1] الفتح: 29
[2] التوبة: 71
[3] الشورى: 38
[4] صحيح البخاري، كتاب المظالم والغصب، باب نصر المظلوم
[5] سنن ابن ماجه، كتاب الديات ،باب المسلمون تتكافأ دماؤهم
[6] صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب ، باب تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره ودمه وعرضه وماله
[7] صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب ، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم
[8] الحجرات: 10

إقصاء لأحد من المسلمين أو جماعة منهم، أمر رسول الله ﷺ بأن يكون أمير لأي ركب، أو جماعة في سفر، أو جهاد، فقال :" **إذا كنتم ثلاثة في سفر، فأمروا عليكم أحدكم ، فذاك أمير أمره رسول الله ﷺ**" [1].

وبعد الهجرة النبوية الشريفة، آخى النبي ﷺ بين المهاجرين والأنصار، فأصبحوا إخوة في الدين والعقيدة، يتقاسمون لقمة العيش في البأساء والضراء ﴿ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾[2]، فعلى المسلمين اليوم، أن ينظروا في كتاب الله، وسنة رسوله، وينبذوا النزاع والخلاف من بين صفوفهم، هذا النزاع والخلاف الذي لا يخدم إلا الاعداء، المتربصين بهم، والذين عملوا، وما زالوا يعملون على تفريق وحدة المسلمين، وتشتيت جهودهم وصفوفهم، وقد حذر الله تعالى في كتابه الكريم المسلمين من اتباع سبل الشيطان، التي تبعدهم عن أسباب الوحدة والقوة، فقال تعالى :﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾[3] والرسولﷺ يقول: : "**تَرَكْتُ فِيكُمْ أَمْرَيْنِ، لَنْ تَضِلُّوا مَا تَمَسَّكْتُمْ بِهِمَا؛ كِتَابَ اللَّهِ، وَسُنَّةَ نَبِيِّهِ**"[4]

فهلا أدركت أمتنا الإسلامية أهمية الوحدة، فعملت على توحيد صفوفها، وهلا أدرك شعبنا الفلسطيني، وفصائله المنقسمة، أهمية توحيد الصف، والموقف، والكلمة، فسارع إلى توحيد صفه، وجهده، لاجتياز الأخطار، والمخططات، والأهداف، التي يسعى إليها المحتل، بتقسيم أرضنا، والقضاء على آمال شعبنا في الحرية والاستقلال، فوق ثرى فلسطين الأبية، لقد آن الأوان بعد هذا العدوان الغاشم، على أبناء شعبنا في غزة هاشم، أن يدرك شعبنا الفلسطيني وكل قواه وفصائله على امتداد ساحة الوطن وخارجه، أن السبيل الوحيد للمحافظة على آمال شعبنا الفلسطيني

---

[1] أخرجه ابن القطان في الوهم والإيهام

[2] الحشر:9

[3] الانعام:153

[4] موطأ مالك، الجامع، النهي عن القول بالقدر

وحقوقه، يكمن في وحدة الصف والموقف، لمخاطبة الشعوب، والدول، والحكومات العربية والإسلامية، بلسان واحد، وموقف موحد، ندعوهم فيه إلى وحدة الأمة، لأجل عزة الأمة، ونبذ سياسات الفرقة، ومساربها، لأن ذلك لا يخدم إلا المتربصين بالأمة ومصيرها، الذين طبقوا منذ وقت قريب سياستهم المعروفة "فرق تسد"، لقد آن الأوان لكل شعوب أمتنا وساستها، أن يدركوا أن عزة الأمة وقوتها في اجتماعها ووحدتها، وإن ضعفها في فرقتها، فالذئب؛ كما أشار رسولنا ﷺ، إنما يأكل من الغنم القاصية، وما أكثر ذئاب العالم التي تتحفز لافتراس آمال أمتنا، والإبقاء عليها نهباً لأطماع الطامعين من المستعمرين والمحتلين .

فما أحوجنا إلى وحدة ترص الصفوف، وتحفظ حقوق شعبنا وأمتنا في أوطانها، ومقدساتها، تأسيا برسولنا الأسوة ﷺ، الذي أمرنا بلزوم الجماعة، وحذرنا من الفرقة، التي تقود إلى الهلاك.

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد، وعلى آله الطاهرين، وصحابته الغر الميامين، ومن سار على نهجهم، إلى يوم الدين.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ، وَتَرَاحُمِهِمْ، وَتَعَاطُفِهِمْ، مَثَلُ الْجَسَدِ، إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ، تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى)

نقف على هدي النبي ﷺ في حثه على رعاية المحتاجين من أبناء المسلمين فيما رواه أبو هريرة رضي الله عنه قال :قال رسول الله ﷺ: " **السَّاعِي عَلَى الْأَرْمَلَةِ وَالْمِسْكِينِ؛ كَالْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَأَحْسِبُهُ قَالَ؛ وَكَالْقَائِمِ لَا يَفْتُرُ ، وَكَالصَّائِمِ لَا يُفْطِرُ** "[(1)] ، إنه توجيه نبوي كريم، يحث أبناء المجتمع المسلم على التكافل، والتضامن، والتعاون، ورعاية من يحتاج إلى رعاية منهم، بتقديم كل وسائل العون له، والأخذ بيده لسد حاجاته، وجعله في المستوى اللائق من العيش الكريم، بعيدا عن الحاجة، وذل السؤال .

فرسول الله ﷺ يبين ثواب من يرعى الأرملة، التي فقدت زوجها، الذي يسعى عليها وعلى أبنائها، فيشبهه بالمجاهد في سبيل الله، ومعلوم كم هو عظيم، وجليل ثواب الجهاد في سبيل الله، فقد أثنى الله تعالى على المجاهدين في سبيله، فقال جل شأنه ﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾[(2)]، ويقول تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ * تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ * يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾[(3)]، والرسول ﷺ يقول : "**غَدْوَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا، وَمَا فِيهَا، وَرَوْحَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا، وَمَا فِيهَا، وَمَوْضِعُ سَوْطٍ فِي الْجَنَّةِ، خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا، وَمَا فِيهَا**"[(4)]، وفي حديث آخر :" **عَيْنَانِ لَا تَمَسُّهُمَا النَّارُ؛ عَيْنٌ بَكَتْ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ، وَعَيْنٌ**

---

(1) صحيح مسلم، كتاب الزهد والرقائق ، باب الإحسان إلى الأرملة والمسكين واليتيم

(2) التوبة : 111

(3) الصف:10-12

(4) مسند أحمد،مسند المكيين ،من مسند سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه

بَاتَتْ تَحْرُسُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ "[1]، فالمجاهد في سبيل الله يسعى إلى توفير الكرامة للأمة، وحمايتها من بطش الغزاة، وحراسة ورعاية أرض المسلمين، من أن تستباح من قبل الأعداء، وهو بهذا العمل النبيل يؤدي خدمة جليلة لأبناء أمته، يستحق عليها الأجر الجزيل، والثواب العظيم، ولذلك شبه الرسول ﷺ، الساعي على الأرملة، والمسكين بالمجاهد في سبيل الله من حيث الثواب، فكما أن المجاهد في سبيل الله، يرعى الأمة، فإن الساعي على الأرملة والمسكين وأصحاب الحاجة، يرعى كذلك قسما من أبناء هذه الأمة، ويقوم بتوفير احتياجاتهم، ورعايتهم على الوجه الذي يحفظ لهم كرامتهم، ويعينهم على مصاعب الحياة خاصة، وأن الأرملة قد فقدت الراعي القوي لها، ورب أسرتها، فأصبحت في حاجة ماسة إلى من يقوم بشأنها، ويسعى عليها، وكذلك المسكين؛ وهو في الغالب، إما يتيم فقد والده الذي يرعاه، أو أمه التي تحنو عليه، أو احتاج إلى الرعاية لأي سبب آخر، كما يحصل في الحروب، أو الكوارث الطبيعية، التي تخلف كثيرا من الأيتام، والمساكين، والجرحى، والمصابين، والمشردين، الذين لا يجدون بيوتاً تأويهم، أو أهلا يرعونهم، وفي هذه الحالات والحوائج، لا بد من تقديم العون لكل ذي حاجة، والسعي على شؤون من تقطعت بهم السبل، تحقيقاً لمعنى التكافل بين أبناء الشعب الواحد والأمة الواحدة.

وقد شبه رسول الله ﷺ، ثواب الساعي على الأرملة، أو المسكين، بثواب القائم الذي لا يفتر، وهو المصلي الذي يتطوع بالنوافل، ويحافظ عليها، ويستمر في طاعته، ليلاً ونهاراً، أو الصائم الذي يكثر من الصيام، كمن يصوم يوماً، ويفطر يوماً.

والإنسان إذا كان قائماً بالصلاة بين يدي الله، أو صائماً لله تعالى، فإن له من الأجر والثواب، ما لا يعلمه إلا الله تعالى، ويكفي للدلالة على ذلك، حديث رسول الله ﷺ: " **لَا يَصُومُ عَبْدٌ يَوْمًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ، إِلَّا بَاعَدَ اللَّهُ تَعَالَى بِذَلِكَ الْيَوْمِ النَّارَ عَنْ وَجْهِهِ، سَبْعِينَ خَرِيفًا** "[2].

في كل هذه النصوص، وكثير غيرها، يبين رسول الله ﷺ ، عظم ثواب القائمين على رعاية أصحاب الحاجات؛ كالأرامل، والمساكين، والمحتاجين إلى الرعاية، والعناية بهم ،كما يظهر بشكل

---

[1] سنن الترمذي، كتاب فضائل الجهاد عن رسول الله ، باب ما جاء في فضل الحرس في سبيل الله

[2] سنن النسائي،كتاب الصيام، باب ذكر الاختلاف على سفيان الثوري فيه

جلي، مدى اهتمام ديننا الإسلامي بهذه القطاعات من أبناء المجتمع الإسلامي، وقد تحقق في فترات من تاريخ أمتنا، وصول المجتمع المسلم إلى حد الكفاية، لجميع أبنائه، كما حصل في زمن الخليفة الراشد الخامس عمر بن عبد العزيز ـ رحمه الله ـ حيث لم يجد واليه في شمال إفريقيا من يأخذ الزكاة، مما دفع الوالي إلى القول " لقد أغنى عمر بن عبد العزيز الناس"، إنه التكافل بين أبناء الأمة، والسعي على مصالحها، والحرص عليها من قبل الخليفة، وولاته، وأعوانه، وهذا المثال الواقعي قابل أن يتكرر في الأمة، ما دام ولاتها يسعون عليها بالعدل والرعاية، وكذلك يتعاون أبناؤها على تحقيق التكافل فيما بينهم، بتقديم العون لكل من يحتاجه، وقيام كل مسلم بواجبه من بذل الخير والصدقة بالمعروف، وفي هذا السياق يقول الرسول ﷺ" **عَلَى كُلِّ مُسلِمٍ صَدَقَةٌ، قَالُوا: فَإِنْ لَمْ يَجِدْ؟ قَالَ: فَيَعْمَلُ بِيَدَيْهِ، فَيَنْفَعُ نَفْسَه، وَيَتَصَدَّقُ، قَالُوا: فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ؟ أَوْ لَمْ يَفْعَلْ؟ قَالَ: فَيُعِينُ ذَا الحَاجَةِ المَلْهُوفَ، قَالُوا: فَإِنْ لَمْ يَفْعَلْ؟ قَالَ: فَيَأْمُرُ بِالخَيْرِ، أَوْ قَالَ: بِالمَعْرُوفِ، قَالَ: فَإِنْ لَمْ يَفْعَلْ؟ قَالَ: فَيُمْسِكُ عَنِ الشَّرِّ، فَإِنَّهُ لَهُ صَدَقَةٌ** "[1]، إنه البناء العظيم للفرد والجماعة، والتربية الهادفة إلى تهذيب النفوس، وتنشئتها على أسس الفضيلة، وحب الخير، فالمسلم الذي يتحلى بهذا الشعور، وهذا الإحساس بالمسؤولية، يندفع إلى ساحات عمل الخير، بكل جد وإخلاص، حتى يحقق النفع لنفسه، ولإخوانه من بني دينه وجنسه.

فهو عنصر خير في المجتمع، يتصدق من كده، وعمل يديه، فإن لم يستطع العمل، يعين صاحب الحاجة بكلمة، أو موقف، كإغاثة الملهوف ـ وهو المظلوم ـ الذي يطلب النصرة، ورفع الظلم عنه، والرسول ﷺ يقول :" **انْصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًا، أَوْ مَظْلُومًا، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَذَا نَنْصُرُهُ مَظْلُومًا، فَكَيْفَ نَنْصُرُهُ ظَالِمًا؟ قَالَ: تَأْخُذُ فَوْقَ يَدَيْهِ**"[2]، فالمسلم أداة خير في المجتمع، يأمر بالمعروف، وينهى عن المنكر، وأقل ما يمكن أن يحسب له صدقة، أن يمسك عن الشر، وهكذا يكون من يعيش مع هدي النبي الأسوة ﷺ، إما ساعياً على الأرامل، والأيتام، والمساكين، وذوي الحاجات، يعينهم، ويقدم لهم ما يستطيع من مال وجهد، للتخفيف عليهم من مشقة الحياة، وقسوة الظروف، وضيق

---

[1] صحيح البخاري، كتاب الأدب ، باب كل معروف صدقة

[2] صحيح البخاري،كتاب المظالم والغصب، باب أعن أخاك ظالما أو مظلوما

العيش، وهو بهذه الحال؛ كالمجاهد في سبيل الله، أو القائم بين يدي الله في الصلاة والطاعة، أو الصائم يبتغي الأجر من الله تعالى، إذ المسلم في جميع أحواله على خير، يتصدق، أو يعمل، ويكد لنفع نفسه، ونفع الآخرين من أبناء وطنه وأمته، يغيث ملهوفهم، ويعين ضعيفهم، وإما آمر بالمعروف، وناهي عن المنكر، يمسك عن الشر، ويلقى أخاه المسلم ببشاشة الوجه وطلاقته، وله في ذلك أجر وثواب.

فما أحرانا أبناء ديار الإسراء والمعراج، وأبناء الأمة الإسلامية، في أن نمد أيدي العون والإغاثة والمساعدة لأبناء شعبنا الصابر المرابط في قطاع غزة، وقد كثرت أرامله، وأيتامه، ومساكينه، وشهداؤه، وجرحاه، ومفقودوه، بعد العدوان الإسرائيلي الآثم الغاشم، على أبناء شعبنا وأرضنا في القطاع الغالي.

فهذه دعوة الرسول الأسوة ﷺ في السعي على الأرملة والمسكين، هذا السعي الذي لا يعدله إلا جهاد المجاهدين في سبيل الله تعالى، وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد، وعلى آله الطاهرين، وصحابته الغر الميامين، ومن سار على نهجهم، إلى يوم الدين.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (انْصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًا، أَوْ مَظْلُومًا، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَذَا نَنْصُرُهُ مَظْلُومًا، فَكَيْفَ نَنْصُرُهُ ظَالِمًا؟ قَالَ: تَأْخُذُ فَوْقَ يَدَيْهِ)

في حديث شريف من هدي المصطفى ﷺ، تسأل ميمونة مولاة النبي ﷺ، قائلة: " **يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَفْتِنَا فِي بَيْتِ الْمَقْدِسِ؟ قَالَ:أَرْضُ الْمَحْشَرِ وَالْمَنْشَرِ، ائْتُوهُ، فَصَلُّوا فِيهِ، فَإِنَّ صَلَاةً فِيهِ، كَأَلْفِ صَلَاةٍ فِي غَيْرِهِ، قُلْتُ: أَرَأَيْتَ إِنْ لَمْ أَسْتَطِعْ أَنْ أَتَحَمَّلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: فَتُهْدِي لَهُ زَيْتًا، يُسْرَجُ فِيهِ، فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ، فَهُوَ كَمَنْ أَتَاهُ** "[1].

في هذا الحديث الشريف تتضح لنا منزلة المسجد الأقصى المبارك؛ **أولها**: أنه على أرض المحشر والمنشر، وهذا أمر يتعلق بمجريات الأمور يوم القيامة، التي نؤمن بها دون بحث في التفاصيل، لأنها من أمور الغيب، التي أثنى الله على عباده المؤمنين للإيمان بها، ومدحهم على ذلك، فقال تعالى ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾[2]، وقال تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾[3]، **وثانيها**: الحث على أداء الصلاة في المسجد الأقصى المبارك، لما في ذلك من ثواب عظيم على أداء الصلاة فيه، حيث الثواب المضاعف، والأجر الجزيل، فقد ذكرت أحاديث كثيرة تبين ثواب الصلاة في المسجد، بأنه بألف صلاة، كما هو الحال في هذا الحديث، وفي حديث آخر " **صَلَاةٌ فِي مَسْجِدِي هَذَا، أَفْضَلُ مِنْ أَلْفِ صَلَاةٍ فِيمَا سِوَاهُ، إِلَّا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ، وَصَلَاةٌ فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ، أَفْضَلُ مِنْ مِائَةِ أَلْفِ صَلَاةٍ، فِيمَا سِوَاهُ** "[4]، وعلى أية حال فإن ثواب الصلاة في المسجد الأقصى إن كانت خمسمائة صلاة، أو ألف صلاة، أو أقل من ذلك، فإن هذا يدل بشكل قاطع، أن ثواب الصلاة فيه يضاعف، سواء أكانت فرضا، أم نفلا، وفي كل مسجد يضاعف فيه ثواب الصلاة، فإن ثواب الأعمال من ذكر، أو استغفار، أو تلاوة للقرآن الكريم، كذلك يضاعف حتى اللبث في المسجد، لانتظار الصلاة فيه الثواب نفسه، لما ورد " **المرء في صلاة ما انتظرها**"[5] ونحو ذلك، ولعل من هذا

---

[1] سنن ابن ماجه، كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها ، باب ما جاء في الصلاة في مسجد بيت المقدس

[2] البقرة:3

[3] الملك :12

[4] مسند أحمد،كتاب باقي مسند المكثرين ، باب باقي المسند السابق

[5] أخرجه الألباني في السلسلة الصحيحة عن جابر بن عبدالله

المنطلق، أمر الرسول ﷺ بشد الرحال إلى المساجد الثلاثة؛ المسجد الحرام، والمسجد الأقصى، والمسجد النبوي الشريف، مما أخرجه البخاري :" **لَا تُشَدُّ الرِّحَالُ، إِلَّا إِلَى ثَلَاثَةِ مَسَاجِدَ؛ مَسْجِدِي هَذَا، وَمَسْجِدِ الْحَرَامِ، وَمَسْجِدِ الْأَقْصَى** "[1]، هذا الحث بشد الرحال إلى هذه المساجد، فيه ما فيه من بيان أهمية هذه المساجد في حياة المسلمين، حيث إنها رموز التوحيد والعبادة في هذه الأرض، فكل منها له ارتباط وثيق بعقيدة الأمة وعبادتها، ومسيرة الدعوة الإسلامية، فمسجد مكة؛ المسجد الحرام شهد نزول الوحي الأول في الدعوة الإسلامية، كما شهد نور الهداية التي جاء بها الرسل ـ عليهم الصلاة والسلام ـ فقد بناه سيدنا آدم، أو الملائكة ـ عليهم السلام ـ وأعاد رفعه على القواعد، سيدنا إبراهيم عليه السلام ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ* رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾[2]، وفي فتح مكة، أزال النبي ﷺ جميع الأصنام، التي كانت حوله، وأذن بلال رضي الله عنه من فوق البيت، معلناً نداء التوحيد، وزوال الأوثان، ودخول البيت الحرام في حوزة المسلمين، إلى أن تقوم الساعة، يحجه المسلمون، ويعتمرون حوله، ويتوجهون إليه في صلواتهم، حيث إنه قبلة المسلمين الواحدة، في أقطار هذه الدنيا الواسعة.

ومنه انطلقت الرحلة القدسية، معجزة الإسراء والمعراج إلى المسجد الأقصى، الذي ارتبط بالمسجد الحرام ارتباطا عقديا، من خلال هذه المعجزة، قال تعالى :﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾[3]، فقد شهدت أرض المسجد الأقصى المبارك نهاية رحلة الإسراء، وبداية رحلة المعراج إلى السماوات العلى، حيث فرضت الصلاة، ورأى رسول الله ﷺ من آيات ربه الكبرى ما رأى، وفي رحاب المسجد الأقصى، صلى رسول الله ﷺ بالأنبياء إماما، وفي هذا دلالة واضحة على إمامته، وقيادة الرسول ﷺ لجميع الأنبياء والمرسلين، وأنه خاتمهم وإمامهم، كما سلموا له ولأمته القيمومة على المسجد الأقصى وسائر المساجد.

[1] صحيح مسلم ، كتاب الحج ، باب لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد

[2] البقرة : 127-128

[3] الإسراء:1

أما المسجد النبوي الشريف، فقد شهد الفترة الهامة في حياة النبي ﷺ، واكتمال هذا الدين وتشريعاته، وجمع المسلمين في الدولة الإسلامية الأولى، وانطلاق جهادهم من رحاب المسجد النبوي، بيت العبادة، ومركز القيادة، وإشعاع النور النبوي من رحابه الطاهرة، وهو مثوى الجسد الشريف للرسول الكريم ﷺ، وصاحبيه الكريمين؛ أبي بكر، وعمر، رضي الله عنهما.

وعودة إلى المسجد الأقصى المبارك، فقد حث الرسول ﷺ المسلمين إلى شد الرحال إليه، والصلاة فيه، والتردد عليه في أوقات الشدة، لما روي عن الصحابي الجليل ذي الأصابع رضي الله عنه:" **قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِ ابْتُلِينَا بَعْدَكَ بِالْبَقَاءِ، أَيْنَ تَأْمُرُنَا؟ قَالَ: عَلَيْكَ بِبَيْتِ الْمَقْدِسِ، فَلَعَلَّهُ أَنْ يَنْشَأَ لَكَ ذُرِّيَّةٌ يَغْدُونَ إِلَى ذَلِكَ الْمَسْجِدِ، وَيَرُوحُونَ** "[1] ، وحتى ينال المسلم ثواب إعمار المسجد الأقصى في حالة عدم التمكن من الوصول إليه للصلاة فيه، وزيارته فقد أمره الرسول ﷺ أن يستعيض عن ذلك مضطراً بإرسال الزيت ليسرج في قناديله، وفي هذا إعمار للمسجد، كما أن في هذا الأمر ما يدل على وجوب اهتمام المسلمين بالمسجد الأقصى، ورعايته، وحمايته، ودفع العدوان عنه، إذ لا يتصور إعمار المسجد الأقصى بالصلاة فيه واسراج قناديله، إلا بإمكانية وصول المسلمين إليه، وهذا لا يكون إلا حينما يكون المسجد الأقصى بحوزة المسلمين، الذين يحافظون عليه وعلى المدينة المقدسة، وعلى الأرض الفلسطينية بشكل عام، لأنها ديار الإسراء والمعراج، وديار المسجد الأقصى المبارك، الذي قرر الله إسلاميته ومسجديته من فوق سبع سماوات، وجعل أمانة رعايته والمحافظة على دياره في أعناق المسلمين جميعاً، كل حسب موقعه ومسؤوليته، والله تعالى سائل كل راع عما استرعاه، أحفظ أم ضيع.

واليوم، فإن المسجد الأقصى يعاني من قلة العمار، بسبب الحصار والقيود، التي تفرضها سلطات الاحتلال الإسرائيلي، على أبناء ديار الإسراء والمعراج، بعدم تمكينهم من الوصول إلى المسجد لإعماره، معنوياً ومادياً، حيث تعيق هذه السلطات كذلك وصول المواد اللازمة لإعمار المسجد وصيانته .

وليت الأمور وقفت عند هذا الحد، بل تجاوزت ذلك إلى مزيد من الاعتداءات على المسجد، واستفزاز المصلين فيه من أبناء بيت المقدس وأكناف بيت المقدس، من خلال المجازر التي ارتكبتها سلطات الاحتلال في ساحات المسجد الأقصى، بحق أبناء فلسطين المرابطين والمدافعين عن قدسية

---

[1] مسند أحمد، أول مسند المدنيين رضي الله عنهم أجمعين، حديث ذي الأصابع رضي الله عنه

المسجد الأقصى وإسلاميته، نيابة عن الأمة جميعها، في انتظار وحدة الأمة، وتحركها لإنقاذ المسجد الأقصى المبارك من براثن الاحتلال، وإعادته إلى حوزة المسلمين محرراً كريماً، يستطيع كل مسلم أن يشد الرحال إليه للزيارة والصلاة، بعيداً عن الحصار الذي يحيط بالمسجد، والأنفاق والحفريات التي تهدد وجود هذا المسجد وحضارته ، ولعل ما حصل مؤخراً من انهيار في أرضية أحد فصول مدرسة القدس، التابعة لوكالة الغوث، ما ينذر بخطر محدق بالمسجد الأقصى جراء هذه الأنفاق والحفريات، إذا ما علمنا أن المدرسة لا تبعد عن المسجد الأقصى إلا بفاصل، هو الطريق المارة بين المدرسة وجدران المسجد الأقصى الجنوبية.

فهلا تنبه أبناء قومي في هذه الديار المباركة، إلى ما يحيط بهم من أخطار تتهدد مصير القدس، والمسجد الأقصى المبارك، فوحدوا صفوفهم، وتناسوا خلافاتهم، والتقوا على كلمة سواء، تحافظ على وحدتهم، وترص صفوفهم، لينهضوا بواجبهم، بالمحافظة على المسجد الأقصى، والقدس، وسائر الأرض الفلسطينية .

هذه الأمانة التي يتوجب على كل أمتنا الإسلامية أن تنهض بها، أسوة بالسلف الصالح، الذين سلموا هذه الديار أمانة لخلف الأمة، فهل ينهض هذا الخلف بأمانة هذه المسؤولية، وإننا لمنتظرون ؟!.

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد، وعلى آله الطاهرين، وصحابته الغر الميامين، ومن سار على نهجهم، إلى يوم الدين.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لَا تُشَدُّ الرِّحَالُ، إِلَّا إِلَى ثَلَاثَةِ مَسَاجِدَ؛ مَسْجِدِي هَذَا، وَمَسْجِدِ الْحَرَامِ، وَمَسْجِدِ الْأَقْصَى) .

فهرس الكتاب

الرقم	الرسول الأسوة ﷺ	الصفحة
51	يحث على صحبة الأخيار	4
52	يبين المستظلين بظل الله(الحلقة الأولى)	8
53	يبين المستظلين بظل الله(الحلقة الثانية)	12
54	يبين المستظلين بظل الله(الحلقة الثالثة)	16
55	يبين المستظلين بظل الله(الحلقة الرابعة والأخيرة)	20
56	يفرح بمولده وبعثته	24
57	يعلمنا الوفاء للأصحاب وحبهم	28
58	يحثنا على إخلاص النية لله في الأعمال والأقوال	32
59	يصف المفلس الحقيقي	37
60	يحث على إطلاق سراح الأسرى	40
61	يخبرنا عن علامة حب الله لعبده	44
62	يحث على العمل	48
63	يبشر أمته بسعة ملكها	53
64	يحدثنا عن أمراء الأمة	57
65	يشيد بالعلماء	62
66	يدلنا على غراس الجنة	66
67	يعلمنا التواضع	70
68	يعلمنا دعاء رؤية بيت الله الحرام	74
69	ينهانا عن التآلي على الله تعالى	79
70	هديه في تربية الأبناء	83
71	مع أزواجه	88

72	يأمر بتغيير المنكر	92
73	يخبرنا عن صاحب البطاقة	97
74	ليلة الاسراء	102
75	في مواطن الإسراء	107
76	يحثنا على إصلاح ذات البين	111
77	والصيام في شهر شعبان	115
78	يحدد ميقات الصيام	119
79	واستقبال رمضان	123
80	يخبرنا عن تكريم الأمة في رمضان	126
81	كان جواداً وأجود ما يكون في رمضان	129
82	يفتح مكة	132
83	يرشدنا إلى تحري ليلة القدر	136
84	وصيام ست من شوال	140
85	ينهى عن التعامل بالربا	143
86	يرسي أسس المحافظة على المال العام	146
87	يدعو إلى حفظ كرامة الأموات	151
88	يصف جزاء الحج المبرور	155
89	في حجة الوداع	159
90	يصف فضل العشر الأولى من شهر ذي الحجة	163
91	يذبح أضحية العيد	166
92	يودع الأمة يوم النحر في حجة الوداع	169
93	ينهى عن سب الصحابة	173
94	يرى دار هجرته	177
95	يدعو إلى وحدة الأمة	181

96	يخبرنا عن خير السرايا والجيوش	185
97	يخبرنا عن وحدة المسلمين	190
98	يحذر من الفرقة	194
99	يحث على رعاية المحتاجين	198
100	يحث على إعمار المسجد الأقصى المبارك	202

****

****

****